روايات مصرية للجيب

حرب الجواسيس

سلسلة الأعداد الخاصة

د. نبيل فاروق

6

# زهرة السُّمّ

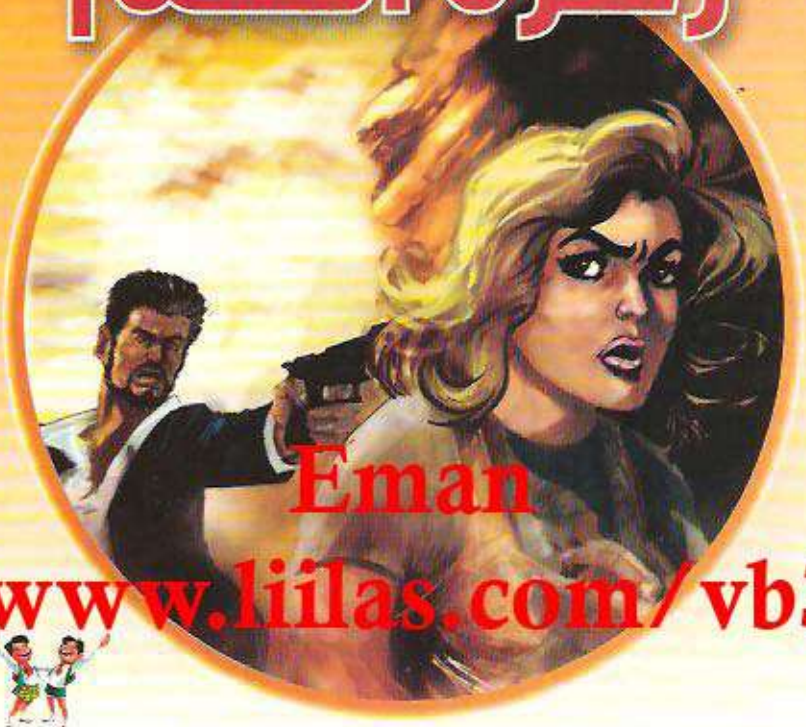

Eman
www.liilas.com/vb3

روايات مصرية للجيب

سلسلة الأعداد الخاصة

# حرب الجواسيس

## زهرة السّمّ

6

وفيق فاروق

صراع العقول
الذى يتفوق
دوما على
أعتى الأسلحة
والمعدات

Eman
www.liilas.com/vb3

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

الأكثر مبيعا من 500
مليون نسخة بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

# زهـرة السُّـم

عبر سنوات طويلة انهمكت بكياني كله في ذلك العالم ..

عالم الجاسوسية والمخابرات ..

وعبر تلك السنوات تشرفت بنشر عشرات من خفاياه في مجلة الشباب المصرية ..

وعبر تلك السنوات قرأت الكثير عن هذا العالم ..

وكتبت الكثير ..

وعرفت الكثير ..

وتعلمت الكثير ..

عرفت وتعلمت أنه مهما تصوّر العدو أنه منيع لا يقهر ، ومهما تصوّر أنه ذكي ، يستطيع دس جواسيسه في عالمنا ، فرجال مخابراتنا أبرع وأذكى ، ويرصدون جواسيسه مهما تخفوا وتنكروا قلبًا وقالبًا ..

وتعلمت ألا تأمن شر عدوك ، حتى لو جاءك في هيئة زهرة ..

فهو بالفعل زهرة ..

زهرة سُم .

د. نبيل فاروق

Eman
www.liilas.com/vb

# أرض العدو

كان مستر تام على جبهة مكتب رجل المخابرات المصرى ( عماد ) ، مع المهندسة وتركيزه الشديدين ، فى مراجعة بعض المكالمات المهمة ، تعمد من الفضائيا ، التى أبرمت فى الأونة الأخيرة ، وطوال ما يقرب من ساعتين كاملتين ، لم يقطع ذلك الصمت سوى نقرات أصابع ( عماد ) على سطح مكتبه ، وهو يقرأ فقرة أثارت انتباهه ، أو يطالع بعض الصور السرية للغاية ، التى التقطها عملاء المخابرات فى قلب ( إسرائيل ) ..

وبينما استغرقه هذا الأمر تمامًا ، ارتفعت قعقعة طرقات هادئة على باب مكتبه ، فى جهاز المخابرات العامة ، فرفع رأسه عن الأوراق التى أمامه ، وهو يتساءل عمن يقف خلف الباب ، ولم يكد يتعرفه حتى طلب منه الدخول ، وهو يضم ملفاته ، ويضعها جانبًا ، ويغطيها بصحيفة جريدة الإسكندرية ..

وفى هدوء ، خطا أحد موظفى الأمن إلى مكتبه ، قائلاً :

ـ معذرة لمقاطعتك يا سيدى ( عماد ) ، ولكن هناك مواطن فى مكتب الأمن ، يطلب مقابلة أحد المسئولين هنا ، وأنك طلبوا منى عرض الأمر عليك .

اعتدل ( عماد ) فى مجلسه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ وما اسمه ؟



ـ إنه سكندرى .. يدعى ( أيمن عبد الفتاح عثمان ) .

لم يكن ( عماد ) يسمع الاسم ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، واستدار إلى الملفات التى كان يطالعها ملذ لحظات ، والتقط من بينها ملفًا ، ألقى نظرة طويلة عليها ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليأت .. سأستقبله فى المكتب الثالث ، فى الطابق الأرضى .

انصرف موظف الأمن ، وتراه ( عماد ) خلفه ، وراجع الملف لربع ساعة أخرى ، قبل أن ينهض ، ويعقد رباط عنقه ، ثم يتجه إلى نفس تلك الغرفة ، فى الطابق الأرضى ..

كان شابًا فى أوائل الثلاثينيات من عمره ، نحيلاً ، طويلاً .. نظراته زائغة ، ويبدو أصابع كفيه فى عصبية طوال الوقت ، ولم يكد يلمح ( عماد ) حتى هب واقفًا ، وقال فى توتر :

ـ أنا ( أيمن عبد الفتاح عثمان ) .. من ( الإسكندرية ) .

أشار إليه ( عماد ) بالجلوس ، وهو يتفحصه بنظرة متفرسة ، قائلاً :

ـ تفضل يا سيد ( أيمن ) .

قال ( أيمن ) على عصبيته وتوتره ، حتى استقر كل منهما فى مقعده ، وزاد من توتره وارتباكه ذلك الصمت ، الذى شمل الحجرة لحظات ، تطلع إليه ( عماد ) خلالها بنظرة نفاذة ، قبل أن يعتدل ، ويسأله فى هدوء مهيب :



www.liilas.com/vb3

- لماذا طلبت مقابلة أحد المسئولين با ( أيمن ) ؟!

تسحنج ( أيمن ) فى توتر بالغ ، قبل أن يجيب :

- لدىّ ما أبلغكم به .. لقد .. لقد أربك ، وعجز عن الاستمرار ، فساله ( عماد ) بنفس الهدوء :

- ماذا لديك بالضبط ؟!

أدرد ( أيمن ) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول فى اندفاع مفاجئ ، وكأنما قرر أن يلقى ما لديه دفعة واحدة :

- الإسرائيليون حاولوا تجنيدى ، للعمل لحساب مخابراتهم

كان يتوقع أن ما تفوهت به لن يمر مرور الكرام ، ولابد أن تثير دهشة عارمة ، وتكون فى أعقابها ، عندما استقبل ( عماد ) الخبر بهدوء مثير ، وقد يسأله :

- وكيف حدث هذا ؟!

أجابه ( أيمن ) فى حماسة وكأنما يصر على جذب انتباهه بأى ثمن :

- لقد ذهبت للعمل فى ( إسرائيل ) ، وتجاوزت الفترة التى تسمح بها تأشيرة الدخول ، وألقت الشرطة الإسرائيلية القبض على ، ثم ألقى بى أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية ، وطلب منى التعاون معهم ، وسلمنى ألفى دولار ، مقابل أن أرسل إليهم بعض المعلومات البسيطة ، التى يمكن لأى شخص الحصول عليها .



تراجع ( عماد ) فى مقعده ، وسأله بنفس الهدوء :

- وهل أرسلت إليهم هذه المعلومات .. البسيطة ؟!

صمت ( أيمن ) بضع لحظات ، قبل أن يهز رأسه فى ارتباك ، مجيبا :

- إنها مجرد معلومات بسيطة .. يمكن لأى شخص ...

قاطعه ( عماد ) :

- وماذا عن الألفى دولار ؟

أدرد ( أيمن ) لعابه فى صعوبة هذه المرة ، وهو يقول :

- لقد مضت من هذاك مدة ما يقرب من الشهرين ، وأنت تعرف صعوبة العيش وكثرة المصروفات ، وأنت ...

قاطعه ( عماد ) مرة أخرى ، وقد تسللت نبرة صارمة إلى لهجته الهادئة هذه المرة :

- بالطبع .. بالطبع .

وتصنع دقيقة تقريبا ، راح يحدجه بنظرة نارية ، جعلت الشاب يتلمس فى مقعده ، ويتمنى لو انشقت الأرض وابتلعته ، ثم لم يلبث ( عماد ) أن مال نحوه ، قائلا :



Eman www.liilas.com/vb3

- سيد ( أيمن ) - هل تفكر في تغيير أي شيء من أفكارك هذه ؟؟
هل تشعر أنك لم تخبرنا بالحقائق كاملة ؟

هتف ( أيمن ) في توتر بالغ :

- بل أخبرتكم بكل شيء .

تراجع ( عماد ) مرة أخرى ، قائلاً في صرامة :

- ربما يروق لك إذن أن تلقي نظرة على هذا؟

ناولها ، وألقى إليه حزمة صور ملتقطة ، من ذلك الملف ، الذي تألق لمطالعته في ملابسه ..

ولم يكن ( أيمن ) بحاجة لنظرة على تلك الحزمة من الصور حتى سقط قلبه بين قدميه ، وانقبض جسده من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

وينتهي الهتاف ..

* * *

( مصر ) التسعينيات .. كل شيء تبدل وتطور ، على نحو لم يكن يتصوره أحد ، منذ ربع قرن من الزمان ..

انزاح عن كاهلها عبء ديون مرهقة ، فانتشلت نفسها من تحت أنقاض لأحزانها وأحزانها ..



بنيتها الأساسية نفضت عن نفسها إرهاق التخلف والتهالك ، واستعادت شبابها ورونقها ، وتحدثت وتطورت ، تتألق بركاب العصر ، وتركب مع الدول المتقدمة قطار التقدم والتكنولوجيا ، الذي ينطلق كالصاروخ ، نحو القرن الحادي والعشرين ..

وعلى الرغم من كل هذا فإن هناك من يقاتل ويجاهد ، للحصول على فرصة عمل خارج الحدود .. حتى لو كان هذا في قلب ( إسرائيل ) ..

و( أيمن ) واحد من هؤلاء التعساء ..

فقد بدأ يطموح متواضع ، للبحث عن فقد عمل في إحدى الدول المجاورة ، وحالفت السماء خلف سماسرة التوظيف ، وأعلام الثراء في بلاد النيل ، حتى جاء ذات ليلة من يهمس في أذنه ، بأن هناك فرص عمل عديدة ، ونقوداً لاحصر لها ، في قلب ( إسرائيل ) ..

وقبل أن يدرس ( أيمن ) الفكرة ، أو يتساءل أيضاً تتوافر فرص العمل على هذا النحو ، في بلد يشكو سكانه من البطالة ، انطلق مع صديق السوء هذا ، إلى السفارة الإسرائيلية ، يطلب تأشيرة لدخول ( إسرائيل ) ..

وإنه لمن يعد سهلاً مسافراً ، عندما تدلعت الحروب ، بيننا وبين الإسرائيليين فإن مرأى النجمة السداسية الزرقاء لم يلهب الدماء في عروق ( أيمن ) وهو يحصل على التأشيرة ، ويسافر بنفسه إلى هناك ..



www.liilas.com/vb3

إلى ( إسرائيل ) ..

وهنا .. تحت العلم الصهيوني ، تجد الحلم ، وذهبت الحسرة ، وجاءت الفكرة ..

الأحلام الوردية ، المزينة بأوراق النقد ذابت ، أمام المجهود الخرافي ، الذي يذله في ( إسرائيل ) ، للبحث عن عمل ، والذي اضطره في النهاية لقبول وظيفة وضيعة ، لو أنه قبل مثلها في وطنه ، لحصل على أضعاف ما يحصل عليه هناك .

ولكن تأشيرة السياحة ، التي حصل عليها ، لم تثبت أن انتهت . ووجد ( أيمن ) نفسه أمام خيارين ، لا ثالث لهما .. إما أن يعود إلى ( مصر ) ، أو يواصل العمل في ( إسرائيل ) متجاوزاً موعد التأشيرة ..

وأيد الشاب في النفق المظلم ..

ترك الأمر وشأنه ، حتى إنه عندما تبلغ قراره بالعودة ، علمت تأشيرته قد انتهت بالفعل ..

وفي ( مصر ) ، عاد ( أيمن ) يبحث عن عمل ، ولكنه عمل لائق هذه المرة ، ليعوضه عن عمله الوضيع في أرض ( إسرائيل ) ..

والعجيب أنه رفض تماماً القيام بأية أعمال بسيطة في ( مصر ) ، وكأنما كل ما يهمه هو أن يعمل خارج الحدود فحسب .. وفي أية حدود أخرى .. أيًا كانت ..



وهكذا سعى ( أيمن ) مرة أخرى للعودة إلى ( إسرائيل ) ..

ولأنه تجاوز تأشيرته في المرة السابقة ، فقد واجه صعوبات في الحصول على تأشيرة جديدة ..

وفي هذه المرة أيضاً ، جاء رفيق السوء ..

جاء ليهمس في أذنه هذه المرة بأنه من الممكن أن يدخل ( إسرائيل ) من منفذ ( طابا ) ، وأن يحصل على تأشيرة الدخول هناك ..

وذهب ( أيمن ) إلى ( طابا ) ..

والعجيب أنه قد حصل بالفعل على تأشيرة جديدة ، في قلب ( إسرائيل ) ، ودون أن يهتز له جفن لمرأى نجمة ( داود ) ، في هذه المرة أيضاً ..

وعاد ( أيمن ) إلى عمله الوضيع القديم في ( إسرائيل ) ، ثم لم يلبث أن انتقل منه إلى عمل أفضل ، يحصل فيه على ربع ما يحصل عليه الإسرائيلي الشرقي ، ولكنه تصور - لسبب غير مفهوم - أن هذا هو النجاح بعينه ..

وبسبب شعوره العجيب هذا ، نسي ( أيمن ) أمر التأشيرة تماماً ، وتجاوز مدتها بشهر كامل ، مما جعله عرضة لمطاردة الشرطة

الإسرائيلية ، وملاحقتها طوال الوقت ، مما جعل صاحب العمل يخفض راتبه إلى النصف ، مستغلاً وجوده غير الشرعي في (إسرائيل) ..

وذات ليلة ، وأثناء عودته إلى الفندق الرخيص ، الذي يقيم فيه ، فوجئ ( أيمن ) بسيارة من سيارات الشرطة تقف أمامه ، وبرجال الشرطة يقتادون رفاق غرفته إلى سيارة كبيرة لها قضبان سميكة على بابها الخلفي ..

وبكل رعب الدنيا ، انطلق ( أيمن ) هاربا ، وراح يعدو في شوارع المدينة ، دون هدف أو ملاذ ، وأسودت الدنيا أمام عينيه ، وهو يسير على غير هدى ، حتى قرب الفجر ..

وعندما عاد إلى الفندق أخيرا ، بعد أن اطمأن إلى رحيل رجال الشرطة ، وألقى جسده المنهوك على فراشه الصغير ، الذي لم تتغير ملاءته منذ شهور عدة ، وأخذ يفكر في أن يلقى عينيه فوجئ برجال الشرطة الإسرائيليين يحيطون به ، بعد أن أبلغهم صاحب الفندق الإسرائيلي بعودته ، وسرعان ما وجد نفسه في مقرهم ، محاطاً بوجوههم الصارمة ، ونظراتهم النارية ، وأسئلتهم العدائية الشرسة ، التي لا تتوقف قط ..

ومع مطلع الشمس ، كان الشاب قد انهار تماما ، وصار مستعدا لفعل أي شيء في الدنيا ، ليخرج من هذا الجحيم ..



وهنا ، جاء ضابط المخابرات الإسرائيلي ، ليمنحه جرعة ماء إلى صحراء العذاب ، وليتحدث معه لأول مرة في هدوء ومودة ، ويسأله عن سبب تجاوزه لثلاثين أسبوعا البقاء في (إسرائيل) ، ثم يشير إليه بوجود عمل جيد ، يمكن أن يجلب الكثير من المال ، بأقل القليل من الجهد ..

وقبل أن ينتصف النهار ، كان (أيمن) قد استوعب الأمر كله ، وأدرك أن ضابط المخابرات الإسرائيلي يعرض عليه العمل ضد وطنه ..

ضد (مصر) ..

ووافق (أيمن) - وتم الإفراج عنه بعد نصف ساعة فحسب من موافقته - واستطاعه الضابط الإسرائيلي أن أحد مقار المخابرات هناك ، حيث أخضعه لدورة تدريبية سريعة ، على وسائل جمع المعلومات ، وتحديد أنواع الأسلحة المختلفة ، ثم منحه جوازا للدراسة في (أوروبا) ، مع ألفي دولار ، وطلب منه أن يرسل بعض المعلومات البسيطة ، فور عودته إلى (مصر) ..

وعاد (أيمن) إلى (مصر) ، مع أوائل شهر (رمضان) ، ومع أوامر ضابط المخابرات الإسرائيلي ، والألفي دولار ..

وفي الأيام الأولى من شهر رمضان ، جمع (أيمن) كل ما طلبه



Eman www.books.com.vc

Eman
www.anbas.com/vb3

ضابط المخابرات الإسرائيلي من معلومات ، وأرسلها إلى ذلك العنوان في ( أوروبا ) ، وراح يقلق ما حصل عليه من أسرار ، لدنا لخيانته ، حتى مضت أيام العيد ، وبعدها اتجه إلى المخابرات العامة ، في محاولة لتبرئة نفسه ، وتأثيمها ، متصورا أنه بهذا يكون قد نجح في خداع جهاز المخابرات المصرى والإسرائيلى في آن واحد ..

ولكن تصوره هذا انهار كله دفعة واحدة ، تقلص من الترقب ، عندما تناوله ( عماد ) تلك الصور .

أضف إلى هذا أن ملفه في المخابرات كان يحمل اسمه ، وعنوانه ، ورقم بطاقته الشخصية ، وجواز سفره ، وكلها معلومات أضافها ( عماد ) على سبيل التمويه ، وهو يعدل ذاهلا في تلك الصور .

أما ما في داخل هذا المغلف ، فقد كانت هناك مجموعة أخرى من الصور ، والوثائق ، والتسجيلات التي تكشف حقيقة كل ما حدث في ( إسرائيل ) .. وبأدق التفاصيل ..

ودون أن يشعر ، سقطت الصور من يده ، وهو يتقهقر بأنيا ، ويهتف :

ـ أنا لم أقصد هذا .. لم أقصده أبدا ..

انعقد حاجباه ( عماد ) في صرامة ، وهو يقول :



ـ عندما يقدم الإنسان على فعل شيء ما ، فهو يقصده حتما ياسيد ( أيمن ) .. لقد تعاونت مع الإسرائيليين بملء إرادتك ، وحصلت منهم على أسرار الخيانة القذرة ، وأنفقتها حتى آخر قرش ، ثم تصورت أنك ستفصل نفسك بعد كل هذا ، عندما تأتي إلى هنا ، وبرءاة الأطفال في عينيك ، تقول : إن الإسرائيليين هاولوا تجنيدك ..

ارتجفت كل ذرة في كيان ( أيمن ) ، وهو يقول في انهيار :

ـ ما قصدته هو أن ...

قاطعه ( عماد ) في صرامة :

ما قصدته ، وما حاولته ، هو أن تمسك العصا من طرفيها كما يقولون ، أو تخطيها تماما ، ثم تعود إلى وطنك لتركع أمام العتبة .. أخطأ يا هذا .. ليس خطأ .. مسموح أن تتظلم العالم لا يمتلئ من عسل النحل في أي مكان تشاء حتى لو كان ( إسرائيل ) نفسها ، نظرا لما يتمتع به المواطن من حرية ، في هذا العصر ، ولكن هذا لا يعني أن عيوننا نائمة أو غافلة ، عن رؤية كل ما يهدد أمننا ، أو يعرض وطننا للخطر .. فلتعلم أن لنا عيونا في قلب ( إسرائيل ) .. في كل ركن في كل شبر منها .. عيون تتابع كل ما يحدثون فعله للإضرار بنا ، وتتابع باهتمام أثر كل محاولاتهم لتجنيد أبناء وطننا ، ودفعهم إلى بئر الخيانة ..

سالت دموع ( أيمن ) ، وهو يضغط على مرارة :

ـ كنت مضطراً ..

لهفان ( عماد ) من خلف مكتبه ، قائلاً بنفس الصرامة :

ـ لست وحدك من تعرض لهذا الضغوط .. عشرات المصريين واجهوا مثل هذه المواقف ، ولكن هذا لم يطعهم قط لخيانة وطنهم .. حتى الذين تظاهروا بهذا أمام الإسرائيليين ، كمحاولة للتخلص من الضغوط والتعذيب ، ثم يعاد الواحد منهم يعود إلى الوطن ، حتى يجرع ألما ، ويتمنى عليا الموت ، ويتمنى كل ما حصل عليه منهم ، لأن الشرفاء لا يرضون بالذل أبدا ..

حنى ( أيمن ) شفتيه ألما ، وهو يقول في مرارة :

ـ ليتني ما أتيت .. ليتني ما أتيت ..

أشار إليه ( عماد ) بسبابته ، قائلاً في صرامة :

ـ لو لم تأت أنت إلينا ، لأتينا نحن إليك .

ثم انعقد حاجباه في صرامة شديدة ، مستطرداً :

ـ صدقني يا هذا .. خيانة الوطن لا تربح أبدا ، ولا تمازح قط بالرذيل .



والمهار أيمن آثار وأثار ، وراح يبكي ، ويتوسل ، ويهذر ويهذل ..

وحتى في أثناء محاكمته ، لم يتوقف ( أيمن ) عن إنكار خيانته ، بل حاول محاميه أن يقلب الصورة ، من الخيانة إلى البطولة ، مستندا إلى أن موكله قد أبلغ جهاز المخابرات العامة بالفعل ..

ولكن الحقائق كانت واضحة ، والأدلة دامغة ، والتسجيلات والصور والوثائق لا تقبل الشك ..

ثم إن ( أيمن ) ومحاميه قد وقفا عاجزين أمام عدة أسئلة ، لم يجد المحامي لها جوابا ..

لماذا لم يبلغ المخابرات العامة فور عودته ؟!..

ولماذا أرسل تلك المعلومات ( البسيطة ) ، إلى تلك العنوان في ( أوروبا ) ، ما دام قد عاد إلى وطنه بسلام ، ولم يعد مضطراً لمجاراة جهاز المخابرات الإسرائيلي ؟!..

وأخيراً ، لماذا حصل على ثمن الخيانة ، وأبقاه كاملاً ، بدلاً من تسليمه إلى المخابرات العامة ؟!

وأمام كل تلك الحقائق ، ثبتت إدانة ( أيمن ) ، وصدر الحكم بالسجن خمسة عشر عاما ، مع الأشغال الشاقة ..



www.liilas.com/vb3

ولعل هذا يكون درسنا له ، ولكل من على شاكلته ، ليدرك الجميع أن عيون رجال المخابرات العامة مستقل دائما وأبدا مستيقظة متأهبة ، لحماية (مصر) ، والحفاظ على أمنها وأمانها وسلامتها ..

في كل زمان ..

وكل أرض ..

* * *



## أصل وصورة

- المصريون أولعوا بعمل أفلام عن عملائنا في (القاهرة) » ..

خيم الوجوم على قاعة الاجتماعات الكبرى ، في مبنى المخابرات الإسرائيلية في (تل أبيب) ، عندما تطلق رئيس الاستخبارات الخارجية هذه العبارة ، وأطل من العيون مزيج من المرارة والحنق والأسف ، والجميع ينظمئون إلى الرجل الذي استطره بصوت يحمل كل ما اعتمل في نفوسهم من انفعالات وألم :

- إنها المرة الخامسة ، التي نخسر فيها أحد عملائنا ، منذ شتاء 1967م !!

ثم اندفع يستطرد في حدة مفاجأة :

- حتى إنني لم أسأل عن فارق في حرب 1967م !! لقد أثبتت تقاريرهم جميعها أن هذه الحرب قد دمرت المصريين تماما ، وحطمت إرادتهم وروحهم المعنوية ، وجوانحها إلى فئات تذروه الرياح ، فكيف يتفق هذا مع ارتفاع درجة نشاط المخابرات المصرية على هذا النحو ؟ حتى إن عملاءنا يتساقطون في الآونة الأخيرة كالذباب ..

- أليكم تفسير لهذا التناقض العجيب !!



www.liilas.com/vb3

حاول بعضهم تبرير الموقف بأن الجرح الذي أصاب المصريين قد شحذ منهم الهمم ، وأطلق طاقاتهم من عقالها ، ودفعهم لمضاعفة عملهم ونشاطهم إلى الحد الأقصى ، كما يحدث دوما عبر التاريخ لشعب مر بكارثة أو محنة . وحاول البعض الآخر تفسير ما حدث بأنها مجرد ضربة حظ غير متوقعة ، معللاً هذا بأنه من المستحيل أن تتبع قافلة جهاز المخابرات المصري هذا الحد ، ولكن رئيسه صاح به في غضب :

ـ اسمع يا هذا .. يمكنني قبول كل محاولات التفسير والتبرير والتعليل ما دامت تحوي شيئاً من المنطق . أما عندما تقتصر على العمالقة ، وسحرة النيوبين من شأن المجتمع ، فهذا أمر مرفوض تماما ، في أي جهاز مخابرات في العالم ..

احتقن وجه الرجل ، دون أن يبدي بنت شفة ، فأردف الرئيس أحد زملائه قائلاً في الحاضرين وجاهية للمبادئ :

ـ ولماذا لا يكون السبب هو الوسائل التقليدية ، التي يستخدمها العملاء في الاتصال بنا ، والتي يمكن أن تتوصل إليها المخابرات المصرية ، فتتابع عملهم ، وتضعهم تحت المراقبة ، حتى توقع بهم في النهاية ؟

جذب هذا القول انتباه الجميع بحق ، وخاصة الرئيس ، الذي سأل الرجل :



ـ ما الذي تقصده بالوسائل التقليدية ؟

راح الرجل يشرح فكرته ، مؤكداً أن مثل الوسائل المتبعة في التراسل ، في كل أنظمة المخابرات تعد ـ على الرغم من تنوعها ـ مجرد أنماط تقليدية ، فهي إما أن تعتمد على الاتصال اللاسلكي أو الحبر السري أو طرق الشفرة المختلفة ..

ومن الطبيعي والحال هذا ، أن ينتبه رجال المخابرات المصرية إلى هذه الوسائل بشكل أو بآخر ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فإنهم سيتفاطنون أمر العميل ، ويكتشفون مراقبته أو يلقون القبض عليه على الفور ، ثم ختم شرحه قائلاً :

ـ وبالتالي .. ينبغي أن نعثر على وسيلة جديدة ومبتكرة ، يستخدمها عميلنا للاتصال بنا ، أو تسلم المعلومات منا ، فهذا وحده كفيل بخداع المخابرات المصرية ، وأن تمرر المعلومات من تحت أنفها في وضح النهار ، دون أن تخشى المراقبة أو التتبع ..

بدت الفكرة أنيقة وجذابة ، والتفت بها كل الحاضرين تقريبا ، باستثناء رجل أو رجلين ، أبدوا بعض التحفظات عليها ، إلا أن المناقشات حولها امتدت لساعة أخرى أو يزيد ، قبل أن يصدر في النهاية قرار بتشكيل لجنة لبحث الفكرة ، وابتكار الوسيلة المنشودة .

وطوال أربعة أيام كاملة ، راحت اللجنة تجتمع بانتظام ، وتناقش

الأمر دون أن يتفق أفرادها على وسيلة محددة ، يمكن وضعها موضع التنفيذ ..

وفي اليوم التاسع ، هتف أحد أفراد اللجنة في اهتمام :

- ولماذا لا نلجأ إلى الوسيلة الألمانية ؟!

أطلت في عيون زملائه نظرة تساؤل ، فأخرج من حقيبته علبة فضية ، له غلاف جلدي أسود يعلن التألق ، وهو يكمل في حماس :

- لقد عثرت عليها في أحد المكاتب ، التي تروي تاريخ المخابرات الألمانية ، في الحربين الأولى والثانية وهي وسيلة بسيطة ، ولكنها غير مألوفة ، ويطلق عليها اسم ( الصورة الخفية ) ..

عقد أعضاء حاجبيه ، متسائلا :

- أعتقد أنني قرأت شيئا عن هذا ..

راح الرجل يشرح لهم فكرته في حرارة وتدفق .. واستمعوا إليه جيدا ، وراقت لهم الفكرة ، فوافقوا عليها جميعا دون مناقشة ، ثم سأل أحدهم في اهتمام :

- الفكرة ممتازة ، ولكن هل لدينا العميل القادر على تنفيذها ..

أجاب صاحب الفكرة في حماس :

- بالطبع .. لدينا ( منير ) .. ( منير عبد الغني ) .. إنه العميل المناسب تماما ..



وحسم قوله الأمر ..

ووضعت الفكرة موضع التنفيذ ..

وفي اليوم بعد التالي ، وعندما كان الجاسوس المصري ( منير عبد الغني ) يزاول عمله كمصور صحفي في واحدة من المجلات الشهيرة ، تلقى رسالة تحمل اسم قارة باريسية ، شاهد فيها صورته معها أمام برج ( إيفل ) وسمعوه يروي قصة هيامها به عشرات المرات ، واختطف ( منير ) الرسالة في لهفة المحب ، الذي طال انتظاره لرسالة محبوبته ، وملأ أنفه برائحتها العطرة أمام عيون الحاسدين ، قبل أن يلوي في رفق الشاش ، ويفض الرسالة ، ويقرأ سطورها في نهم ، قبل أن يضعها في جيبه ، وهو يتنهد كعاشق ولهان ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى طلب ( منير ) إذنا بالانصراف ، وعاد إلى منزله بالمعادي سريعا ، وهناك أغلق على نفسه كل الأبواب والنوافذ ، ثم جلس يستخدم مادة كيماوية خاصة ، لإظهار الرسالة الحقيقية ، المكتوبة بالحبر السري ، بين سطور رسالة المحبوبة الزائفة ، التي تخترعها المخابرات الإسرائيلية كغطاء لاتصالاتها به ..

وكانت رسالتهم تطلب منه تحديد أول موعد يسافر فيه إلى الخارج ، في إطار عمله ، ليتم تدريبه على أسلوب جديد للتراسل ..

وبحكم عمله ومهنته ، كان (منير) كثير الأسفار ، لذا لم يمض أسبوعان ، حتى كان يلتقي برجال مخابرات إسرائيلي في (روما) استطاعه في سرية تامة إلى أحد المنازل الآمنة ، وهناك راح يلقنه أسلوب التراسل الجديد ، الذي استوعبه (منير) في سرعة يحكم خبرته ..

والواقع أن هذا الأسلوب ، المعروف باسم (الصورة الكاملة) كان يناسب عمله وطبيعته تماماً ..

والفكرة كلها تعتمد على التقاط صورة عادية في مكان لا يثير الشبهة أو السرية بأية صلة ، وترك مساحة كبيرة في الصورة للسماء أو الصحراء ، أو أي جسم مسطح فاتح اللون ، ثم يتم إظهار الصورة في المعمل بعد طبعها ، وعندما يتم الإظهار تفصل الصورة جيداً ، وبعدها تطبع صورة أخرى للأماكن السرية التي تم تصويرها أو لوثائق مهمة ، في المساحة المخصصة للسماء أو السطح الفاتح اللون ، ولا يتم إظهار هذه الصورة الجديدة ، وإنما توضع الصورة كلها في المظروف ، بحيث لا تظهر فيها إلا الصورة الأولى البريئة ، التي يتم إرسالها إلى أي مكان كصورة تذكارية عادية ، أو كلقطة لإحدى المناطق السياحية الشهيرة ..

وعندما تتسلم المخابرات الإسرائيلية تلك الصورة (البريئة) ، لا يكون عليها سوى إعادة إظهارها ، فتبرز الصورة الكامنة على السطح ، وبتكشف المطلوب للآخرين ..



وكانت الفكرة ، والحق يقال ، ممتازة بكل المقاييس ، فهي تجمع ما بين البساطة وعدم التقليدية ، بحيث كان من الممكن أن تحقق نجاحاً مدهشاً بالفعل ..

ولا أدر واحد ..

أن أمين المخابرات المصرية لم تكن نائمة ..

فكإجراء طبيعي ، كانت عيون المخابرات ترقب ، وبصفة دائمة كل المنازل التي يتصور الإسرائيليون أنها آمنة ، ويتلقطون الصور بخفية لكل من يدخلها أو يقترب منها طوال الأربع والعشرين ساعة ، دون أن تنتبه المخابرات الإسرائيلية إلى هذا في معظم العواصم والمدن الأوروبية ..

وكالمتوقع بالطبع ، كان هناك ملف ضخم لكل منزل (آمن) إسرائيلي ، في (أوروبا) كلها ، وكان أحد هذه الملفات يحوي صورة واضحة للمصور (منير عبد القادر) أثناء واحدة من زياراته إلى (باريس) منذ ما يقرب من ستة أشهر مضت ..

ومنذ ذلك الحين ، تم وضع (منير) تحت رقابة صارمة دائمة ، خاصة أثناء سفرياته المتعددة ، التي لم تحاول المخابرات المصرية الاعتراض عليها أو منعها ..

وعندما التقى (منير) بضابط المخابرات الإسرائيلي ، في فندق

المنزل في (روما) وظل نراقبهما فيه ، أدرك رجال المخابرات المصرية على الفور أن الجاسوس يتلقى تدريبات جديدة على أمر ما ، وقرروا تكثيف مراقبته ، ومراجعة كل مراسلاته بطرقهم الخاصة ، لمعرفة التطور الجديد في عمله القذر ..

وتكثفهم ، وعلى الرغم من براعتهم في مراقبة كل مراسلاته ، شعروا بحيرة حقيقية ، لدرجة تهز ثقتهم بأمر خيانته ، حتى إن أحدهم ظل يقلب الرسالة بين يديه لساعة كاملة ، قبل أن يقول :

- عجبًا !.. إنها مجرد رسالة عادية ، بكل معنى الكلمة .. لا أسرار سرية أو شفرة ، أو حتى تلاعبات لفظية !.. لماذا يرسل كل هذه الخطابات إلى طوان المراسلات الإسرائيلي في (باريس) إذن ؟!

التقط أحدهم المظروف ، وراح يتحسسه بدوره ، وهو يقول :

- ربما لا يكمن السر في الخطاب ، وإنما في المظروف نفسه !

ساوره في اهتمام :

- وكيف يمكن هذا ؟!

ألم الثاني أحدهم بشيء :

- إنه لا يحوي أية كتابات بالأحبار السرية ..

أجابه الرجل في حماس ..



هذا صحيح ، وكان أحد الجواسيس قديمًا كان يطلق (الميكروفيلم) الدقيق خلف طابع البريد ..

بجانب قوله اهتمامهم ، خاصة أنهم يحفظون جميعًا عن ظهر قلب قصة طابع البريد هذا ، فراحوا يفحصون الطابع ، وموضعه ، وأطراف المظروف ..

بل استخدموا تقنية بسيطة ، تعتمد على بخار الماء ، وانتزعوا الطابع كله من مكانه ، وفحصوه مرة أخرى ، قبل أن يعيدوه إلى نفس موضعه السابق بدقة متناهية ..

وعندما لم يعثروا على شيء تضاعفت حيرتهم ألف وألف ..

وكان زميلهم (ياقر) التقط الصورة التي يحويها الخطاب ، والتي يبدو فيها (منير) أمام أهرامات الجيزة ، وقال :

- ولماذا لو كان السر في الصورة نفسها ؟

أجاب أحد زملائه :

- إنها ليست صورة لمنشآت عسكرية يا رجل بل مجرد صورة لجاسوس في منطقة سياحية .

قال الأول في اهتمام :

- ولماذا يرسل صورته مع الخطاب ، على الرغم من أن الخيبة

الزائفة ، التى يرسلها فى ( باريس ) ، مجرد عميلة للمخابرات الإسرائيلية ، لا يطيقها من قريب أو بعيد أن تراه أمام الأهرامات ، أو حتى فى مواضع أبى الهول نفسه ؟!

أجاب أحدهم فى تردد :

ـ ربما فى مجرد محاولة لإتقان الخدعة ..

أسرع الأول يجيب ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة :

ـ أو أن محتوى الصورة الواضحة لا يهم ، وإنما المهم هو ما يختفى خلف تلك الصورة ..

قفزت الفكرة إلى رءوسهم جميعًا فى آن واحد ، وسيطر أحدهم الجميع ، وهو يهتف فى حماس :

ـ الصورة الخاصة ..

أجابه ( ياهر ) :

ـ بالضبط .

ولم تمض دقائق عشر على قوله المقتضب هذا ، حتى التقت صورة ( مايير ) غارقة فى محلول الإظهار ، فى معمل التصوير الخاص ، فى الطابق الأرضى من أحد مبانى المخابرات العامة ..



وعندما تطلع الرجال إلى الصورة الكاملة ، التى ظهرت فى وضوح ، فوق أفرامات الجيزة ، بعد عملية الإظهار الثلاثة ، ارتسمت على شفتى ( ياهر ) ابتسامة كبيرة ، وقال :

ـ ألم أقل لكم ؟

لقد كانت الصورة الكاملة تحوى ستائر ( كاملاً ليعض المنشآت العسكرية المصرية المحظور الاقتراب منها أو تصويرها بحكم القانون ..

وعلى الرغم من ارتيابهم لكشف وسيلة التراسل الجديدة ، فإن أحدهم فى قال :

ـ والآن ماذا بعد أن كشفنا الأمر ؟.. أليس من المفترض أن نصل هذه الصورة إلى المخابرات الإسرائيلية ؟!.. أين تتناهم الشكوك لو لم يحدث هذا ؟!

أجابه أحدهم فى حزم :

ـ بالتأكيد .. هنا يأتى دور الأستاذ ( عزيز ) ..

ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة للأستاذ ( عزيز ) خبير التصوير المتخصص فى جهاز المخابرات العامة ، فقد أعاد تصوير لقطة ( مايير ) الأساسية ، بعد أن حذف منها الصورة الكاملة ، وصالح الأمر بإعادة طبعها وإظهارها ، بنفس الأسلوب الذى اتبعه هذا



www.liilas.com/vb3

الأخير ، ليحصل في النهاية على نسخة طبق الأصل من الصورة الأصلية ، تحوي صورة كاملة للقمر الصناعية ، في نفس الموضع بالضبط ..

وعلى نحو طبيعي تماماً ، وصل الخطاب والصورة إلى المخابرات الإسرائيلية ، التي أبلغ رجالها في ثلاثة ، وهم يتابعون رجال المخابرات المصرية ، الذين لم يتنبهوا إلى هذه الوسيلة القديمة الجديدة ..

أما رجال المخابرات المصرية ، فقد قرروا تأجيل الابتسام حتى النهاية ، وأخذوا يراقبون كل ما يرسله (منير) إلى (باريس) ، ويطالعون صوره الكاملة ، ثم يعيدون طبعها ، إما بنفس الصور أو باستبدالها بصور أخرى ، تنقل معلومات زائفة للإسرائيليين ..

وفي الوقت نفسه ، كانوا يراقبون كل ما يرد إلى (منير) من أوامر ومعلومات ، من الإسرائيليين في (باريس) و(روما) ، نقلاً عن (تل أبيب) ..

وذات يوم ، وصلت إلى (منير) رسالة مهمة للغاية ..

رسالة يطالبه فيها الإسرائيليون بتصوير بعض المطارات المصرية المدنية ، ثم يؤكدون له خطورة إرسال مثل هذه الصور المهمة بالبريد ، ويطلبون منه إحضارها معه شخصياً ، عندما يسافر إلى (روما) في مهمته الصحفية القادمة ..



وعندما طالع مدير المخابرات هذا الخطاب ، هز رأسه قليلاً ، ثم قال في حزم :

ـ (منير) هذا تمادى كثيراً .. فلتغلق هذا الملف ..

أجابه رجل المخابرات ، والمسئول عن العملية في ارتياح :

ـ هذا أفضل بالتأكيد ..

وفي الساعة الثانية ، من بعد ظهر الثامن والعشرين من نوفمبر 1969م ، أنهى (منير عبد القادر) إجراءات التفتيش في مطار (القاهرة) ، وجلس ينتظر موعد طائرته التي ستحمله إلى (روما) ..

وفي هدوء اقترب رجلان منه ، ولمس أحدهم عنقه ، قائلاً في اقتضاب :

ـ انهض ..

نهض (منير) في توتر ، وسار بين الرجلين إلى حجرة من حجرات التفتيش الجمركي ، وخُيِّل إليه أنه أسلم رجال مقاومة التهريب ، فوضع أمامهما كل ما يحمله ، وهو يلقي عليهما محاضرة صارمة ، في وجوب معاملة المصطافين على نحو خاص ، وحرية المواطن في وطنه ، و ....

وفجأة ، قاطعه أحدهما ، وهو يلتقط مظروف الصور قائلاً :

ـ هذه الصور تخصك يا أستاذ ( منير ) أليس كذلك ؟

أجابه الجاسوس في سرعة وثقة :

ـ بلى .. إنها مجرد صور لأماكن سياحية ..

ابتسم أحد الرجلين ، وهو يقول في سخرية :

ـ حقاً !.. وماذا لو أعلنا إظهارها ؟

شحب وجه ( منير ) ، وامتقع في شدة ، والرجل الآخر يبرز أمامه بطاقة خاصة ، قائلاً :

ـ بالمناسبة .. اسمي ( ع ـ ) وزميلي ( م ـ ) ونحن ضابطان من المخابرات العامة ..

والتهار ( منير ) على الفور ، أمام تلك المفاجأة المزدوجة ، وتفجرت الدموع من عينيه بغزارة ، وهو يتوسل ويتضرع ، ويطلب الغفو والرحمة ، وبدأ في اعترافاته ، قبل أن ينتقل مع الرجلين إلى السيارة ، التي حملته إلى أحد الأماكن التابعة للمخابرات العامة ..

وفي نفس الوقت الذي انتهى فيه ( منير ) من اعترافاته ، وتوقيعه ، أمام وكيل النيابة العسكرية ، كان الإسرائيليون



يتلقون خطاباً خاصاً ، على عنوان مراسلاتهم في ( باريس ) ، ويداخله صورة للجاسوس ( منير ) في المطار ، وفي الفراغ الأبيض خلفه ، كانت هناك صورة كاملة تحوي كلمات محدودة :

ـ احتفظوا بالصورة .. لدينا الأصل ..

مع توقيع المخابرات العامة المصرية ..

وانهارت ثقة الإسرائيليين ، وهم يحدقون في كلمات الرسالة والتوقيع ، وقد أدركوا حجمهم الحقيقي ، وعرفوا الفارق بين الأصل والصورة .

* * *

# الأحمـــق

مالت الشمس للمغيب ، مع نهاية ذلك اليوم ، في أوائل مايو ، عام 1973م ، وارتطمت لسعتها الذهبية الأخيرة ، بذلك المبنى الصامت ، القابع في منطقة القبة ، فألقت أمامه ظلاً طويلة ثالثة ، غطت سيارة أجرة صغيرة ، يلتقط بها سائقها في حذر قاتل ، نحو المبنى ، وهو يسأل ثلاثة من الشباب ، احتلوا المقعد الخلفي بأكمله :

ـ متهمون عند المخابرات .. أليس كذلك ؟!

أومأ الثلاثة متهم برأسيهما في صمت ، وعيونهما المتسعة الزائغة تكشف عما يختلج في أعماقهم ، في حين أدار الثالث أعلبه في صعوبة ، وهو يجيب في اقتضاب ، وبصوت لم يتجاوز في حلقه الجاف :

ـ بلى .

يستمر السائق وحوذان ، وهو يقطع الأمتار القليلة المتبقية ، قبل أن يتوقف أمام المبنى الرئيسي للمخابرات العامة ، ويقول في شيء من العصبية :

ـ وصلنا يا بهوات .



أوقف امتلاع وجوه الشبان الثلاثة ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن يمد أحدهم يده للسائق بأجره ، ثم يغادرون السيارة في صمت وتبصين ، في حين انطلق بها السائق مبتعداً ، فور خروج ثالثهم ، وكأنما يخشى أن تنقلب أسوار المبنى على رأسه ، لو توقف إلى جواره لحظة أخرى .

وثانية أو ثانيتين ، توقف الشبان الثلاثة أمام البوابة المغلقة في وجوم ، ثم لم يثبت أحدهم أن انتزع نفسه من توتره ، واتجه نحو مكتب الأمن ، قائلاً بصوت مبحوح :

ـ نريد مقابلة أحد المسئولين هنا .

سأله رجل الأمن في هدوء مهذب :

ـ بشأن ماذا ؟!

أزدرد الشاب لعابه في صعوبة ، قبل أن يهمس في عصبية :

ـ نريد الإبلاغ عن جاسوس .

كان يتوقع رد فعل عنيف من رجل الأمن ، عندما يسمع العبارة ، ولكنه فوجئ به يقول في هدوء رصين :

ـ انتظروا قليلاً ، وسأتصل بأحد المسئولين على الفور .

ولم تمض دقائق عشر ، على لطقه للعبارة ، حتى كان الثلاثة



Eman
www.liilas.com/vb

يجلسون داخل مكتب بسيط ، في قلب جهاز المخابرات العامة ، حيث استقبلهم رجل هادئ الملامح ، أصلع الرأس ، يرتدي بدلة غامقة ، لم تخل أسلوبه الملمس الودود ، وهو يسألهم :

ـ من الجاسوس ، الذي تريدون الإبلاغ عنه ؟!

تبادل الثلاثة نظرات متوترة لبعضهم ، ثم قال أحدهم في بطء وكأنه ينتزع الكلمات من حلقه انتزاعا :

ـ الواقع أننا نسعى على يقين من أنه جاسوس ، ولكن معنا ، وما يطلبه منا يثير الشكوك .

سألهم رجل المخابرات في هدوء ، وهو يشبك أصابع يديه أمام وجهه :

ـ وما الذي يطلبه منكم بالضبط ؟!

أراك الشاب بضع لحظات ، وقد عجز عن الجواب ، فالتفت أحد زميليه ، يقول :

ـ لقد طلب منا كتابة مقالات حول الأوضاع في الجامعات المختلفة ، وردود فعل رجل الشارع عن حركات الطلاب وأسماء العناصر التي تحرك وتسيطر على طلاب الجامعة وتحركاتهم ..

بدا الاهتمام على وجه ضابط المخابرات ، وهو يسألهم :



ـ وهل لاحظتم ما طلبه منكم ؟!

أجابه الثلاثة في سرعة :

ـ مطلقا .. لقد أتينا للإبلاغ على الفور .

ابتسم الضابط ، قائلا :

ـ حسنا فعلتم .

بدا شيء من الارتياح على وجوههم ، وقال أحدهم :

ـ أعتقد أنك ترغب الآن في معرفة اسم ذلك الشاعر .

مال الضابط لجوارهم ، وهو يبتسم ، قائلا :

ـ هل تريدون أنتم معرفته ؟!

بهت الثلاثة ، ونظروا على وجوههم ، فأجابت بابتسامته ، وهو يتابع في شيء من الغموض :

ـ إنه ( حمودة ) ... ( محمد عمر حمودة ) ..

واتسعت عيونهم في دهشة كبيرة ، فقد كان هذا بالفعل اسمه ..

واسم الجاسوس .

* * *



Eman www.liilas.com/vb3

لو أن (محمد عمر حمودة) يستحق لقبا مشينا، فى عالم الجاسوسية، فالأفضل ما يمكن أن يلتصق على حائطه هو لقب (الأصلع)..

هذا لأن ذلك الجاسوس تحديدا قد ارتكب من الأخطاء، ما يكفى للإطاحة بدولة كاملة، وليس برجل واحد، والسؤال الحقيقى هو: كيف توسمت فيه المخابرات الإسرائيلية خيرا، واعتمدت عليه كجاسوس لها ؟؟

والواقع أن البداية جاءت من (حمودة) نفسه، الذى فشل فى دراسته، وفى الحصول على أى عمل جديد محترم، فما كان إلا أن عاد إلى السفر إلى (إستانبول)، وفى رأسه فكرة محدودة، لم تتخط بيال أحد قط..

وأم يك (حمودة) يبلغ (إستانبول)، يبغى الاتصال بالقنصلية الإسرائيلية هناك، وعرض خدماته عليهم..

بالاختصار، طلب أن يعمل كجاسوس للمخابرات الإسرائيلية، فى العالم العربى..

ولأن هذا التصرف غير القانونى أو المألوف، فى عالم المخابرات، فقد أسعد الإسرائيليون باستقباله والعمرة، وراقبوا الشاب لعدة أيام، قبل أن يتخذوا قرارهم بالاتصال به وعقد لقاء مباشر..



وفى فندقه المتواضع، تلقى (حمودة) بمندوب من القنصلية الإسرائيلية، قدم نفسه إليه باسم (سامى) وتحدث معه لأكثر من ساعتين كاملتين، قبل أن يطلب منه منحه استمارة خاصة عن حياته السابقة، وحتى لحظة لقائهما، مع كتابة كل ما لديه من معلومات عن وطنه..

ومن الواضح أن (محمد عمر حمودة) قد نجح فى الاختبار، فقد دفع مندوب القنصلية الإسرائيلية حساب الفندق المتواضع، ونقل الشاب إلى أحد فنادق الدرجة الأولى، وحجز له جناحا خاصا، ثم تأهبه مسبقا، لتلقى فيه كل تدريباته الأولية..

وسط تجاهله فى الدورة التدريبية الأولى، منحه (سامى) ثلاثمائة دولار، ثم طلب منه السفر إلى (بيروت)، وجمع كل المعلومات الممكنة عن القادمين هناك..

وفى (بيروت) قام الشاب نفسه إلى مندوب أحد المنظمات الفدائية، وادعى الشهامة والوطنية والحماس، حتى تم إدخاله بالمنظمة..

وخلال الشهر الأول، فى مرحلة التدريب، داخل تلك المنظمة الفدائية، حتى صار يحمل رسميا لقب (فدائى)، ثم أسندت إليه بعض العمليات البسيطة، التى نفذها بإقدام، ثم الرصد فى العيون، مما أهله للتعرف على معظم قادة الفدائيين، ومعرفة عناوينهم ومنازلهم وأسرهم، ومواقع الفدائيين السرية..

وعندما حانت لحظة نقل المعلومات ، دعي (حمودة) إلى مكتب السفير إلى (القاهرة) ، للتصديق على شهادة الثانوية العامة ، حتى يمكنه الالتحاق بجامعة (بيروت) ، وتدعيم ثقافته ، خدمة للمنظمة الفدائية على حد قوله ..

وواقت المنظمة على سفره إلى (القاهرة) .

وكان هذا لم يحدث بالطبع ..

لقد سافر (حمودة) إلى (دمشق) ، ومنها إلى (حلب) ، ثم (انطاكيا) في (تركيا) ، قبل أن يستقل به المقام في (إستانبول) التي وصلها ليلاً ، وقضى ليلته فيها ، في نفس الفندق الذي تتعامل معه المخابرات الإسرائيلية ..

وفي الصباح فتاني قال (حمودة) والمدن الفلسطينية المحتلة ، باتقان بالضابط (سامي) ، ويشرح أمامه كل ما في وجهته من أسرار ومعلومات ..

وقد رحب الإسرائيليون عشرًا بتلك المعلومات الثمينة ، وطلبوا من ضابطهم مكافأة الشاب ، فما كان من ضابط المخابرات الإسرائيلي إلا أن سلمه خمسمائة دولار دفعة واحدة ، ثم طلب منه التزام الفندق لعدة أيام ، حتى تصل الأوامر الجديدة بشأنه ..

والتزم الشاب الفندق ، طبقًا للتعليمات ، على الرغم من قلق



ما يشعر به من قلق وملل وتوتر ، حتى حضر إليه (سامي) في اليوم الرابع ، وأبلغه أن الأوامر قد صدرت بنقل مهمته إلى (القاهرة) ..

وطوال ليلة كاملة ، راح (سامي) يشرح له طبيعة المهمة ، والمطلوب منه بالضبط في (القاهرة) ، وكان يتلقى في طلبات محددة ..

تحديد ومعرفة أماكن وأوزان الصواريخ الدفاعية على شاطئ القناة ..

التركيز على الحركة الطلابية في (مصر) ، ومعرفة رءوس الفعل تجاهها ، وأسماء رؤسائها وزعمائها ..

جمع كل المعلومات الممكنة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية في (مصر) ..

معرفة ما إذا كان الرأي العام المصري يؤيد الحل السلمي أم العكس ..

معرفة حدود علاقة (مصر) بالمقاومة الفلسطينية ..

التوصل إلى كل المعلومات الممكنة عن الوحدة الاستطلاعية ، وأجهزة الأمن المصرية بكل صورها ..



www.liilas.com/vb3

وأخيراً معاونة تسجين وسائل استدعاء المسرحين للاحتياطي، وتحديد الزمن اللازم لهذا، وعدد الاحتياطيين إن أمكن ..

وقد سلم (سامي) الشاب ورقة، تحوي كل هذه المطالب، وطلب منه حفظها عن ظهر قلب، ثم حرق الورقة فيما بعد ..

وبالفعل حفظ الورقة، وعاد (حمودة) أن يفعل هذا ..

ولكنه لم يتخلص من الورقة قط ..

وكانت هذه أكبر حماقة ارتكبها في مهمته كلها ..

المهم أن الشاب قد سافر إلى (القاهرة)، ووصلها في الأول من أبريل عام 1973م، وبدأ يمارس عمله فور وصوله ..

ودون إبطاء ..

وخلال خمسة أيام، وبعد تعب وإرهاق قد جمع الكثير من المعلومات (أو هكذا تصور)، وقرر أنه قد حان الوقت لنقل هذه المعلومات الخاصة بالحركة الطلابية ..

وكوسيلة سهلة للتواصل في المجتمع الطلابي الجامعي، اتجه الشاب لزيارة شقيقه (عبد الحميد حمودة) الطالب بالسنة النهائية، في كلية تربية عين شمس .. ولم يكن (عبد الحميد) هناك في المدينة الجامعية، لذا، وبدافع الشهامة المصرية الأصيلة، فقد قرر (سامي) شقيقه استضافته لديهم، حتى اليوم التالي موعد عودة (عبد الحميد)..



وكانت مفاجأة سارة للشقيق، الذي استقبل شقيقه (محمد) بفرحة غامرة، وشكر (سامي) على حسن استضافته، ثم اصطحبه معه إلى حجرته، وقضى الليل كله يحكي بوصوته، دون أن يدرك، أو حتى يخطر بباله الهدف الحقيقي الذي حضر (محمد حمودة) من أجله إلى (القاهرة)..

وفي اليوم التالي، استأذن (عبد الحميد) للذهاب إلى كليته، وترك شقيقه وحده، بعد خطته للحصول على المعلومات المطلوبة ..

وبهمسة بسيطة، قرر (حمودة) التوجه إلى (سامي) شقيقه، في محاولة لجمع كل المعلومات المطلوبة منهم ..

ولقد أكرم الثلاثة وفادته بالطبع، وأعدوا له قدحاً من الشاي، وجلسوا يتحدثون معه ..

وكان الشاب يبدو بصداقة عجيبة، فقد نقل حديثه، بسرعة غير مستحبة، إلى الاتحادات الطلابية ومشكلاتها، وراح يلقي عشرات الأسئلة على الشباب، ثم لم يلبث أن طلب منهم كتابة بعض المعلومات عن الحركات الطلابية وكل ما يحيط بها من أمور ..

واستقبل الشبان الثلاثة أسئلته واستفساراته وطلباته بتحفظ كبير، إلا أنهم وعدوه بكتابة ما طلبه، ولم يضمروا في أعماقهم أمراً، التفت عليه عقولهم، دون أن تفصح به ألسنتهم، وحتى عيونهم ..

وما إن انصرف (حمودة) ، حتى هتف أحدهم في توتر :

- فلنقطع خراعي ، إن لم يكن هذا الشاب جاسوساً !

سأله زميله :

- وماذا ينبغي أن نفعل ، في هذه الحالة ؟!

قال الثالث في حزم :

- وهل يحتاج هذا إلى سؤال ؟!

والتفت عيونهم في نظرة صامتة ، كانت أبلغ من كل جواب ..

لقد اتفقت عيونهم على ضرورة إبلاغ الجهات المختصة بالأمر ..

وقام قائل ..

جلس الشبان الثلاثة وأجسادهم صامتين ، في مكتب ضابط المخابرات المصري ، بعد أن فتشهم بمعرفة البوليس ، وراحوا يحدقون في وجهه ، وفي ابتسامته الهادئة مبهورين ، حتى أشار بيده ، قائلاً :

- لا تجلسوا هكذا يرجالكم .. إنه من الطبيعي أن تتشكك أجهزة جاسوس كهذا ..



رد أحدهم في دهشة :

- من الطبيعي ؟!

أومأ رجل المخابرات برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا بني .. هناك أسباب فنية كثيرة ، تدعم قولي هذا ، وربما تعجزون عن فهمها ، ولكن يكفي أن تعلموا أننا نعلم بأمره ، منذ أسبوعين على الأقل .

تبادل الشبان الثلاثة تلك النظرة المتوترة ، قبل أن يسأل أحدهم ، في حذر قائلاً :

- وماذا عليكم لنا أن نفعل ؟!

صمت الضابط يضع لمساته ، وهو يتطلع إليهم ، ثم لم يلبث أن قال قائلاً في حزم :

- افعلوا ما طلبه منكم بالضبط .

عادت الدهشة تستولي عليهم ، وأحدهم يهتف مذعوراً :

- هل لمسلحة ما طلبه من معلومات ؟!

ضم الضابط سبابته وإبهامه ، ولوّح بأصابعه الثلاثة الأخرى ، قائلاً :

- وبمنتهى الدقة .



www.liilas.com/vb3

اشار الأخير إلى زميلي الشاب ، فابتسم الضابط ، وهو يضيف :

- ولا تجعلوا هذا يلتفكم .. إنه تسيطر على الموقف تماما ..

وغادر الشبان الثلاثة مبنى المخابرات العامة ، وكلهم ثقة بأن نسور وطنهم منيقظون ..

دائما ..

وفي مساء اليوم التالي ، اجتمع الشبان الثلاثة بذلك الجاسوس ، وقدموا له ما لديهم ، ثم راحوا يتحدثون معه عن مواهبه ، وقدراته ، وعما يمكن أن يقدمه به ، لو قدموا له المزيد والمزيد من المعلومات ..

وهنا قام أحد الشبان بتسجيل كل شيء على شريط ..

لقد تهجم على كل الأوضاع في (مصر) ، وراح يشتم ويسب عددا من كبار المسئولين فيها ، ثم ثم طلب منهم في صراحة إمداده ببعض المعلومات الأمنية المهمة ..

بل بلغت به الصفاقة أن أقر بالتجسس في حرق القنصلية المصرية في (بنغازي) ، خلال المظاهرات المعادية لـ (مصر) ..

ثم ذكر أن هذا قد تم بإيعاز وتكليف من المخابرات الإسرائيلية مباشرة ..



ولقد بهت المصريون الثلاثة ، عندما جاء ذكر المخابرات الإسرائيلية صراحة ، على الرغم من ثقتهم بأن من يجلس أمامهم جاسوس ، وبدأه أحدهم بكلمات مرتجفة :

- وهل تعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية ؟!

وبكل زهو وصفاقة ، أجابه (حمودة) :

- بالطبع ..

ولم يطق الشبان الثلاثة بعدها صبرا ..

لقد تبادلوا تلك النظرة المتوترة ، ثم لاذوا بالصمت التام ، وتركوا الجاسوس يتحدث وحده طوال الوقت ..

وخلع رجل المخابرات مع شقيقه ، كان أول ما فعله الشبان الثلاثة ، هو الاتصال برجال الأمن ، وتسليمهم الشريط ، الذي تم تسجيله بإذن من النيابة العامة ، للمحاكمة والشهرة بكل تفاصيلها ..

وراوغ رجال المخابرات التسجيلات لفترة ، ثم أبلغوا النيابة العامة ، التي أمرت باعتقال الجاسوس ..

وعلى الفور ..

وفي الثالثة من صباح التاسع من مايو ، عام ١٩٧٤م ، فوجئ الطالب (عبد الحميد حمودة) برجال الأمن في حجرته ، داخل

المدينة الجامعية ، يعتقون شقيقه ( محمد عمر ) بتهمة التجسس لحساب ( إسرائيل ) ..

وكانت مفاجأة مذهلة للطالب ، الذي ثبتت براءته فيما بعد ، وعدم اشتراكه في ذلك العمل القذر مع شقيقه ..

أما ( محمد عمر ) فقد تجلت حماقته بحق ، فيما عثر عليه معه ، عند تفتيشه ، فور إلقاء القبض عليه ..

لقد كان يحمل تلك الورقة ، التي تحوي طلبات المخابرات الإسرائيلية ، بالإضافة إلى فاتورة تلك الفنادق في ( تركيا ) ، والتي حملت عبارة باللغة التركية ، تقول : تم الدفع بواسطة القنصلية الإسرائيلية ، مع رقم هاتف القنصلية ، ومذكرة تحوي كل ما جمعه من معلومات من ( القاهرة ) ..

ولم يحاول الشاب إخفاء عمله لحساب المخابرات الإسرائيلية ..

ثم يحاكمه حتى أن يفعل ..

لقد انهار على الفور ، وأدلى باعتراف كامل ، كان من نتيجته أن حصل على حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة ..

أما رجال المخابرات المصرية ، فقد اجتمعوا مرة أخرى لمناقشة العملية كلها ، وأدهشتهم كثيرًا تلك الأخطاء الفادحة ، التي وقع



فيها رجال المخابرات الإسرائيلية ، وعميلهم ( حمودة ) ، وضابطهم ، الذي انتحل اسم ( سامي ) ..

ولقد كان أحد رجال المخابرات المصرية ذروتًا بحق ، وهو يطرح سؤالاً محددًا ، في نهاية تلك الاجتماع ، وبعد تفنيد أخطاء ضابط المخابرات الإسرائيلية ..

ترى من يستحق بالفعل حمل اللقب ، الذي تصدر ملف القضية ؟!

لقب ( الأحمق ) ..

بجدارة ؟!

* * *

www.liilas.com/vb3

## الحدود . .

لم تكن عقارب الساعة تتلاقى ، عند منتصف الليل تماما ، في تلك الليلة الخالدة ، من ليالي أغسطس ، في مدينة ( حيفا ) ، حتى ارتجت المنطقة كلها بانفجار قوي عنيف ، تصاعدت معه ألسنة اللهب لعشرات الأمتار في السماء ، مصاحبة لوحة رهيبة مخيفة . تزلزلت لها القلوب الجميع ، وانطلقت معها عشرات الصيحات والصرخات ، في كل ركن بالمدينة .

ثم لم تلبث تلك المضوضاء أن استحوذت بدوي أبواق سيارات الإسعاف والإطفاء العسكرية ، التي راحت تشق شوارع المدينة في طريقها إلى مستودع الذخيرة الضخم خارج المدينة ، والذي تجمعت عصابة فدائية في أسفله ، على الجانب الشمالي الإسرائيلي ، وأشار قنابلهم وذخائرهم وقوارتهم .

ووسط الفوضى الخفية ، التي سادت المدينة كلها ، تحرك رجل طويل القامة ، قوي البنية ، في هدوء عجيب على عكس الآخرين ، وقفز في سيارة صغيرة بسيطة ، وانطلق بها في عكس الاتجاه ، الذي تشقه سيارات الإطفاء والإسعاف العسكرية ، وواصل طريقه حتى بلغ منطقة هادئة ، في الطرف الآخر في المدينة ، فان ينتظره رجل فلسطيني الملامح ، استقبله بابتسامة هادئة ظاهرة ، وهو يقول :



ـ لقد نجحت المهمة .. أليس كذلك ؟!

هز الرجل ـ الذي لم يكن سوى رجل المخابرات المصري ( أحمد ) ـ رأسه وهو يشير بيده قائلا :

ـ أنت ترى بنفسك .

تنهد الأول في ارتياح ، ثم قال في شيء من التوتر :

ـ حمدا لله .. لقد توهمنا مطلق لا حدود لها ، حتى أطلقنا إشارات الصفارات الخاصة للعملية .. الإسرائيليون يشددون الرقابة على الحدود ، على نحو غير مسبوق .. لابد من أن نجد وسيلة للتعامل مع هذا الأمر .. فجوة ، يمكننا من خلالها تهريب أي أدوات أو معدات ، أو حتى السلاح ، يحتاج الأمر إليهم ، في عمليات قادمة .

وهتف ( أحمد ) بهدوء من رأسه ، وهو يقول :

ـ اطمئن ، يا رجل .. سنصنع هذه الفجوة بإذن الله .. اطمئن .

ثم تابع الفكرة رأس رجل المخابرات المصري لحظة واحدة ، طوال طريق عودته الشاق إلى ( القاهرة ) .. وعلى الرغم مما يلقيه من صعوبات شديدة ، ومتاعب بلا حدود ، إلا أنه لم يرتد بسائر في أرض الوطن ، حتى انطلق على الفور إلى مبنى المخابرات العامة المصرية ، ليطرح الأمر على الجميع للمناقشة ..

والعجيب أن أحدا من زملائه أو رؤسائه لم يشعر بأدنى دهشة أو حيرة ، إصرار ( ماجد ) على العودة للعمل فور وصوله إلى ( القاهرة ) ، وكأنما اعتادوا جميعا تلك النهاية ، وتلك الحماس ، الذى لا ينقطع أبدا ، خاصة فى تلك الأيام فى نهاية الستينيات ، حيث بلغت حرب الاستنزاف أوجها ، وحماس كل مصرى يعلم بالمعركة القادمة .. وبالثأر من العدو الإسرائيلى ، الذى احتل جزءا عزيزا من أرض الوطن ..

وبكل حماس ووضوح ، شرح ( أمجد ) ما دار بينه وبين الفلسطينى ، ثم أكد قوة الفكرة ، وحتمية البحث عن وسيلة لتضع قنبلة فى الجدار الفولاذى ، الذى أحاط به الإسرائيليون أنفسهم فى تلك الظروف المشتعلة ..

وطال اجتماع الرجال هذه المرة ..

طال على نحو غير مسبوق ، حتى استغرق ست ساعات كاملة ، ناقشوا خلالها أدق التفاصيل حول كل ما يتعلق بالأمر ..

وفى النهاية انحسر الأمر ، وصدر القرار بوضع الفكرة موضع التنفيذ ..

وكقاعدة غير رسمية ، فى عالم المخابرات ، تم إسناد العملية لصاحب الفكرة الرئيسى ( أمجد ) ، وتم تكليفه ببدل القصارى



جهده ، لصنع تلك القنبلة ، فى الحدود الإسرائيلية ، تحسبا لأية عمليات أو مهمات قادمة ..

وعلى الرغم من أن ( أمجد ) لم يكن قد ذاق طعم النوم ، منذ أكثر من ثلاثين ساعة متصلة ، إلا أنه لم يعد إلى منزله ، بعد نهاية الاجتماع ، وإنما راح يعد رسالة مشفرة طويلة ، إلى ( شالى ) العميل المصرى الذى يعمل لحساب المخابرات العامة فى قلب إسرائيل ، يطلب منه فيها القيام بمهام محددة ..

ويمتطى الدراجة ..

وبعد أن تم بث الرسالة المشفرة بنجاح ، ووصول تأكيد من ( شالى ) بتسلمها ..

عاد أخيرا ( أمجد ) إلى منزله ..

ونام على الفور ..

أما ( شالى ) وهو يهودى من أصل مغربى ، فلم يفض له جفن ، طوال أسبوعين كاملين ، وهو يسعى لتلقية وتحقيق كل ما طلبه ( أمجد ) ، فى أسرع وقت ممكن ..

والواقع أن ما طلبه ( أمجد ) لم يكن سهلا أبدا ..

لقد أعطاه أسماء عدة من ضباط وجنود حرس الحدود الإسرائيليين وطلب منه كل المعلومات المتعلقة عنهم ..



www.liilas.com/vb3

طبيعتهم .. اهتماماتهم .. أزواجهم .. نقاط ضعفهم ، وحتى مقياس قمصانهم وسراويلهم ..

وكان لدى (شالى) النهمة ، بنجاح حقيقى ، يستغل التقارير والإعجاب ..

وبعد انتهاء الأسبوعين استقبلت أجهزة الاستكى ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية ، أطنان رسالة بثها (شالى) ، من قلب (إسرائيل) ..

رسالة شفرية ، احتاج استقبالها لسبع وثلاثين دقيقة متصلة ، واستغرقت عملية فك الشفرة الخاصة بها ثمان ساعات إضافية ..

المهم أنها كانت فى النهاية بين يدى (أسعد) ..

أكثر من ثلاثين صفحة ، تحتوى كل ما يمكن الحصول عليه من تفاصيل ، على نحو موجز للغاية ، حول الضباط والجنود العملاء ..

ومرة أخرى انقطعت الصلة بين (أسعد) واللوم ..

لقد أغلق عليه باب مكتبه ، وانهمك فى مراجعة كل ما أرسله (شالى) بمنتهى الدقة ، طوال يومين كاملين ، ثم عقد اجتماعا لفريق العمل ، اشترك فى العملية ، وطرح عليهم كل ما لخصه عن الموقف ..



وفى ذلك الاجتماع ، تمت استضافة واحد من أشهر الأطباء النفسيين ، فى ذلك الحين ، لساعة كاملة ، عرض عليه (أسعد) خلالها بعض النماذج ، من هوياتهم القاتمة (شالى) دون أسماء أو تفاصيل خاصة ، للتحديد أيهم يمكن أن يخضع نفسيا لعملية التجنيد ، فى زمن الحرب ..

وبعدما أملى الطبيب برأيه ، وانتقى سبعة أشخاص من القائمة ، بقى الرجال وحدهم لإكمال الاجتماع ، وإعادة فحص أوراق هؤلاء السبعة بدقة أكثر ..

وفى اليوم الثانى ، تلقى (شالى) رسالة شفرية لاسلكية ، تطلبه بمزيد من التفاصيل ، حول أربعة منهم فحسب ..

وبعد ثلاثة أيام ، وصلت رسالة (شالى) ، حافلة بكل المعلومات المطلوبة ..

وفى هذه المرة ، انتقى الرجال واحدا من الأربعة ، فحسب ، وتم إرسال برقية شفرية ، عاجلة إلى (شالى) فى (حيفا) لتركيز جهوده عليه ..

وكان الهدف يهوديا شرقيا آخر ، من (السفاريم) ، الذين يعتبرون ذلك الاضطهاد العنصرى ، داخل إسرائيل ، والذى يفرق - ويعقد - ما بين اليهود الغربيين (الإشكنازيم) ، واليهود الشرقيين (السفاريم)



www.liilas.com

فيعتبر الفئة الأولى فئة ممتازة ، تستحق كل الاهتمام والرعاية ، والوظائف العليا ، والرتب الكبيرة ، في حين لا ينبغي أن تحصل الفئة الثانية إلا على الوظائف الدنيا ، وأماكن السكن الحقيرة ، والرتب المحدود ، والرتب الصغيرة في الشرطة والجيش ..

والواقع أن هذه لم تكن المشكلة الوحيدة لرئيس الحدود الإسرائيلي الذي يعمل اسمًا عربيًا يخفي لشكله ( مازن ) وإنما كانت لديه مشكلتان أخريان ، يقلقان مضجعه طوال الوقت ..

القلق .. وخطيبته ( نسيبا ) ، التي تعمل مضيفة في مطهى ( الميناء ) ، المطل لسيما ( رامون ) في ( حيفا ) ، والمتمتع بجمال ملحوظ ، يجعله على قلق دائم من أن يلعب أحدهم برأسها يومًا ، ويلهيها بالتفاتي عنه ..

وحتى يضمن الحفاظ على الاثنين ( نسيبا ) والقصر ، كان على الرئيس ( مازن ) أن يبذل قصارى جهده ، للحصول على ليلة أموال إضافية ، بأية وسيلة كانت ..

لذا ، فقد كانت مهمة ( شاكي ) هينة إلى حد كبير ..

لقد أصبح زبونًا دائمًا في مطهى ( رامون ) ، ولم يبد اهتمامًا خاصًا بالرئيس ( مازن ) ، الذي يجلس هناك معظم الليل ، وإنما راح يراقبه من طرف خفي ، بحثًا عن فرصة مناسبة لعد جسور



الثقة ، وخلق وسيلة حوار معه .. وبعد سبعة عشر يومًا ، جاءت تلك الوسيلة ، على نحو غير متوقع تمامًا ..

ففي ليلة ، توقفت سيارة ( جيب ) عسكرية أمام المطهى ، وهبط منها جنديان إسرائيليان ، استوقفا رجلاً عربيًا ، كان في طريقه إلى منزله ، المواجه للمطهى تمامًا ، وراحا يعاملانه بأسلوب سخيف مستفز ، والرجل يحاول احتمالهما بقدر الإمكان ، ورواد المطهى يراقبون ما يحدث في ضيق ، دون أن يحاول أحدهم التدخل ..

ولكن يبدو أن هذه السلبية قد شجعت أحد الجنديين الإسرائيليين على التمادي ، فأخرج جريدة قديمة في السيارة ، تحمل صورة للزعيم ( جمال عبد الناصر ) ، والمصري رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق ( بن جوريون ) ، ومزق صورة ( عبد الناصر ) وألقاها أرضًا ، وطلب من العربي أن يدوسها بقدمه ، ويقبل صورة ( بن جوريون ) .

وهنا ، انتفض العربي في غضب ، ورفض هذا رفضًا باتًا ، وأصر على الرفض ، على الرغم من تهديدات الإسرائيلي وسبابه ووعيده ، ثم اندفاعه لضرب العربي بكعب بندقيته ..

وهنا تدخل زميله ، قائلاً : إن هذا يكفي وظائفه بالتزوير ، والانصراف من المكان ..

وغادرت ثلاثة الجندي الإسرائيلي ، وراح يصرخ ويسب ويلعن ، واتهم زميله بالانحياز للعربي ، وخيانة الجنس اليهودي ، و ...



www.liilas.com/vb3

وهنا ، تهدأ ( مازن ) من موقفه ، وصاح في الجندي بصرامة :

- قلي يا هذا .. لا تهز زميلك على هذا النحو - على مرأى ومسمع من الجميع .. هيا .. انصرفا .. هيا .

وكان ( مازن ) كان يفوقهما رتبة ، فقد يتبع الجنديان لسلطته ، وعادا إلى سيارتهما ، وانطلقا بها مبتعدين ..

وتنفست أوداج ( مازن ) زهواً وفخراً ، خاصة مع عبارات الاستحسان ، التي تطايرت من رواد المقهى ، ونظرة الصعيدة والفخر ، التي منحتها له ( نسيبا ) ، مع ابتسامة هوانية ، رمقته معها قليلاً ..

وعندما عاد إلى مائدته السابقة ، في الركن البعيد لمقهى ، لحق به ( شاكر ) وهو يهتف في حماس مصطنع :

- مرحى يا بطل .. كيف كان الأمر سينتهي من دونك !!

ثم مال نحوه ، وغمز بعينه ، مستطرداً :

- هل تسمح لي بتحيتك على نحو يليق بك ؟

أشار ( مازن ) بيده في غطرسة ، قائلاً :

- لا بأس .. لا بأس .



وفي تلك الليلة ، تناول ( مازن ) أشهى الأطعمة وأفخم المشروبات ، على حساب ( شاكر ) بالطبع ، وراح الاثنان يتبادلان الأحاديث طوال الوقت ، حتى انتهت نوبة ( نسيبا ) فعاد ثلاثتهم إلى منزل ( مازن ) ، لتمتد السهرة مع نفوس الخمر وأوراق اللعب ..

وفي تلك الليلة ، خسر ( مازن ) مبلغاً كبيراً ..

وتساقطت من بين شفتيه تحت تأثير الخمر ، معلومات خطيرة ..

وفي صباح اليوم التالي ، أبرق ( شاكر ) بكل تلك المعلومات إلى ( القاهرة ) ..

وبعد اجتماع مطول ، تناقش فيه الرجال كل ما وصلهم ، تأكد الجميع من صحة اختيارهم ، وكان أحدهم في حماس :

- عظيم .. لقد حصلنا أخيراً على الثغرة التي نشدها .

أجابه ( أمجد ) في حزم :

- ليس بعد .

ثم أدار عينيه في وجوه الجميع ، متابعاً :

- إننا لم نواجه الرجل ، ولم نختبره بعد .

وهنا وصلت رسالة لاسلكية جديدة للعميل ( شاكر ) ..

رسالة تطالبه إن صح القول بتطوير الهجوم .

ولقد نفذ (شاكي) المطلوب بأسلوب مدروس ، تدرب عليه طويلاً ، عندما بدأ تعاونه مع المخابرات العامة المصرية ..

وامضى أسبوعين ، وامضى (شاكي) مسهراته مع (مازن) و(نسيبا) ، وتوطدت علاقته بهما أكثر وأكثر ، وراح (مازن) يغمر الثلج والثلج على مائدة القمار ، حتى بلغت ديونه لدى (شاكي) مبلغاً هائلاً ، يعجز تماماً عن سداده ، حتى لو أنفق في سبيل هذا مرتب عام كاملاً ..

وذات ليلة ، وبعد أن تلقت نقود (مازن) تماماً ، اقترح عليه (شاكي) اقتراحاً عجيباً ، وغير منطقي أو معقول ..

لقد عرض عليه أن يكون الرهان هذه المرة على (نسيبا) نفسها ..

وعلى الرغم من دهشة (نسيبا) ، وغرابة الاقتراح ، وعدم توافقه مع المنطق أو الاتفاقيات العامة ، ورغم الحاحها ، إلا أن شدة لهفة (مازن) على المقامرة ، وعلمه بقيمة (نسيبا) لدى رؤسائه ومخابراته ، والأسوأ أنه قد خسر الرهان ..

وكان من حسن الحظ أن (نسيبا) لم تكن هدف (شاكي) من هذا الرهان كله ..

لقد كان الهدف هو (مازن) نفسه ..

لقد كان (شاكي) ، طبقاً لتوجيهات المخابرات المصرية ، يقدر مدى ما يمكن أن يذهب إليه (مازن) في سبيل المال والمقامرة ..



وكانت النتيجة أفضل مما تصوروا أو توقعوها بكثير ..

فالرجل الذي يغمس حبيبته على مائدة القمار ، ليس بهمه بخسارة وطنه ، مقابل مبالغ أكبر من المال ..

ولقد أدرك (شاكي) ، هذا ، في تلك الليلة ، فتظاهر أنه مصاب بالصداع ، وبأنه يرغب في العودة إلى منزله ، على أن يعود إليهما في اليوم التالي ..

وقبل أن تشرق الشمس ، كان (أحمد) يتلقى رسالة (شاكي) ..

لقد سقط الرجل .. ويطلب ..

وفي التاسعة صباحاً ، كان (شاكي) يتلقى رسالة (أحمد) ، التي تحوي التعليمات الجديدة ، للمخابرات العامة المصرية ..

وقبل منتصف النهار ، كان يواجه (مازن) الذي بدا مرتبكاً ، وهو يقول :

ـ ديونك لك تضاعفت أكثر مما يتبغي يا أدون (شاكي) حتى إنني لست أدري كيف يمكننا تسوية هذا الأمر ، لو ح (شاكي) بيده قائلاً :

لا تقلق نفسك بهذا الأمر يا رجل .. لا ديون بين الأصدقاء ، ثم إنها ديون قمار فقط .. أليس كذلك ؟

كانت دهشة (مازن) وسعادته بالغة ، بهذه المبادرة الجادة الكريم من صديقه ، حتى إنه هتف بكل فرح الدنيا ، كيف يمكنني أن أرد لك هذا الجميل يا صديقي ؟!

أجابه (شاكي) في حسم ، وبلهجة ذات معنى خاص :

- هناك وسائل عديدة .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

- المعلومات مثلاً .

وقبل أن تمضي ساعة واحدة ، كان (مازن) قد أبرق المعلومة كلها ، وأدرك أنه سيعمل لحساب المخابرات العامة المصرية مقابل مكافآت كبيرة ، مع كل معلومات يدلي بها ، أو كل تقرير يقتحمها في أسوار الحدود .

ويقول البعض أن (مازن) قد التقى برجل المخابرات (أنجد) لقاء فيما بعد ، ويؤكد البعض الآخر أن هذا اللقاء قد تم في (هيلا) أي في قلب إسرائيل نفسها ، ولكن لا توجد أية معلومات تؤكد هذا القول أو ذاك ، كما أن المعنيين يصرون على أنه من المستحيل أن يجازف رجل مخابرات مصري بإجراء لقاء كهذا ، في قلب أرض العدو ، ما لم تكن هناك أهمية قصوى للأمر ، أو ضرورة حتمية لذلك ..



وكان المهم في النهاية أن (مازن) صار يعمل لحساب المخابرات العامة المصرية ..

وبمنتهى الحماسة والإخلاص ..

وكان هذا التصار سلاحاً للمخابرات المصرية بحق ، فالقيمة التي أضافها أجنيد (مازن) ، في دائرة الحدود الإسرائيلية كان أيها فضل كبير في نقل العديد من المعدات والأسلحة المصرية إلى المجموعات الفدائية ، التي كانت تعمل خلف العدو ، خلال فترة (الخمسينات) وعلى رأسها مجموعة الحاج (مصباح الكاشف) في (أمريكا) ..

وعبر القهوة نفسها تسلل الفدائيون المصريون ، لتنفيذ عشرات العمليات الناجحة ، التي أذاقت العدو الأمرين ، وخاصة مع اندلاع حرب أكتوبر 1973م.

كما كانت وسيلة لعبور الكثير من المعلومات ، وعينات الأسلحة ، وعلى رأسها عينة المادة التي استخدمها الإسرائيليون في أنابيب النابالم ، التي قاموا بها بطول قناة السويس .

أما (مازن) نفسه ، فقد انتهى أمره على نحو لم يخطر على بال أحد قط ..

فالإسرائيليون لم يكتشفوا أمره أبداً ..

وهو لم يقع في خطأ واحد ، تحت إشراف وتوجيهات (شاكر) ، الذي ينقلها عن التعليمات الصارمة الدقيقة للمخابرات المصرية ..

وذات ليلة ، وبينما كان يعود إلى منزله بسيارته ، وقد زاد في سرعتها على نحو مثير ، ظهر أمامه وحش ضخم ، من أوحاش السماء ، لم يستطع تفاديه ، فحدث الاصطدام العنيف ، وألقى (مازن) بمصرعه في الحال ..

وكان بعد أن منح رجال المخابرات كل ما يحتاجونه طوال فترة ما قبل وأثناء الحرب ..

منحهم أجورة ، ساعدتهم على اختراق الحدود ..

حدود العدو ..



# الخائن المزدوج

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد على (القاهرة) ، في ذلك اليوم ، من ربيع 1973م ، عندما اضيئت أنوار قاعة الاجتماعات ، في إدارة مكافحة المخدرات ، وتوافد عليها بعض الضباط الذين طلبتهم مبادة الاجتماعات ، مع منتصف ضخم ، راحوا يناقشون ويتبادلون كل ما لديهم من معلومات بشأن صاحبه ، الذي وصفه أحدهم بأنه أحد كبار تجار ومروجي المخدرات ، في تلك الفترة .

كان معظمهم من شباب الضباط الذين امتلأت قلوبهم بالحماس ، وبالرغبة في أداء الواجب ، وخدمة الوطن ـ الذي يستعد لخوض معركة التحرير ـ من تلك السموم ومروجيها ، الذين أسودت قلوبهم ، وتآمروا بقسوة شباب (مصر) ، وطاعن عقولهم وإرادتهم ، على الرغم مما تمر به البلاد من متاعب ، وما تبذله من جهد ، لإعادة بناء الجيش ، والاستعداد لاستعادة الأرض السليبة ..

وبكل حماسة وحزم ، قال أحد الضباط :

ـ ما دامت الأدلة القطعية قد توافرت ، فلا ينبغي أن نسمح لذلك المجرم بوماً إضافياً واحداً .. دعونا نلقي القبض عليه على الفور .



(و 3 ـ حرمت الموسيقى هذا الحق (4) إمرأة السيد)

وهتف آخر :

- إنه يستعد لإلقاء واحدة من سخطاته القذرة ، بعد ساعات قليلة ، ومن الضروري أن نضع خطة محكمة ، للقبض عليه متلبسًا ، أثناء إلقاء الصفقة .

أجابه ضابط بفوقه رتبة :

- إننا هنا لهذا الغرض يا رجل .

انهمكوا لساعة أو يزيد ، في مناقشة خطتهم المحكمة ، لإلقاء القبض على تاجر المخدرات الكبير ، وراحوا يراجعون التفاصيل ، الكبيرة منها والدقيقة ، حتى بدا لهم أن الخطة قد اكتملت تمامًا ، فأشرع أحدهم مسدسه ، وجذب بشطه في حماس ، قائلاً :

- اضبطوا ساعاتكم يا رجال ، سنبدأ الخطة بعد قليل ، و ...

قاطعه صوت مألوف ، يقول بلهجة صارمة :

- لست أعتقد هذا .

التفت الجميع بحركة واحدة إلى مصدر الصوت ، وتطلعوا في دهشة إلى رئيس الإدارة ، الذي وصل دون موعد سابق ، ويصحبته رجل وسيم ، هادئ الملامح ، يعمل على شقيه ابتسامة بسيطة ، لا يمكنك تحديد مزاجها بانضباط ..



كانت الشمس قد بدأت مرحلة الأفول ، وتسلل بعض ضوئها عبر فرجات النافذة ، ليرسم مشهدًا ، زادت ملامحه غموضًا فوق غموضها ، وجذبت الأشياء أكثر وأكثر إلى ابتسامته الواثقة الوديعة ، ورئيس الإدارة يدخل بلهجة خاصة ، توحي بأن في الأمر ما فيه :

- يبدو أنكم ستضطرون لتعديل خطتكم كليًا .

وحتى قبل أن ترتسم الدهشة على وجوههم ، كان الوسيم يضيف :

- أو إلقائها على الأرجح .

امتزج الغضب بالدهشة في وجوههم ، وهتف أحدهم مستنكرًا :

- ماذا يعني هذا ؟! .. إننا نعد للأمر منذ أسبوع كامل ، عندما أبلغنا مرشدنا بأمر هذه الصفقة .

أشار رئيسه ، على نحو يوحي بأن المناقشة لن تجدي شيئًا ، وأشار إلى الوسيم ، قائلاً :

- العقيد ( عماد ) .. من المخابرات العامة المصرية .

تضاعفت الدهشة في وجوههم ، حتى تراءت كل المشاعر الأخرى جانبًا ، وهم يعيدون التحديق في ضابط المخابرات ، الذي اتخذ مجلسه إلى جوارهم ، على مائدة الاجتماعات ، وبدأ الحديث على الفور ، دون مقدمات :



www.liilas.com/vb3

- اسمحوا لي بتقديم اعتذارنا أولاً أيها الزملاء ، فلقد وصلتنا نفس المعلومات ، التي أبلغتم بها مرشدكم ، ونحن نعلم مثلكم أن الرجل سيكون واحداً من أكبر صفقاته ، بعد ساعات قليلة ، وأنها فرصة مثالية ، لإلقاء القبض عليه متلبساً ، وربما أن تكون قد ولدتنا ، وعلى الرغم من كل هذا ، نطالبكم بإلغاء الفكرة من أساسها .

ثم صال نحوهم مستطرداً في حزم ، وبلهجة توحي بانعدام فرصة المناقشة .

- باختصار .. لا تلقوا القبض على الرجل اليوم .

اتسعت عيونهم بشدة ، وتبادلوا نظرة عصبية غاضبة ، قبل أن يهتف أحدهم :

- ولكن لماذا ؟! .. أصبحا يليق علينا أن يضيع فرصة مثالية كهذه ؟!

بدت لهجة رجل المخابرات أكثر حزماً وصرامة ، وهو يجيب :

- لأن مصلحة الوطن تقتضي هذا .

شاع جواً حاسماً ، حازماً ، مختصراً ، أجهم أسنة الجميع ، وجعلهم يتبادلون نظرة أخرى صامتة ، ويغرقون لحظات في بحر من



الصمت ، لم يليث أحدهم أن بادره ، متسائلاً في توتر واضح :

- وهل تقتضي مصلحة الوطن أن تدخل صفقة المخدرات هذه البلاد ، وتحصل المزيد والمزيد من شبابنا ؟!

صمت رجل المخابرات لحظات قليلة ، قبل أن يجيب في حزم صارم :

- كل ما يمكنني قوله في هذا الشأن ، هو أن تلك المخدرات لن تؤذي أحداً هذه المرة .. هذا وعد .

انفرجت أسارير وجوههم وأفواههم ، وانتزعت الكلمات من حلوقهم وأنفاسهم ، حتى لقد بدا المشهد لأول وهلة أشبه بصورة فوتوجرافية قديمة ، والجميع يتطلعون إلى رجل المخابرات ، الذي بدا وجهه جامداً بملا ملامح ، بحيث لم يستطع أكثرهم خبرة ومهارة أن يكتشف أبداً السبب الحقيقي لهذا طبيعة المخابرات العامة .

ولم يكن بمستطاعة رجل المخابرات أن يكشف لهم السبب الحقيقي أبداً .

هذا لأن تاجر المخدرات المنشود ، كانت له صفة أخرى ، أكثر جرماً وخطورة ..

لقد كان جاسوساً .

في زمن الحرب .

منذ أوائل الستينيات ، بدأت ( مصر ) حملة قوية ، ضد تجار ومروجي المخدرات ، لم تلبث أن تبعتها جهود مماثلة ، مع السلطات اللبنانية والتركية ، لتتحول تلك الحملة إلى حرب طاحنة ، نجحت في الحد من القاهرة ، وفي خفض معدلات زراعة وتهريب المخدرات ، إلى الحد الأدنى ..

ثم اندلعت حرب يونيو 1967م ، واحتلت إسرائيل سيناء والجولان ..

ومع الاحتلال ، تدفق ذهن أحد الثعالب الإسرائيلية عن فكرة شيطانية ، تعتمد على زيادة المساحة المزروعة بالحشيش في سيناء ، والسعي لتهريب الإنتاج إلى الدول العربية ، وعلى رأسها ( مصر ) بالطبع ، لتمزيق هذين بشرية واحدة ..

افساد شباب ورجال ( مصر ) ، وتجنيد كل من يمكن تجنيده ، في الوقت نفسه ، لخدمة أهداف المخابرات الإسرائيلية ..

وهذا ما تحقق مع ( سليمان ) .

و( سليمان سالم سليمان ) هذا مواطن مصري ، كان يحيا في ( سيناء ) ، ويعمل فيها تاجراً للبضائع ، حتى ظهور الجمال ، ولكن الحرب أجبرته على الهجرة إلى ( القاهرة ) ، حيث عاش فيها حياة فقيرة بائسة للغاية ، وبخاصة أنه لم يكن يجيد أية مهنة أخرى ، ولم يحاول تعلم أي جديد ، مكتفيا بالبكاء والحسرة



على الأيام السابقة .. ووسط كل هذه المتاعب ، تزوج ( سليمان ) ببدوي من معارفه السابقين بالدوره في منزله الصغير للغاية ، المستقله في بؤس وانسحاق ، وراح يشكو له الفقر والعالمية والعذاب ..

واستمع إليه البدوي في اهتمام ، وأبدى تعاطفه التام معه ، ثم لم يلبث أن دعاه للسهر معه ، في محاولة لإخراجه من بؤسه وأحزانه ..

وكان من الطبيعي أن يشهد ( سليمان ) بشدة ، بكل ما شاهده وعاشه في تلك الليلة ، فقد كان رفيقه ينفق في سخاء مستفز ، ويشتري كل ما تطلب له النفس ، من طعام وشراب ، وكأنما لديه مورد لا ينضب من المال ..

وبكل البهجة ، سأل ( سليمان ) رفيقه عما يفعله ، وعن مصدر ثراءه الفاحش ، وقد عهده من قبل بسيطا قليل المال ، فابتسم البدوي ابتسامة غامضة ، وبدلاً من أن يجيب عن أسئلته ، طرح عليه سؤالاً آخر ، في لهجة ذات مغزى ، قائلاً :

ـ قل لي يا ( سليمان ) ألا ترغب في الحصول على عمل ، يدر عليك دخلاً كبيراً ؟..

هتف ( سليمان ) في لهفة :

ـ بالتأكيد ، ومن يرفض عرضاً كهذا ؟!

ثم استدرك قائلاً :

- ولكن .. أي عمل هذا .. الذي يعطي مالاً وافراً على هذا النحو ؟!

تلفت البدوي حوله ، قبل أن يميل نحوه ، ويجيب في حذر شديد :

- المخدرات .

فاجأت مفاجأة حقيقية الرجل ، إلا أنه لم يبد أدنى اعتراض ، وإنما مال في لهفة عما يبغي أن يقطه ، حتى يحظى بهذه الفرصة ، وتساءل في قلق عن المطلوب منه بالضبط ، ولكن البدوي طمأنه إلى أن الأمر بسيط للغاية ، وأن بإمكانه ما لا يطيق ..

وفي اليوم التالي مباشرة ، سافر الرجلان بوسيلة ما إلى ( سيناء ) للمهمة ، للحصول على المخدرات ، كما أكد البدوي ..

وفي ( سيناء ) ، كانت بانتظار ( سليمان ) مفاجأة أكثر عنفاً ، إذ وجد رفيقه يتلقى بضائع المخدرات الإسرائيلي ( ابن عازر ) ، الذي استقبلهما بترحاب واضح ، وبدأ حديثه معهما على الفور ، حول الكمية التي يحتاجان إليها من المخدرات ، وكيفية تهريبها إلى ( مصر ) ..

واستوعب ( سليمان ) الموقف في سرعة ، ولم يكد وجود ضابط المخابرات الإسرائيلي يلفته ، بقدر ما لفته سؤال واحد ، أقله بسرعة إلى لسانه ، قائلاً :



- وكم تريد ثمناً لشحنة المخدرات هذه ؟!

تراجع ( ابن عازر ) في مقعده ، وأجاب :

- مليونان .

هز الرجل أنه لم يحسن الاستماع جيداً ، فمال نحو الإسرائيلي ، متسائلاً :

- ماذا تقول ؟!

وهنا أجابه الإسرائيلي في وضوح مباشر :

- تستطيع المخدرات مجاناً يا ( سليمان ) بشرط أن تمنحنا بالمقابل كل ما بمقدورك الحصول عليه من المعلومات ، عن شعب ومجتمع وأرض ( مصر ) .. هل تناسبك هذه الصفقة ؟!

صمت ( سليمان ) يضع احتمالات ، ودرس خطورة الأمر في رأسه بسرعة ، فبدت له الصفقة مربحة للغاية ، إذ إنه سيحصل على مخدرات بآلاف الجنيهات ، دون أن يدفع قرشاً واحداً ..

فقط بعض المعلومات ..

إذن ، فقد كشف بحماس ملقط التشفير :

- إنها تناسبني بالتأكيد .

التقى معه (بن عازر) مساعدين آخرين، شرح له خلالهما نوع المعلومات المطلوبة بالضبط، وكيفية الحصول عليها، ثم ودعه مع تحديد موعد ثانٍ للقاء، وترك الرجلين يرحلان بصفقة المخدرات، لتهريبها إلى (مصر)، وهو يلهفه شغفاً من أصابعه، بعد أن ضرب عصفورين بحجر واحد ..

دفع المزيد من السموم للشباب وأبناء (مصر)، وقتل بجاسوس جديد في الوقت نفسه ..

أما (سليمان) فقد نجح في تهريب المخدرات عبر الحدود، وفي بيعها وتصريفها داخل (مصر)، في نفس الوقت الذي راح يجمع فيه كل المعلومات الممكنة، لنقلها إلى الإسرائيليين، دون أن يغفر لحظة واحدة في أنه قد تحول إلى خائن مزدوج ..

خان وطنه بنشر تجار السموم المخدرة بين أبنائه ..

وخانه مرة ثانية، عندما قدم معلوماته، ونقلها إلى العدو، في زمن الحرب ..

ولكن تلك المعلومات رفعت (تل أبيب) للإسرائيليين، واعتبروها شهادة نجاح للجاسوس الجديد، حتى إنهم أخضعوه دورة تدريبية خاصة، تعلم خلالها أصول التجسس، واستعمال الحبر السري في كتابة الرسائل، واستخدام الشفرة، واستقبال وبث الرسائل اللاسلكية،



وكيفية جمع المعلومات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وعقد الصداقات مع أصحاب المراكز الحساسة، بغض النظر عن أصولهم وأديانهم ..

وعندما عاد سليمان إلى (القاهرة) هذه المرة، حاملاً صفقة المخدرات الجديدة، كان قد تحول إلى جاسوس محترف تماماً، واستبدل شخصيته القديمة بشخصية جديدة تماماً، فتخلى عن زيه التقليدي، وارتدى الأزياء المدنية الأنيقة، واستأجر شقة فاخرة في (مصر الجديدة)، وابتاع سيارة من أحدث طراز، وتحول إلى زبون مستديم في كل أماكن اللهو والعبث الشهيرة .. بل طلق زوجته البدوية أيضاً، ليتزوج بدلاً منها حسناء عابثة، ألقى بها في أحد الملاهي الليلية ..

وبدأ النشاط راح (سليمان) يمارس عمليه القذرين بنجاح تام، وأصبحت تعاملاته في ترويج المخدرات، وفي جمع المعلومات والأخبار أيضاً، مما تحدث لقاءاته مع (بن عازر)، وراح يرسل بقية المعلومات عبر رسائل بريدية، مكتوبة بالحبر السري، إلى عنوان للمخابرات الإسرائيلية في (أثينا)، على نحو منتظم ..

ولسوء حظ (سليمان)، أو لمهارة رجال المخابرات العامة المصرية، فإن هذا العنوان السري في (أثينا) معروفاً لهم، مما ساعدهم على رصد الأمر، وتحديد نوع النشاط السري، الذي يقوم به الرجل في (القاهرة)،

وأكثر من عشرين كاميرا ، تراقب رجال المخابرات ( سليمان ) يمارس عمله القذر ، واقترضوا كل رسائله ، لكشف ما يرسله من معلومات ، وتجسسوا عليه ما يطلبونهم ، دون أن ينتبه ، أو يدرك رؤساؤه الإسرائيليون هذا ..

أما صفقات المخدرات ، فكان الرجال يتركونها تمشي ( مصر ) ، ثم يرسلون المعلومات عنها إلى إدارة مكافحة المخدرات ، ليتم إحباط عمليات ترويجها أو منعها بقدر الإمكان ..

ومن خلال مراجعته لكل المخابرات والمعلومات التي يرسلها ( سليمان ) إلى الإسرائيليين ، أدرك رجل المخابرات المصري ( عماد ) أنه أمام خائن مزدوج قذر ، لا يستحق أدنى شفقة أو رحمة ، لذا فما إن أصبحت الظروف ملائمة ، حتى طلب مقابلة رئيسه ، الذي استقبله بابتسامة عريضة ، قائلاً :

- إنها قضية ( سليمان ) .. أليس كذلك ؟!

أجابه ضابط المخابرات في احترام :

- بلى .. إنني أعتقد أن الوقت قد حان لإنهاء هذه العملية .. المرحلة الخامسة بالغة الخطورة ، ولا ينبغي أن نسمح له بنقل أية أسرار إلى عدونا .

وأومأ رئيسه برأسه ، وقال :



- هذا هو القرار ، الذي اتخذناه بالإجماع ، في اجتماع الأمس ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا في حزم :

- هيا .. اتخذ كل الإجراءات اللازمة ، واختر اللحظة المناسبة ، ووفقنا الله - سبحانه وتعالى - ..

وهكذا اجتمع الرجال ، ووضعوا خطة الإيقاع بالجاسوس ، وقرروا أن يتم إلقاء القبض عليه ، أثناء إرسال إحدى مخابراته ، التي تحوي المعلومات السرية ..

وكان المفاجأة ، وصلت إلى المخابرات معلومة خاصة ، عن طريق أحد عملائها ، تقول : إن إدارة مكافحة المخدرات تعد خطة لإلقاء القبض على ( سليمان ) ، خلال أربع وعشرين ساعة ..

وكان هذا يعني أن يسقط الرجال بتهمة الاتجار في المخدرات وترويجها ، وليس بتهمة التجسس لحساب دولة أجنبية معادية ، في زمن الحرب ..

والفارق رهيب في العقابين ..

لذا ، فقد اجتمع الرجال على عجل ، وناقشوا الأمر لساعة كاملة ، قبل أن يقول رئيسهم في حزم :

- لا يوجد سوى سبيل واحد يا رجال .. متابعة رجال مكافحة

المخابرات ، وتطلب منهم التفاضي عن إلقاء القبض على ( سليمان ) غداً ، حتى يمكننا الإيقاع به جاسوساً ، ليتسلم الجزاء الذي يستحقه ، وليعلم الإسرائيليون أننا قاطعنا أمره منذ البداية .. هذا مهم للغاية ، في هذه المرحلة ..

ولأن هذا ما استقر عليه الجميع ، فقد تم إسناد هذه المهمة للعقيد ( عماد ) الذي يتابع قضية ( سليمان ) منذ البداية ..

وكان ما كان ..

وتم إلقاء رجال مكافحة المخدرات القبض على ( سليمان سالم سليمان ) في اليوم التالي ، إثر تركه يتسلم صفقة المخدرات الجديدة إلى البلاد ، وتأثيره في دقة ، وهو يلقيها إلى عدة مخازن سرية ، سبق أن تم تأجيرها ، وتم تأثيرها في تحفظ تام ..

وتم بطل بهم الوقت طويلاً ..

لقد شعر ( سليمان ) بمزيد من النجاح والثقة ، بعدما نجح في إدخال أكبر شحنة مخدرات إلى البلاد ، فأقام حفلاً خاصاً ، احتفالاً بهذه المناسبة ، في أحد الملاهي الليلية ، أرتق فيه الخمر كالمعتاد ، وأفاق فيه عن سعة ، ثم عاد إلى منزله للنوم ، وقضى شطراً من الليل يكتب خطاباً جديداً للمخابرات الإسرائيلية ، يحوي كل ما جمعه من أسرار ومعلومات ، في الآونة الأخيرة ..



وكانت المعلومات بالغة الخطورة بالفعل هذه المرة ..

وإلى القسم هذا ..

وعندما استيقظ ( سليمان ) ظهر اليوم التالي ، كان يشعر بالانتعاش والثقة ، حتى إنه ارتدى أفضل ثيابه ، وخرج عامداً للخطاب ، ليرسله إلى ذلك العنوان في ( ألمانيا ) ..

وعندما بلغ صندوق الخطابات في ( مصر الجديدة ) ، إبعاداً في التمويه ، وامتدت يده للقى فيه ذلك الخطاب ، انطلقت أصابع قابضة تقبض على معصمه ، مع صوت صارم ، يقول :

ـ لا داعي .. نحن سنأخذ هذا الخطاب .

انتفض جسد ( سليمان ) في ارتياع ، وحاول أن يلقي الخطاب ، ولكن صاحب الأصابع القوية تابع :

ـ العقيد ( عماد ) .. من المخابرات العامة المصرية .. لقد ألقينا القبض بالفعل على العميد ( فوزان سليمان حسين ) ، شقيق زوجتك البدوية السابقة ، الذي لجأت في ضمه إلى عباءة القدر ، وهذا الخطاب سيحسم أمرك أيضاً .

ثم ابتسم في سخرية ، مستطرداً :

ـ وسنرسل نحن تحياتك إلى ( بن عنزر ) .



www.ahlas.com/vb3

انهار (سليمان) تمامًا، عند هذه النقطة، خاصة عندما رأى تلك الصور، التي التقطتها له المخابرات العامة، أثناء لقاءاته مع رجل المخابرات الإسرائيلي (بن عازر)، وصور كل خطاباته السرية، إلى مقر المخابرات الإسرائيلية في (أليتا)..

وكان من الطبيعي، والحال هكذا، أن يتلى (سليمان) باعتزاف كامل، تولاه بتوفيقه، في حضور وكيل نيابة أمن الدولة..

وأصدرت المحكمة العسكرية في (القاهرة) حكمها بإعدام (سليمان) وشقيق زوجته (فوزان)..

وفي يوم واحد، وقبل أيام قليلة من حرب أكتوبر 1973م، تم شنق (سليمان سالم سليمان)، وإعدام (فوزان سليمان حسين) رميًا بالرصاص..

وانتهت نهاية مزدوجة لقضية الخائن..

الخائن المزدوج..

* * *



# الخبـــــراء

ملء الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم، الثامن والعشرين من يناير، عام 1977م، بدا من الواضح، في أروقة جهاز المخابرات الإسرائيلي، أن الأمور لا تسير على نحو تقليدي أو مألوف، وأن أمرًا خطيرًا قد استقر بشاعر المسئولين هناك، ودفعهم إلى الاستيقاظ مبكرين، أكثر مما يلزم، وإلى الاجتماع في تلك القاعة، التي يطلقون عليها اسم (الحجرة المغلقة)، والتي يندر أن تعقد اجتماعاتهم فيها، إلا في ظروف الطوارئ القصوى، إلا أن أحدًا خارج تلك الحجرة المغلقة، لم يكن يدرك قط ما الذي يدور بالداخل، ولا ذلك الخبر البالغ الأهمية، الذي وصل في ساعة مبكرة من الصباح، وأدى إلى كل هذا..

أما في داخل الحجرة، فقد كان الموقف أكثر توترًا وقعاقعاً..

فأمام كل هؤلاء المسئولين الكبار، كان هناك تقرير عاجل من (المغرب)، يشير إلى أن الرئيس (السادات) قد طرح هناك فكرة إمكانية قيامه بزيارة لمدينة (القدس)، من أجل السلام، حقنًا للدماء، وحرصًا على مستقبل شعبه، الذي خسر سنوات عديدة من تاريخه في صراعات وحروب طويلة، أخرت خطة التنمية، وأساءت على أكثر البنية الداخلية، وإمكانات التطور والتحديث، والحاق بقطار تكنولوجيا النصف الثاني من القرن العشرين..

وكان ذلك التقرير بالغ الخطورة والأهمية ، على كل المقاييس ، بعد ثلاثين عاما من الصراع المتواصل ، كان من المدهش حقا أن يقرر زعيم عربي بهذا الأسلوب ، وأن يكسر ذلك الحاجز النفسي ، بين العرب وإسرائيل ، عبر هذا النحو الحاسم ، الحازم ، البات ..

وطوال أكثر من خمس ساعات متصلة ، راح مسئولو جهاز المخابرات الإسرائيلي يدرسون هذا التقرير ، ويفحصونه ، ويمحصونه ، ويناقشون كل حرف فيه ..

صحيح أن المعلومة كانت مباغتة وعجيبة ، إلا أنها تتفق مع بعض تقاريرهم السابقة ، التي أكدت أن ( السادات ) يخطط حقا لتنبية سياسية قوية ، بدءا بدايات عام 1977م ، حتى إن بعضهم كان يخشى أن تتحول تلك التنبية السياسية إلى قرار عسكري مفاجيء ، يشن حرب أكتوبر على ( إسرائيل ) ..

وعلى الرغم من كل هذا ، ومن الوقت الطويل ، الذي استغرقته رجال ( الموساد ) في دراسة الأمر ، إلا أنهم انتهوا إلى أنه من المستحيل تأكيد أو نفي هذا الأمر ، إلا بحدوثه أو عدم حدوثه فعليا ، الرئيس بمراجعته على مائدة الاجتماعات ، قائلا في حزم :

- الواقع أيها السادة أنه ليس أمامنا سوى الانتظار ..



وكان الأيام أثبتت لهم أن تلك المعلومة كانت صحيحة تماما ، فلم تمض أشهر معدودة على تلك الاجتماع ، حتى كان الرئيس ( السادات ) يقف في مجلس الشعب ، ويقول في حزم مقولته الشهيرة :

- إنني مستعد للذهاب إلى ( إسرائيل ) نفسها ، من أجل السلام ..

وقبل أن ينهي الرئيس المصري من خطابه هذا ، كان فريق المخابرات الإسرائيلي يجتمع مع رئيس وزراء ( إسرائيل ) ( مناحم بيجن ) ، ووزيره ( موشي ديان ) في ( الحجرة المغلقة ) ..

وفي هذا الاجتماع ، كان تبادل مطلب محدد ، من جهاز ( الموساد ) ..

تجنيد كل الإمكانات المتاحة ، للتجسس على الرئيس ( السادات ) ، عندما يصل إلى ( القدس ) ..

وفي حزم وصرامة ، رفض ( موشي ديان ) مسألة الاجتماعات بفريقه ، وهو يقول لرئيس الجهاز - في ذلك الحين - ( إسحق حوفي ) :

- ليست أريدها عملية مراقبة أو تجسس عادية .. بل أريدها عملية فنية من الطراز الأول ، على نحو لم يسبق له مثيل .. عملية ثابت لنا ، أننا وعلى الرغم من نجاح المصريين في خداعنا ، قبيل

حرب أكتوبر 1973م ، ما زالنا الخبراء في مخابراتنا .. بالتفصيل .. أريد أن أراقبه هنا لو أتتنا الفرصة فراقب البشر .. ارصدوا كل كلمة ، وكل حركة ، وكل نفس يتردد في صدره .. أريد أن أعرف كيف يتصرف هذا الرجل ويفكر ، في كل لحظة من يومه .

تنهد (حوقلي) ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- الأمر ليس بهذه السهولة يا سيادة الوزير ، فالمصريون ليسوا بالسهولة التي تتصورها .. لقد تطوروا كثيراً في السلوك الأخير ، وانصراع المستمر بيننا وبينهم أصقل تجاربهم وخبراتهم ، ولم يعد من السهل خداعهم .

بدا الغضب على وجه (ديان) ، وانتقل غضبه هذا بسرعة إلى رئيس الوزراء ، الذي لمح حاجبيه قد عقدا ، وقال لخبير رئيس المخابرات الإسرائيلي ، قائلاً :

- اسمع يا رجل .. الحكومة الإسرائيلية تنفق جهازك هذا ملايين الدولارات سنوياً ، فماذا تفعل هذا في رأيك ؟

تنهد الرجل دون أن يجيب ، فتابع (بيجن) في صرامة ، مجرى سؤاله :

- ألم تعتقد أن الجهاز ينفذ تنفيذ أي مطلب للحكومة ، مهما كان صعباً أو مستحيلاً .. أليس كذلك ؟!.. أليست هذه مهمة أي جهاز مخابرات ، في أية دولة ؟!



صمت (إسحق حوقلي) لحظات ، ثم أجاب مع تنهيدة أخرى :

- بالتأكيد يا سيادة رئيس الوزراء .. بالتأكيد .

وما إن غادر الرجلان مبنى المخابرات الإسرائيلية ، حتى طلب (حوقلي) عقد اجتماع عاجل مع رجاله ومعاونيه ، ليبحث كل ما لديهم من أدوات ومعدات التجسس والتنصت المتطورة ، ومدى إمكانية استغلال كل هذا للتحقيق ما طلبته الحكومة ..

وكان الاجتماع مغلقاً للأمثل إلى حد البعيد ..

فعلى الرغم من كثرة ما تملكه المخابرات الإسرائيلية في هذا المضمار ، إلا أن كل ما لديها من معدات من طراز معروف ، لدى بعض أجهزة المخابرات الأخرى ، ومنها جهاز المخابرات المصرية .

لذا ، فقد كان من الضروري أن يتم استيراد أدوات حديثة ، لم يتم تداولها بعد ، بحيث تعجز المخابرات المصرية عن كشفها والتعامل معها ..

ومن الأفضل - في هذا المجال - من المخابرات المركزية الأمريكية ؟!..

وفي الوقت نفسه ، الذي عقد فيه (مناحم بيجن) مؤتمره



www.liilas.com/vb3

المسجلى الشهير ، فى فندق ( هيلتون ) ، فى ( تل أبيب ) ، فى العشرين من نوفمبر ١٩٧٧م ، لتوجيه دعوته الرسمية لسادات ( السادات ) لزيارة ( القدس ) ، كان رجال المخابرات الإسرائيلية يستقبلون طائرة خاصة ، تحمل إليهم أحدث أجهزة المراقبة والتنصت والتصوير الدقيق ، من الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة ..

وتقرر أن يقيم الرئيس ( السادات ) فى الجناح الرئاسى الخاص ، فى فندق ( الملك داود ) ، وبدأ ( الموساد ) فى الاستعداد لتنفيذ خطته ..

وكان الرئيس ( السادات ) رفض الدعوة الشفهية ، وأصر على أن يتسلم دعوة رسمية موثقة ، مما دعا رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى إرسال تلك الدعوة الرسمية للسفير الأمريكى فى ( تل أبيب ) ( سام لويس ) ، فى الخامس عشر من نوفمبر ..

وهنا فقط قبل الرئيس ( أنور السادات ) الدعوة ، وقرر وصوله مساء السبت ، التاسع عشر من نوفمبر إلى ( القدس ) ..

وبدأ التنفيذ الفعلى للخطة ..

ففى ساعة مبكرة من صباح السادس عشر من نوفمبر ، وقبل ساعة كاملة من شروق الشمس ، أبلغ رجال ( الموساد ) المسئولين عن إدارة فندق ( الملك داود ) ، وطلبوا منهم استخدام الجناح الرئاسى ،



لأن سيقيم فيه الرئيس ( السادات ) ، لأمر بالغ الأهمية والخطورة والسرية ، وحذروهم من مجرد الإشارة إلى هذا ، وإلا تم تطبيق قانون إفشاء أسرار الدولة عليهم بلا رحمة ..

وارتجف مسئولو الفندق ، وخشوا أن تكون هناك خطة لاغتيال الرئيس المصرى فى فندقهم ، مما سيسىء إلى سمعتهم إلى الأبد ، إلا أن رجال المخابرات الإسرائيلية أكدوا لهم أنه لا علاقة للأمر بالاغتيال من قريب أو من بعيد ..

وبسرعة ومهارة ، انتشر أكثر من ستة من خبراء المخابرات الإسرائيلية ، فى الجناح الرئاسى بالفندق ، وراحوا يزرعون أجهزة التنصت والتصوير الدقيقة ، فى أكثر من أربعين مكانًا داخل الجناح ..

لقد انتزعوا أجزاء من الحوائط والأثاث ، والأرضيات ، وزرعوا داخلها وبدقة أجهزتهم ، ثم أعادوا كل شىء إلى ما كان عليه بمهارة مدهشة ، بحيث صار من المستحيل أن يلاحظ الفاحص الدقيق أى شىء ..

وفى ثقة وظفر وارتياح ، غادر خبراء ( الموساد ) جناح الرئيس ، وانتقلوا إلى حجرة فى مبنى مجاور ، احتلها طاقم فنى ، قام بتشغيل كل الأجهزة ، وتجربتها أكثر من مرة ، قبل أن يبلغ رئيسه أمر تجارب التشغيل إلى مدير جهاز المخابرات شخصيًا ..

وتم بالفعل (إسحق هوفي) يتلقى الخبر، حتى طار به إلى (بيجن) و(ديان)، وظل بالبنسفة تحمل كل ثقله وارتباكه:

- كل شيء على ما يرام.

وانتقل ارتباكه إلى الرجلين، وبخاصة (ديان)، الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة، على شاشات المراقبة..

ولم يطل سوى وصول الرئيس (السادات)..

ولكن الصورة في (القاهرة) ظلت تختفي عنّي..

فالرجال هناك كانوا يدركون جيدًا، بحكم دراستهم وخبراتهم وتاريخهم، أن الإسرائيليين سيبذلون قصارى جهدهم حتمًا، لمراقبة الرئيس (أنور السادات)، والتنصت عليه، طوال فترة إقامته في (القدس).

الرئيس نفسه كان وفقًا لمعلوماتهم سيلتقي، بعد قليل، مع مدير جهاز المخابرات المصري، وناقشا الأمر طويلاً، قبل أن يلتفت الرئيس لدخان غليونه الشهير، ويقول لمدير المخابرات بنبرة ذات مغزى:

- لاحظ أن الإسرائيليين خبراء في هذا المجال.

ابتسم مدير المخابرات في هدوء واثق، وهو يقول:

- نحن أيضًا لدينا خبراؤنا يا سيادة الرئيس.



أكد الرئيس مرة أخرى:

- لديهم أجهزة حديثة حتمًا.

أومأ مدير المخابرات برأسه متفهمًا، وقال:

- اطمئن يا سيادة الرئيس.

انشغل الرئيس (السادات) بغليونه مرة أخرى، وانهمك في إشعاله، فعاونه كلما أراد أن يمنح نفسه مهلة للتفكير، ثم قال في حزم:

- لا أريد أن أفكر، قبل أن أتلقى تغذية مصرية صميمة.

كرر مدير المخابرات في حسم واثقة:

- اطمئن يا سيادة الرئيس.. سنتلقى كل ما يحلو لك هناك.

وغادر المدير المكان عائدًا إلى جهاز المخابرات المصري، ولم يك يصل إليه، حتى عقد اجتماعًا عاجلاً مع رجاله، وظل إليهم الملف الرئيس، ثم أدار عينيه في وجوههم، قائلاً:

- هذه العملية ليست مجرد عملية تأمين نجاح الرئيس في قلب (القدس)، وإنما هي إعلان لقدرتنا وكفاءتنا، ولأن عهد التفوق الإسرائيلي قد ولّى ومضى إلى الأبد..

وتلقى الرجال تعليمات المدير بمنتهى الحماس ، ودون إضاعة لحظة واحدة ـ لعدتهم ـ انتقلوا إلى مرحلة العمل ..

وفي عالم المخابرات ، يبدأ دائماً بجمع المعلومات ..

كل ما يمكن من المعلومات ..

وبديهة لا مثيل لها ، إلا في أدق مراحل الحروب ، تشكلت شبكة فاعلة من عملاء جهاز المخابرات المصرى ، في كل أنحاء العالم ، لجمع أية معلومات حول نظم التجسس والتنصت الحديثة ، وأية معلومات سرية ، تم طلبها في هذا المضمار ، في أية بقعة من العالم ، وتحت أية مسميات أو مبررات ..

وإزاء أية أجهزة مهما بلغت حداثتها ودقتها وخطورتها ، مجرد أدوات ، يتم تصميمها وإعدادها وإنتاجها في مكان ما ، فهي فى النهاية تخضع ـ على الرغم من سريتها ـ لما يطلق عليه اسم ( التجسس الصناعى ) ، وهو ذلك الفرع من التجسس ، الذى يسعى خلف كل جديد وحديث ، في عالم التكنولوجيا والصناعة ، لكشف أسراره ، والاستيلاء على أفكاره وتصميماته في سباق المنافسة الصناعية ، الذى يفوق أى سباق آخر ..

وهذا يعني أن التوصل إليها عسير ..

ولكنه ليس مستحيلاً ..



وفي الوقت نفسه ، الذى قامت فيه تلك الشبكة بمهمتها ، كان هناك فريق آخر من الرجال ، يسجن نفسه داخل حجرة كبيرة ، في مكان ما في جهاز المخابرات المصرى ، وأمامه التصميمات الأولية لفندق ( الملك داود ) ، ورسم مكبر خاص لجناح الرياسة ، المعد للزائرين ( السادات ) ..

وكان هذا الفريق من الرجال يدرس كل شبر في الفندق ، وكل سنتيمتر من الجناح ، بالتحديد كل الأماكن المحتملة ، لزرع أجهزة التنصت والمراقبة والتجسس ..

والواقع أن الجميع كانوا يؤدون بعملهم بمنتهى الدقة والمهنية والنشاط والبراعة ، و ... والسرعة ..

فجميع كل الاجراءات ، التي يتوجب اتباعها ، وكل المعلومات التي يستلزم الحصول عليها ، لم تكن المهمة الممنوحة لهم تتجاوز الأربعين ساعة بالتمام والكمال ..

ففي صباح الخميس السابع عشر من نوفمبر ، وطبقاً لكل الأعراف والقواعد الدبلوماسية والرسمية ، وصلت إلى إسرائيل ، في ساعة مبكرة للغاية ، طائرة رسمية مصرية ، تحمل على متنها ستين رجلاً ، مع عدد من الصناديق ، يبلغ وزنها أكثر من مائة طن ..

وكانت تلك الطائرة تحمل الطاقم الإداري والأمني ، طبقاً للإجراءات المتعارف عليها ، لترتيب وتأمين زيارة الرئيس ( السادات ) ..

وأول مرة يبدأ القلق والقلق القلة يتسلل إلى الإسرائيليين ، خاصة أن أجهزتهم الأمنية لم يسبق لها أن تتعرف إلا على رجل واحد ، من بين الرجال السبعين ، وهو وزير الدولة المصري لشئون الرياسة ( حسن كامل ) ..

أما الباقية ، فكانوا مجهولين تماماً لكل أجهزة الأمن الإسرائيلية ، التي استطاعت هذا وأقلقها ، وأثار في أعصابها عشرات التساؤلات عما تحويه تلك الصناديق ، التي يستحيل فتحها وفحص محتوياتها ، طبقاً للأعراف الدولية أيضاً ..

وعندما وصل ذلك الفريق إلى فندق الملك ( داود ) ، تسلط الإسرائيليون على القصور ، من أنه يضم نخبة من أفضل خبراء الأمن المصريين ، فقد انتشر الرجال بسرعة مدهشة في المكان ، وانتشروا في الفندق كله ، وراحوا يقومون بعملهم في دقة ومراعاة ، أثارت قلق وإعجاب الإسرائيليين ، على الرغم منهم ..

فقال شيرء ثم حسابه بدقة بالغة ، وعلى نحو يوحي بأن هؤلاء الرجال كانوا يقيمون في هذا الفندق بالتحديد منذ مولدهم ..



مجموعة منهم عملت على تأمين كل المداخل والمخارج ، وفحصت وحدات القدق وطرقاته ، وحتى الشوارع المحيطة به ، ومجموعة أخرى خرجت لدراسة خط سير موكب الرئيس ، وتدريب سائقه وحرسه الخاص على التصرف ، في أخطر مواقف الطوارئ المحتملة ، ومجموعة ثالثة راجعت كل التوصيلات الكهربية بالفندق ، وقامت بتركيب مولد كهربي احتياطي ، تحسباً لأية محاولة متعمدة لقطع التيار ..

ولقد نجحت تلك المجموعات الثلاث في قلق الإسرائيليين ، الذين اعتبروا مثل هذه الأمور ..

المجموعة الرابعة وحدها أشعلت كل قلقهم ، وفجرت كل المخاوف الكامنة في أعماقهم ، وجعلت قلوبهم بلغم المرقبة التي تهوي بين أضلاعهم ..

إنها تلك المجموعة ، التي بقيت داخل الجناح ..

فأمام الأعين المذعورة لرجال الطاقم الفني ، كان أفراد تلك المجموعة ينتشرون داخل الجناح في سرعة ومهارة ، ويفحصون كل شبر من جدرانه ، وأرضيته ، وأثاثه .. وحتى دورة مياهه الواسعة ..

وفى ارتياح ، أجرى رئيس فريق المراقبة اتصالاً بالسيد ( النوسة ) ، وقال :

ـ سيدى .. لست أدرى أى رجال هؤلاء .. الذى أتى به المصريون ، ولكنهم نجحوا حتى الآن فى تحديد مواقع ثلاثين جهازاً من الأجهزة التى تم زرعها فى البطاح ، خلال خمس وأربعين دقيقة فحسب .

قطع حديثه مدير جهاز المخابرات الإسرائيلى فى ذهول ، قائلاً :

ـ مستحيل .. إنها أحدث أجهزة فى العالم ، ورجالنا قاموا بتحديد غير قليل ، فكيف تمكن المصريون من ...

قاطعه الرجل ، دون أن ينتبه من فرط انفعاله ، إلى ما فى هذا من مجافاة للذوق والتقاليد :

ـ لقد فعلوها يا سيدى .. إنهم أكثر دهاءً وبراعة من كل ما تصورناه .. صدقنى .. لو أنك تشاهد ما أشاهده الآن ، لم يشع صدرك لمثل ما قلت قليلاً .

ولم يكن المدير بحاجة فعلاً لرؤية ما يراه رئيس الطاقم الفنى للمراقبة ، حتى يشعر بما يعنيه هذا الأخير ، فقد ارتفعت دقات قلبه بالفعل ، حتى خيّل إليه أنها صارت تُسمع بوضوح ، عبر فى مبنى المخابرات كله ..



وبعد خمسين دقيقة أخرى ، عاد قلب الرجل يتوقف بين ضلوعه ، عندما أعاد رئيس الطاقم الفنى الاتصال به ، قائلاً فى أسى :

ـ لم نعد نرى أو نسمع شيئاً يا سيدى .. لقد انتزع المصريون كل ما وضعناه ..

وفى بطء ، أنهى المدير المحادثة ، ثم اتصل بالوزير ( ديان ) شخصياً ، وقال عبارة واحدة :

ـ المصريون أصدوا كل شىء .

وفى اللحظة نفسها ، التى نطق فيها عبارته ، كان فريق القيراء المصرى يضع اللمسات الأخيرة لعمله الرائع .

لقد أعادوا كل شىء إلى ما كان عليه ، بمنتهى الدقة ..

الجدران .. الأرضيات .. الأثاث ..

كل شىء ..

وفى مساء التاسع عشر من نوفمبر 1977م ، تابع العالم أجمع وصول الرئيس ( السادات ) إلى ( القدس ) ، وتلقته بالقبلة الإسرائيليون وجهاً لوجه ، ورأى العالم المصرى يخلق فى قلب ( إسرائيل ) ..

ولكن ما لم يره العالم فى تلك الليلة ، هو لحظة وصول الرئيس إلى جناحه ، فى فندق ( الملك داود ) ، عندما أدار عينيه فى المكان ، قبل أن يقول لرئيس طاقمه الأمنى فى هدوء :

- لحضرتي الآن ثلاثة مصرية قديمة .

ابتسم الرجل ، وهو يجيب الرئيس :

- يمكنك أن تلقى هذا كل ما تشاء من تلك مصرية يا سيدى الرئيس .

وبلغت دخان الفيونه في سماء الجناح وكأنه يقول للإسرائيليين إنهم قد أدركوا اليوم فقط من هم المصريون ..

الخبراء الحقيقيون ..

المصريون !

* * *



## الخطـــر

استيقظت قرية (نوسا قليط) التابعة لمركز (أجا) ، بمحافظة (الدقهلية) ، تعانقها مع مشرق الشمس ، في ذلك اليوم في بداية الأسبوع ، في منتصف شهر مارس عام 1998م ، وسرعان ما دبت النشاط في طرقاتها ، والذين يستعدون لركوب وسائل المواصلات المختلفة ، للذهاب بأعمالهم في مركز (أجا) ، أو في مدينة (المنصورة) ، التي تبعد بضعة كيلومترات عن القرية ، في حين اتجه عشرات آخرون إلى حقولهم ، ليحرثوا ويزرعوا تلك الأراضي ، التي ورثوها عن أجدادهم وعرق آبائهم وأجدادهم ، منذ عشرات السنين ..

وراح الوقت يمضي بسرعة كالمعتاد والجميع منهمكون في إنهاء أعمالهم في القرية ، حتى منتصف النهار .

وفجأة وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً ، اقتحمت سيارات الشرطة ، المحملة بجنود الأمن المركزي القرية ، وأغلقت مداخلها ، ونزل الجنود منها ينتشرون في القرية ، ويحتلون أسطح منازلها ، وأعلن حظر التجول فيها ، وسط ذهول وفزع الأهالي ، الذين تساءلوا ، في مزيج من الدهشة والحيرة والخوف ، عما يحدث في قريتهم ، وعن السبب الذي دعا الشرطة لمعاملتها على هذا النحو ؟!

وعلى الرغم من الحصار وحظر التجول ، انتشرت في القرية بأسرها الأقاويل : أن رجال الشرطة حاصروا منزلاً بعينه ..

منزل راقيه متطوّع سابق ، في البحرية المصرية ، ترك الخدمة وأحيل إلى المعاش ، منذ سنوات عديدة ..

وتساءل أهالي القرية مرة أخرى عن سبب هذا الإجراء ..

وقبل أن تطول تساؤلاتهم ، لم تتجه إلى مواضيع جديدة ، فقد سيارة كبيرة ، تقل عدداً من الرجال ، ويرافقهم ابن القرية ، صاحب ذلك المنزل المستقل ، المكون من طابق واحد ، والذي يحيط به رجال الأمن المركزي ..

واتجهت السيارة إلى ذلك المنزل مباشرة ..

وفي ذل وانكسار ، هبط صاحب المنزل ( عبد المنعم عبد الحليم على حامد ) ، من السيارة ، واتجه مع الآخرين إلى داخل المنزل .

ولا أحد يدري كيف توصل أبناء القرية ، داخل منازلهم ، إلى هؤلاء الرجال ، الذين وصلوا مع ( عبد المنعم ) ، هم عدد من محققي النيابة ، ولكن معرفتهم بهذا زادت في حيرتهم وتوترهم ، وأطلقت في أعماقهم سؤالاً جديداً .. ما الذي فعله ( عبد المنعم ) ، حتى يحدث كل هذا ؟!



أن جرم ارتكبه ، بحيث يتم حصار قريته ومنزله ، ويحيط به عدد من محققي النيابة على هذا النحو ؟!

وبسرعة أيضاً أتى الجواب ..

وأتت معه صدمة عنيفة ، تقل قراء في القرية ..

فالجرم الذي ارتكبه ( عبد المنعم ) كان رهيباً ، وأكثر من المتوقع بكثير ..

هذا لأنه لم يرتكبه ضد نفسه فحسب ، بل ضد أسرته ، وقريته ، ووطنه كله أيضاً ..

لقد كان ( عبد المنعم ) جاسوساً ..

جاسوساً لحساب المخابرات الإسرائيلية ..

ويا لها من مفاجأة !!

من العجيب أن ( عبد المنعم عبد المنعم على حامد ) قد بدأ حياته على نحو مشرف للغاية ، فقد تطوع للعمل في القوات البحرية المصرية ، وترقى فيها حتى حصل على درجة رقيب ، واشترك في حرب الاستنزاف ، وبعدها حرب أكتوبر 1973م ، وواصل عمله بعدها ، حتى ترك الخدمة ، وتمت إحالته إلى المعاش ، في عام 1978م .



www.liilas.com/vb3

وبعد تركه الخدمة ، وبناءً على خبرته السابقة في الشئون البحرية ، لجح ( عبد الملك ) في الحصول على وظيفة بحكم بها العاديون ، على إحدى السفن التابعة لشركة استثمارية شهيرة في ( الإسكندرية ) وكان من الممكن أن يترقى فيها أيضاً ، ويبلغ منصباً يحسده عليه أقرانه ..

إلا أنه لم يفعل ..

شيء ما في أعماقه كان يرفض الالتزام بأي عمل رسمي منتظم ، بعد خروجه من القوات البحرية ، يثقل التزاماتها ، والضبط والربط فيها ..

وبسبب تمرده هذا ، لم تلبث الشركة أن استغنت عن خدماته ، فعاد إلى منزله في ( نويبا القبلية ) ، حاملاً مكافأة نهاية الخدمة المتواضعة ، وكثيراً من الغضب والحنق في أعماقه ، لا حدود لهما ..

والفترة ليست بالقصيرة ، راح ( عبد الملك ) يبحث عن عمل جديد يشبع طموحاته ، التي تضاءلت وتضاءلت ، ومضت أمامها كل القواعد والأعراف ..

وحتى المبادئ ..

وعن طريق البريد ، خاطب ( عبد الملك ) واحدة من شركات الملاحة الإسرائيلية ، تفصل على متن إحدى سفنها ، وراح ينتظر



الجواب على آحر من الجمر ، إلا أن تلك الشركة الإسرائيلية تجاهلته تماماً ، ولم تكلف حتى نفسها عناء الرد عليه ..

وشعر ( عبد الملك ) مرة أخرى بالسخط والغضب ، وكاد لم يتوقف عندهما هذه المرة ، وإنما قرر اقتحام مجال عمل جديد ، عل يطفئ نيران نهمه ويروي طموحاته المتضخمة ..

وسافر ( عبد الملك ) إلى ( ليبيا ) ..

ولعدة سنوات ، استقر به المقام هناك ، والتحق بعمل ملائم ، يدين لا بأس به ..

وكان من الممكن أن يستمر في عمله هذا بنجاح ..

لولا تلك الشرارة في أعماقه ..

تلك الشرارة من الجمرة الشرسة ، والطموح الكبير ، الذين جعلاه يمل وظيفته ، ويرفضها في عنف ، ثم يتخذ قراره بالتوسع لنشاطه ، ويقتحم مجال تجارة الجملة وكان الضحايا بين ( مصر ) و( ليبيا ) ..

وكانت فترة قصيرة للغاية حقق عمله بعض النجاح ، وبدا كأنه يبشر بالخير ، إلا أن ( عبد الملك ) لم يكتف في السير بتجارته في الطريق المستقيم ، وإنما لجأ إلى بعض الأساليب الملتوية ، وغير القانونية ، و ...

وجاءت الشرطة بغتة ..

انهار نشاطه ، وأفلست تجارته ، وخسر مبلغا ضخما من المال ، بسبب أساليبه الملتوية ، وطموحاته الوحشية ، التي أعمت عينيه عن الخطوط الواضحة للعمل الجاد والشريف ..

والعجيب أنه ، ومثلما عودته إلى ( مصر ) ، بعد فشل تجارته ، التجه بتفكيره ، كله إلى آخر مكان لا يمكن أن يخطر ببال شخص طبيعي ، للبحث فيه عن عمل ..

إلى ( إسرائيل ) ..

ولقد بدأ ( عبد الملك ) جهوده مطمئنة بحق ، للسفر إلى ( إسرائيل ) بدءاً من أوائل عام 1994م ، وحتى أوائل عام 1995م ، عندما نجح في السفر إليها ، وبدأ عمله في ( إيلات ) ، في مجال نقل مواد البناء ..

وهناك التقطت طموحاته ، وأزدهرت إسرائيل ، وبدأت له طريقا ، ووجدت المجال المناسب لتأجج ثرواتها ، والتحول إلى واقع ملموس ..

وأنه طموح ، مثابر ، مشاغب ، ولا يقيم للمبادئ والأخلاقيات وزنا ، فإن من الطبيعي أن تتجه إليه عيون خاصة ، في قلب ( إسرائيل ) ..

عيون المخابرات المصرية ، التي تتصيد مهمتها على فرز وتصنيف المصريين ، الذين يأتون بحثا عن عمل في ( إسرائيل ) ، وتحديد العناصر الصالحة



منها للتجنيد ، والعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية بأنواعها ، سواء الخارجية ( أمان ) ، أو ( الموساد ) ..

وبدأت عملية فرز وتصنيف ( عبد الملك ) بعد أيام قليلة من وصوله إلى ( إسرائيل ) ، وعمله في ( إيلات ) ..

وبعد مراقبة دقيقة ومدروسة ، تأكد رجال المخابرات الإسرائيلية أنه شخص مناسب تماما للتجنيد ، خاصة أنه يبحث عن المال ، دون البحث أو الاهتمام بمصادره ..

وذات يوم ، وبينما كان ( عبد الملك ) يمارس عمله ، اقترب منه شخص ما ، وسأله بالعربية ، وبلهجة خالصة :

ـ هل يروق لك هذا العمل ؟

التفت إليه ( عبد الملك ) بتقطيب حاد ، قبل أن يسأله :

ـ أنديك عمل آخر ؟!

أرتسمت على شفتي الرجل ابتسامة خبيثة ، وهو يجيب بالإيجاب :

ـ بالتأكيد ، ولكن ...

قاطعه ( عبد الملك ) في لهفة ، تخفت طبيعته الشرهة :



www.liilas.com/vb3

- لا تقل لذلك .. لقد أتى عن ذلك العمل الجديد فحسب ، صدقني دخله يفوق دخل عملي هذا .

تلفت الرجل حوله ، وهو يجيب :

- ليس هذا .. المكان غير مناسب .. دعنا نلتقي في المساء ، بعد انتهاء العمل ، في نهاية شارع الميناء .

قالها الرجل ، وانصرف بخطوات واسعة سريعة ، بعد أن أدى التحية واللقاء والتفويض في أعناق ( عبد الملك ) ، الذي أدرك على الفور أن ذلك العمل ، الذي تحدث عنه الرجل ، ليس عملاً عادياً ..

وقفزت إلى ذهنه فكرة الجاسوسية ، ولكنه لم يرفضها تماماً ، وإنما تساءل :

- لماذا لا يمارسها دون أن يسقط في هوية المخابرات المصرية ؟!

وعلى الرغم من أنه لم يحسم هذا التساؤل تماماً ، إلا أنه ذهب لمقابلة الرجل ، في نهاية شارع الميناء ، ووجد معه شخصاً آخر ، استقبله بابتسامة كبيرة ، ثم تبعث الارتياح في نفسه ، ولكنه رحب به في حرارة ، وانطلق مع الرجلين سيارة كبيرة ، ذات نوافذ داكنة ، انطلقت بهما مبتعدة ، والشخص الجديد يتبادل الحديث مع ( عبد الملك ) في اهتمام ..



وقبل أن تصل السيارة إلى وجهتها ، كان ( عبد الملك ) قد أدرك أن الرجلين اللذين يشاركانه رحلته الغامضة ، يعملان في المخابرات الإسرائيلية ..

وأيهما يسعيان لتجنيده ..

وعلى الرغم من أن ( عبد الملك ) كان يتوقع هذا ، إلا أن المعرفة المباشرة تركت أثرها على وجهه وصوته ، اللذين شحبا على نحو ملحوظ ، وهو يسأل عن بعض التفاصيل ، التي بدأها بسؤال بالغ الأهمية بالنسبة إليه :

- هل ستدفعون بالدولار ؟

ابتسم أحد الرجلين في دهاء في حين قهقه الثاني ضاحكاً في قوة ، قبل أن يربت على كتفه ، قائلاً :

- ما باقي يا رجل .. ما باقي ..

زمجر ( عبد الملك ) ، وهو يقول في شيء من الشراسة :

- إنني أربح ما باقي بالفعل ، من عملي هذا .

تبادل الرجلين نظرة صامتة ، ثم أجابه الأول :

- مستريح من العمل الجديد ما يزيد كثيراً ، ولكن ..



www.liilas.com/vb3

هتف ( عبد الملك ) في عصبية :

- لكن مرة أخرى ؟

أجابه الرجل في صرامة :

- بالطبع .. إننا لسنا مؤسسة خيرية .. سنربح منا الكثير ، ولكن الشرط أن تمنحنا الأكثر .. كل ما لديك ، وما ستحصل عليه من معلومات عسكرية ، ومدنية .

غابت تموجاته مباشرة أكثر مما ينبغي ، حتى إن ( عبد الملك ) صمت بضع لحظات في شحوب ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، وسأل :

- ومتى تبدأ ؟؟

كان يسوؤه هذا بصورة أشبه من سؤال التورتيلا ، الذي اشتهر أثناء حرب الاستنزاف ، ومعركة أكتوبر ، إلى قائمة الخونة والجواسيس ، الذين سقطوا في هاوية الخيانة والعار ..

وفي أحد الأماكن التابعة للمخابرات الإسرائيلية ، التقى ( عبد الملك ) ببعض ضباط جهاز المخابرات الإسرائيلية ، الذين عاودوا معه عدة اجتماعات ، وراحوا يلقنونه كل أساليه إلى بعض الأسرار والمعلومات العسكرية ، الخاصة بالقوات البحرية المصرية ، والمنشآت العسكرية ، وقواعد الجيش ، وعن النظم المتبعة في



السلاح البحري ، وطرق التدريب ، والشفرة ، والبلاغ التي تنقل إليها أثناء عمله ، وشرح لهم بعض المهام التي قامت بها البحرية المصرية ، في حرب ١٩٧٣م ، ووصف لهم بعض القطع البحرية ..

وفي نهاية الاجتماعات ، أسند إليه رجال المخابرات الإسرائيلية بعض المهام الخاصة ، وعلى رأسها جمع المعلومات عن قاعدة ( لمبلوا ) العسكرية في مدينة ( المنصورة ) ، والتي تبعد عن قريته بضعة كيلومترات ..

وعاد ( عبد الملك ) إلى ( مصر ) ، للقيام بعمله الجديد الكثير ، وتكرر سفره إلى ( إسرائيل ) عدة مرات ، وتعمد ألا يمكث فيها أكثر من شهرين في كل مرة ، باستثناء مرة واحدة ، قضى خلالها في ( إسرائيل ) سبعة أشهر كاملة ، وهي تلك الفترة ، التي تلقى فيها تدريبات التجسس الأساسية ..

وشعر الرجل أنه حقق طموحاته أخيرا ، وتحول على العمل الذي يسعى إليه ، دون أن يهتم كثيرا بالمال ، الذي دأبه للحصول على المال ..

أمن وطنه ، وسلامته ، وأسراره ..

الشيء الوحيد ، الذي لم يتنبه إليه ( عبد الملك ) ، ولم يدر به في حينه ، هو أن العيون الإسرائيلية لم تكن العيون الوحيدة ، التي تعمل في ملف ( إسرائيل ) ..

كانت هناك عيون أخرى ، أكثر حدة وقوة ، وبراعة ..

عيون صقورنا ..

صقور المخابرات العامة المصرية ..

فمنذ اللحظات الأولى ، التي بدأت فيها محاولة تجنيد ( عبد الملك ) رصدت عيون المخابرات المصرية الأمر ، وراحت تتابعه في كل واهتمام ، بل إن لم نبالغ لو قلنا إنها حولت تحذيره ، وإنذاره من السير في طريق الخيانة ، بأساليب غير مباشرة ..

ولكن الرجل كان مصراً على المضي في طريق الخيانة ..

ذلك الطريق الذي انتهى به فجأة وبعد ما يزيد قليلاً على عام واحد ، إلى نهاية لم يكن يتخيلها أو يتوقعها قط ..

فذات يوم ، عقب عودته إلى ( مصر ) ، قادماً من ( إسرائيل ) وبينما يتجه إلى مبنى أمن الدولة ، الذي اعتاد التردد عليه بعد رجوعه في كل مرة ، وإجراء بعض التحقيقات التقليدية معه ، استوقفه رجلان غريبان ، وقبل أن يعترض حتى ما فعلاه ، أبرز أحدهما هويته ، وهو يقول في صرامة :

- لا تتحول يا ( عبد الملك ) .. أنا ( من ... م ) .. من المخابرات العامة المصرية ..

وهنا سقط ( عبد الملك ) في بئر الخيانة بسرعة ، انهارت أعصابه



أيضاً بسرعة ، أسلم رجال المخابرات المصرية ، حتى إنه لم يحاول إنكار الموقف ، وإنما راح يدلي باعترافات مباشرة وصريحة ، أسلم نهاية أمن الدولة العليا ، شارحاً كل ما حدث ، حتى أدق تفاصيل لقاءاته مع ضباط المخابرات الإسرائيلية ..

وبعدها انتقل محقق النيابة إلى قريته ، للقبض عليه ، وإجراء معاينة مباشرة ، وعمل مواجهة بينه وبين أفراد أسرته ..

وانهارت الأسرة ، في مواجهة هذه الحقيقة الرهيبة ، وخاصة ابنتيه ( دعاء ) و( هند ) الطالبتين في الجامعة ، وابنه ( محمد ) طالب بمدرسة الصنايع ، وابنه ( إسلام ) في الابتدائية ..

لا أحد منهم صدق أن والده جاسوس لحساب ( إسرائيل ) ، خاصة أنهم كانوا يعارضون بشدة سفره إليها ، على الرغم مما يدره عليهم ، من رخاء حقيقي .. بحيث أصبح أبناء القرية العائدين من إسرائيل هربوا من القرية ، إثر انتشار قصة ( عبد الملك ) ، خشية أن تكون هناك أوامر أمنية بملاحقة العائدين من ( إسرائيل ) ..

وبطبيعة الحال ، راح أبناء القرية يتابعون محاكمة ( عبد الملك ) ، وكان منهم يواظب في أعماله ، ويراجع مواقفه السابقة ، وليهاتفه عبر المحمول على السفر والعمل في ( إسرائيل ) ..

وصار الحكم بمعاقبة ( عبد الملك ) بالأشغال الشاقة ، لتفريط في خيانته للوطن الذي أويه ، والذي منحه يومًا كل الشرف والفخر ، فدانهما بقذيه ، ووصفهما بالنجس والعار ..

ومع سقوط الجاسوس ، استشعر الجميع ذلك الخطر ، الذي يكمن في التكالب على جمع المال ، دون النظر إلى مصادره ، أو الدولة التي تعلمه ، والذي قد يؤدي بصاحبه في النهاية إلى الوقوع في بئر الخيانة ، وهاوية العار .

وهذا هو الخطر الحقيقي .. كل الخطر .

* * *



# الدليـــل !

لاحظت أنفاس ذلك الشاب ، الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد ، وهو يستقل سيارة من سيارات الأجرة ، في ميدان « رمسيس » ، ويقول لقائدها في صوت متوتر مضطرب :

- مبنى المخابرات العامة .

منذ ثلاثين عامًا مضت ، كانت العبارة تعني الإصابة بمشاعر التناقض بشكل ما بعد ذعر ، وكأنما يطلب منه الراكب الاتجاه إلى قلعة للذباح أو الموت ! ولكن في تلك الفترة في أواخر الستينيات ، وبعد أن ذاق الشعب المصري انتصار أكتوبر العظيم ، وأدرك ، عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ، ما فعله جهاز المخابرات العامة للحصول على كل المعلومات اللازمة للنصر ، ولخداع العدو الإسرائيلي ، الذي لم يدرك ، أو حتى يتصور ، حتى آخر لحظة ، أن المصريين سوف يقومون بلفتة تجتاح بها غروره ، وأسطورة جيشه الزائف ، الذي ادعى أنه لا يهزم أبدًا !

بعد كل هذا ، كان من الطبيعي أن يتطلع سائق التاكسي إلى الشاب ، في مزيج من الانبهار والاحترام ، وأن ينطلق لسانه قائلاً :

ودون أن يلقي عليه سؤالاً واحدًا ، وقبل نزوة في خياله لتساءل عن علاقته بذلك الجهاز ، الذي أصبح اسمه مقرونًا بالمهابة والاحترام والغموض في آن واحد !



www.liilas.com/vb3

وأمام المبنى الشهير ، في كوبري القبة ، توقف سائق التاكسي ، وقال للشاب ، في احترام شديد :

- المخابرات يا أستاذ .

تطلع الشاب إلى المبنى في توتر قلق ، استغرق بضع لحظات ، على نحو أثار حيرة السائق ودهشته ، على الرغم من أنه لم يحاول تكرار عبارته ، مكتفيا بالتطلع إلى بوابة المبنى ، التي خرج منها أحد أفراد طاقم الحراسة ، واتجه نحوهما ، في خطوات واثقة ثابتة ، وعلى نحو جعل الشاب ينتفض انتفاضا خفيفا ، ثم يغادر السيارة ، ويقف في مكانه يراقب رجل الأمن الذي اتجه نحوه مباشرة ، بعد أن انصرفت السيارة ، وسأله في لهجة هادئة مهذبة ، ولا تخلو من الحزم :

- هل من خدمة ؟!

أزدرد الشاب لعابه في صعوبة ، قبل أن يتدافع قائلا في شيء من العصبية :

- أريد مقابلة أحد المسئولين هنا .

- مسألة الرجل في اهتمام :

- بشأن ماذا ؟



أزدرد الشاب لعابه مرة أخرى ، في صعوبة أكثر ، وهو يجيب :

- أريد الإبلاغ عن .. عن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، إلا أن رجل الأمن المدرب فهم الموقف كله ، فدعاه إلى الدخول ، وهو يمنحه ابتسامة هادئة ، قائلا :

- تفضل بالانتظار قليلا ، حتى أبلغ المسئولين .

ولم يصدق الشاب نفسه ، وهو يعبر بوابة مبنى المخابرات العامة ، ليتظار في حجرة الاستقبال الصغيرة المجاورة للبوابة ، حتى يتم الاتصال بأحد المسئولين ..

ولم يصدق نفسه أكثر ، عندما وجد نفسه يجلس أمام أحدهم ، داخل مكتب أنيق هادئ ، قبل أن تمر ربع ساعة على وصوله إلى المبنى ، فجلس في الجلس بالمبهار ، قبل أن يمنحه رجل المخابرات ابتسامة ودودة ، قائلا :

- تفضل يا أستاذ (وجدي) .. أخبرونى أنك تريد الإبلاغ عن شيء ما .

- الواقع أن كل ما لدي مجرد شكوك ..

اعتدل رجل المخابرات ، وهو يحدثه في هدوء واهتمام :

- هات ما لديك .



www.liilas.com/vb3

التقط (وجدى) نفسا عميقا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، قبل أن يقول فى توتر شديد ، وعموع عصبية تتطاير فى عينيه :

- إننى أشك فى أن صديق عمرى جا .. جاسوس .

تعلق الكلمة الأخيرة بلسان يتمزق ألما ومرارة ، ويصوت رجل بشاطئ دموعه فى صعوبة ، فصمت رجل المخابرات تماما ، ليفسح له فرصة إفراغ كل مشاعره وعواطفه ، قبل أن يتدفق الشاب قائلا متصلا :

- ( عصام ) هو صديق عمرى ، منذ كنا طفلين فى المرحلة الابتدائية ، ولكنه تفوق تعليما بعد سفره إلى ( إيطاليا ) ، و ... و ...

تجهش الفتاة بالبكاء ، على نحو منعه من إتمام عبارته ، فواصل رجل المخابرات صمته بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن اعتدل فى مجلسه ، وضغط زرا أمامه ، قائلا :

- كوب ليمون بارد بسرعة .

مضت عشر دقائق أخرى ، قبل أن يتناول ( وجدى ) كوب الليمون ، ويتماسك جأشه ، ويستعيد تماسكه .. وانتظر رجل المخابرات طوال هذه الفترة فى صبر ، قبل أن يميل نحوه ، قائلا :



- وإذن فمن على الأمر كله ، بكل التفاصيل ، حتى التى تبدو لك تافهة أو بسيطة .

أومأ ( وجدى ) برأسه موافقا ، ثم اعتدل فى مجلسه ، والتقط نفسا عميقا مرة أخرى .. و ...

وبدأ يروى :

* * *

( عصام ) .. شاب من أسرة مصرية متوسطة ، وُلد ونشأ فى مدينة ( الإسكندرية ) الساحلية ، وامتلأ عشقا لمياه البحر ، منذ وعت عيناه الدنيا ، وعلى الرغم من أن والده ، المحاسب فى واحدة من شركات الشحن البحرى ، كان رجلا متدينا ملتزما ، إلا أن أمه سيدة منزل طيبة القلب ، يشهد لها الجميع بالأدب وحسن الجوار ، فإن ( عصام ) نشأ كفرع فاسد فى شجرة طيبة فكان كثير الشجار مع شقيقاته ووالديه ، مشاغبا فى الحى الذى يسكنه ، عنيفا حتى مع أقرانه وأصدقائه .

ولقد حاول والداه إصلاحه وتقويمه عشرات المرات ، ودعا كلٌ منهما الله فى صلاته أن يهديه سواء السبيل ، إلا أن ( عصام ) ظل مارقا ، عنيدا ، فاطحا دونما بلا سبب ، متمردا فى دراسته ،



Eman www.liilas.com/vb

حتى إنه حصل على شهادته الابتدائية بالكاد .. ولكنه لم يتوقع في تكرار هذه المصادفة في المرحلة الإعدادية ! فرسب في شهادته مرتين ، قبل أن يتمرد على الفشل بأسلوب مبتكر للمعتاد ، فيقرر ترك الدراسة ، في تلك المرحلة المبكرة ، ثم يتجه إلى منطقة الجيزة ، بحثاً عن أي عمل هناك ..

وعلى الرغم من كل ما سمعه ، عن الدخل الجيد للعاملين في الجيزة ، عاش ( عصام ) طويلاً من كثرة العمل ، وقلة الموارد ، مما أورثه شعوراً بالغضب والثورة ، ورغبة عارمة في الحصول على المال ، بأية وسيلة كانت ليثبت للقسه قبل أسرته أنه لم يفشل في حياته ، عندما اتخذ قرار العمل وترك الدراسة مبكراً ..

وفي السابعة عشر من عمره ، ألقي القبض عليه ، مع ثلاثة آخرين ، بتهمة سرقة وتهريب بعض البضائع البسيطة ، من المنطقة الجمركية بالمطار ..

وعوقب الثلاثة الآخرون بالحبس لمدة عام إلا أن ( عصام ) نجا من العقوبة باعتباره لم يبلغ السن القانونية بعد ، وقضى العام في إصلاحية للأحداث ، وتم الإفراج عنه بعدها ، ليعود إلى منزل أسرته متفسراً ذليلاً ..



ولكن طبيعته المتمردة الغاضبة دوماً ، والبعيدة عن الخطل والمنطق أبداً ، رفضت هذا الوضع بسرعة .. فخرج بحثاً عن وسيلة أخرى ، تثبت لأهله ولنفسه ..

وبعد عام من التخطيط لاحت أمامه الفرصة .. وكانت فرصة غير شريفة بالمعنى ..

فقد عرض عليه أحد باعة السوق الفرصة للسفر إلى ( إيطاليا ) بتأشيرة مزورة مضمونة مقابل ألف جنيه ..

وقبل ( عصام ) العرض بلا تردد ، على الرغم من وجود عقبة مستعصية في طريقه .. الألف جنيه !

ولكن شيئاً كانت تلك عقبة أمام شخص لا يقيم وزناً للعقبات والاستحالات والقيم !!

فدون وازع من ضمير أو شرف ، ( عصام ) مستعد ولديه القابل وسلمه المبلغ ، الذي سلمه تلك التأشيرة المزورة ، وأرسله مع مجموعة من أصحاب التأشيرات المماثلة في فوج غير رسمي إلى ( إيطاليا ) ..

وكانت أول صدمة يلاقي بها ( عصام ) !

فعلى الرغم من أن كل من سافروا في تلك الفترة ، قد وقعوا

في يد السلطات الإيطالية التي أثبتت زيف ادعاءاتهم ، وأعادتهم إلى (مصر) فإن (عصام) قد نجا من هذا ، ووجد نفسه بالفعل داخل (إيطاليا) ..

وانقطعت أخباره تمامًا عن كل من يعرفه في مصر ..

وعلى الرغم مما قطعه بأسره ، فقد ظلت دموعها الهادئة ، تهفو وتأوقًا إليه ، في حين راح والده يدعو الله - سبحانه وتعالى - في كل صلاة ، أن يعيد إليه ابنه سالمًا ..

وبعد عام تقريبًا ، جاءت أخبار (عصام) تتسلل إلى (الإسكندرية) من خلال بعض العائدين من إيطاليا ، ومن عاصمتها (روما) بالتحديد ..

بل لقد تحولت أخباره إلى طريق رئيسي ، على عائدة كل عائد من (إيطاليا) !

الجميع تحدث عن زواجه من إيطالية حسناء ، وعمله في مصنع شهير للسيارات ، بعد حصوله على تأشيرة إقامة صحيحة ، واقتنائه بكل مصري يصل إلى (روما) .. وكرمه وسخائه .. و ...

وارتاح والداه لتلك الأخبار ، وإن لم تخفف لهفتهما لعودته ورؤيته ، والاطمئنان عليه شخصيًا ..

عاد عصام !



عاد بعد خمس سنوات كاملة ، حاملاً جواز سفر إيطاليًا ، وطفلتين جميلتين وزوجة إيطالية ساحرة ، ألسنا نتخلى عن إيطاليتها ، وتتحدث ولو بكلمات قليلة ..

ولقد حمل (عصام) مع عودته أيضًا حقيبة كبيرة من الهدايا ، لوالده وأمه وشقيقاته ، وخص الأم بكمية من العطور والمجوهرات ، تفوق ما سرقه عشر مرات على الأقل .

وكعادة الشعب المصري فضلت عودته كل ما فعله قبل سفره ، واستقبله الجميع بالقبلات والدموع والتهلة ..

وخلال تلك السنوات الخمس ، كان (وجدي) صديق عصر (عصام) ، قد التحق بالقوات البحرية ، وأصبح رقيبًا على واحدة من مدمراتها ، والمشهور بالجدية والصرامة ، وحسن السير والسلوك ..

وعندما عاد (عصام) التقى الصديقان بكل الفرحة والسعادة ، وراحا يتبادلان الحديث لثلاث ساعات كاملة بلا انقطاع ، حول ما حدث خلال السنوات الخمس الأخيرة ، ولقد بدا (عصام) قريبًا لكثير من الالتزام ، عندما علم بوظيفة صديقه ، وراح يلقي عليه عشرات الأسئلة ، حول طبيعة عمله ، ومواقعه ، وسماته .. ولكن (وجدي) تحفظ في الجواب ، كما تعلم في صفوف القوات



www.liilas.com/vb3

البحرية ، وإن لم يحرم صديقه من بعض الإعفاءات البسيطة التي لا تشبع ولا تغني من جوع ..

وسافر ( عصام ) بعد ثلاثة أسابيع ، عائدا لزوجته وطفليه إلى ( إيطاليا ) ، بعد أن أصر على الحصول على عنوان ( وجدي ) ، وأرقام هواتفه ، مؤكدا أنه سيظل على اتصال دائم به ..

وكانت هذه هي البداية ..

فلقد بدأ ( عصام ) يزور ( مصر ) وحده مرة كل شهرين ، وفي كل زيارة كان يغمر صديقه ( وجدي ) بالهدايا ، ويقضي معه وقتا طويلا ، كان الحديث يدور فيه ، في أغلبه ، حول القوات البحرية وتطورها ، وتسليحها ..

ويوما فيوما ، ومرة فمرة ، شعر ( وجدي ) بانقلاب في أسلوب صديقه ، خاصة أنه قد بدا له خبيرا ببعض الأمور ، التي يلذ له أن يتم بها مدلي ، لا علاقة له بالقوات البحرية ..

ولقد قضى ( وجدي ) ثلاثة أيام كاملة ، وهو يتقلب في فراشه ، عاجزا عن النوم ، وهو يفكر في قرار خطير للغاية ، ثم لم يلبث أن حزم أمره ، وحصل على إجازة وسافر إلى القاهرة ، ليبلغ المسئولين في المخابرات العامة بشكوكه ..

وقد استمع إليه رجال المخابرات في هدوء وصمت تامين ودون



أن يقاطعه بحرف واحد ، حتى يترك له فرصة الاستطراد ، أو أن ينهي من روايته ، فاعتدل رجل المخابرات في مقعده وقال :

ـ كان أمرا جيدا وقرارا صائبا ، أن تأتي لتبلغنا بما لديك من شكوك يا ( وجدي ) .. والآن اترك لنا الأمر كله ، سنعاود الاتصال بك قريبا بإذن الله ..

ساله ( وجدي ) في لهفة :

ـ وتريد أن أعرف ... هل ( عصام ) جاسوس أو ؟ ؟

ابتسم رجل المخابرات ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

ـ سنعرف يا سيد ( وجدي ) .. سنعرف في الوقت المناسب بإذن الله !

وانصرف ( وجدي ) بعد تأكيدات بعدم الحديث عما حدث مع أي مخلوق ، أيا كانت هويته ، حتى طلب رجل المخابرات منه خاصا ، وصل إلى مكتبه في صندوق مغلق ، ووقع بتسلمه ، قبل أن يفتحه ، ويطالع ما به ..

فعلا فترة ليست بالقليلة ، وقليل جدا من تلك الواقعة ، كان نشاط ( عصام ) قد جذب انتباه المراقبين ، من رجال المخابرات العامة ، خاصة مع اهتمامه الزائد بأمر المصريين الذين يعملون

إلى (روما) وإصراره على الارتباط بهم، وربطهم بأزمة وسخاء الزائرين ..

ومن خلال رجال المخابرات المصرية في أنحاء (إيطاليا)، بدأت عملية جمع معلومات كبيرة، عن (عصام) وبدايته في (إيطاليا) ..

وأول ما شاغل التشكوك حوله، هو تجاهله في دخول (إيطاليا) بتأشيرة مزورة، التشفت ملابساتها بسهولة، في الفترة الزمنية نفسها ..

وبالنسبة لرجال المخابرات، كان هذا يوحي بأن بعضهم كانت له مصلحة خاصة، في أن يدخل شاب فاسد مثل (عصام) إلى (إيطاليا) ..

ولم يكن من الصعب استنتاج طبيعة هؤلاء (البعض)!

وطوال العامين كان (عصام) يخضع لمراقبة دقيقة متواصلة، من قبل جهاز المخابرات العامة المصرية، لتحديد هويته، وأسلوب عمله، والجهة التي يعمل لحسابها بالضبط .. ومع الوقت، التشفت لعبة (عصام) ..

لقد كان يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية، التي عهدت إليه بمهمة انتقاء العناصر الصالحة للتجنيد، من بين الشباب المصري،



الذي يصل إلى (إيطاليا)، دون ترتيب وتخطيط مسبق، بحثًا عن الثراء السريع بأي ثمن ..

باختصار .. كان (عصام) يلعب دورًا يطلق عليه (Spotter)، وهو دور محوري بالنسبة لأي جهاز مخابرات، لأنه يعتمد على شخص من جنسية الدولة تجنيدهم، بحيث يكتسب ثقتهم ورضاهم في سرعة، خاصة أنهم يصلون إلى (أوروبا) والخوف يملأ نفوسهم، من الفشل والضياع ..

والعجيب أنه في نفس الوقت، الذي جاء فيه (وجدي) الإبلاغ عن صديق عمره، كانت المخابرات العامة تسعى لإيجاد دليل إدانة يخلي الأبهات تهمة الخيانة عن (عصام)، بحيث يمكن إلقاء القبض عليه، ومحاكمته ..

وإذا كان في قضايا الجاسوسية أكثر خطورة منه في القضايا الجنائية، لأنك في قضايا التجسس لا توجه اتهامك إلى أفراد بعينهم، وإنما إلى الدولة التي خلفهم أيضًا ..

وهذا أمر بالغ الحساسية والخطورة، في كل الأزمنة ..

وهذا يعني أن (وجدي) قد جاء في موعده تمامًا!

وينتهي السرعة والنشاط راح رجال المخابرات العامة يجرون تحرياتهم، حول (وجدي) نفسه، بالتعاون مع المخابرات الحربية،

حتى ثبت إخلاصه ، وحسن سيره وسلوكه ، وتعلقه العقيدى بالوطن الذى أحبه ، وعلمه وأفشاه ..

ثم تم الاتصال به مرة أخرى ، وكان الهدف مختلف هذه المرة ..

وبعد أسبوعين من هذا الاتصال الأخير ، وصل ( عصام ) إلى ( الإسكندرية ) فى زيارته المعتادة ، وخرج من فوره إلى صديقه ( وجدى ) ، الذى استقبله بشىء من التحفظ هذه المرة — وإن لم يصارح فى قضاء سهرته معه بالشعور ..

وفى تلك السهرة ، جاءت أسئلة ( عصام ) مباشرة ، حول الأسلحة الروسية التى فى حوزة القوات البحرية ، وتسليحها والتطويرات التى أجريت عليها ..

وقد بدا وكأن ( وجدى ) مستعد للإجابة على الأسئلة بكل ما يعرفه من تفاصيل ، وكأنه يريد تسميعه ، وكأن كل معلومات هذه تساوى ثروة ..

وكأن صداقتهما طويلة للغاية ، وكأنه من العسير على الفتى الفاسد ، أن يدرك وجود الفساد فيها ، فى الشجرة ذاتها .. فقد بدأ ( عصام ) يساوم صديق عمره على تلك المعلومات العسكرية ، ويحاول إغراءه بالمال ، وبممارسة عمل مثالية فى ( إيطاليا ) ، فور قبول استقالته من القوات البحرية .. و ... و ...



ولم يعترض ( وجدى ) على العرض ، ولكنه بدأ يساوم فى المقابل ، وأبدى استعداده لمد عصام بمزيد من المعلومات ، لو أن المقابل سيكون مجزيًا فى كل مرة ..

وهنا .. وقع ( عصام ) فى أكبر خطأ ، يمكن أن يقع فيه جاسوس !

لقد بدأ مساومة تجنيد ( وجدى ) ، دون الرجوع إلى رؤسائه ، أو إلى ضابط الحالة المسئول عن تصرفاته وخطواته التالية ..

وعلى الرغم من أنه يعرف ويتوقع كل شىء ، فقد أصيب ( وجدى ) بالذهول ، عندما صارحه صديقه بأنه يعمل لحساب جهة أجنبية ، ودون التصريح بهويتها ... ثم طلب منه إمداده بالمعلومات ، حول التسليح والتطوير فى القوات البحرية المصرية مقابل راتب شهرى ، ومكافأة على كل معلومة جيدة ..

ولم يدرك ( عصام ) ، أو يتصور لحظة واحدة ، أن كل كلمة تنطق بها قد تم تسجيلها ، بإذن ومعرفة النيابة العامة ، وأن رجال المخابرات العامة كانوا يستمعون إلى حديثه كله ، حتى بدأ يصارح ( وجدى ) بصفة التجنيد ..

عندئذ أدركوا أنهم قد حصلوا على الدليل المطلوب ..

وانتقلوا إلى الخطوة التالية مباشرة ..



www.liilas.com/vb3

ولقد كان واقع الصدمة صاعقاً على (عصام) عندما واجهه وكيل نيابة أمن الدولة، مع رجال المخابرات العامة، بالتهمة المنسوبة إليه، مع دليل إدانته، الذي لا يقبل الشك..

ولقد حاول (عصام) الفرار من التهمة، مختبئاً بالجنسية الإيطالية، إلا أن وكيل النيابة أخبره أنه مازال يحتفظ بالجنسية المصرية، مما يجعله أمام تهمة خيانة صريحة لا تقبل الجدل..

وهنا انهار (عصام) تماماً، وأدلى باعترافه تفصيلياً، وقع عليه دون ضغط أو إكراه..

وفي أثناء المحاكمة، أدلى (وجدي) بشهادته الرئيسية ضد (عصام)، صديق عمره، الذي خان الوطن، وتعاون مع العدو، ونال في النهاية حكماً بالسجن خمسة عشر عاماً، مع الأشغال الشاقة..

أما (وجدي)، فقد حظي بمكانة مرموقة أمن الدولة العليا، بعد سماع الحكم، ويمحو عن تفوق وجهه، على مصير صديق عمره..

وكان كمال واثقاً في الوقت ذاته، بأنه قد أدى واجبه، الذي يحتمه عليه ضميره، وتحتمه عليه وطنيته، وأنه قد قدم دليلاً جديداً وقوياً على الحب..

حب (مصر)..

* * *



## الثأر

مالت الشمس إلى المغيب، في ذلك اليوم، الثاني والعشرين من فبراير عام 1965م، وانتشرت أشعتها الأخيرة فوق ذلك المبنى المهيب، في حي (حدائق القبة)، واستقرت مغبوطة من ذهب عبر إحدى حجراته الواسعة، التي ضمت نخبة من أفضل وأبرع رجال المخابرات العامة المصرية، في تلك الحين، والذين يجتمعون منذ أكثر من خمس ساعات متصلة، تحت قيادة واحد من رجال الدرجة الأولى لجهاز المخابرات المصري (ع. ع)، لمناقشة واحدة من أخطر القضايا، التي حظيت باهتمام ورعاية كبار مسئولي الدولة، في تلك الفترة من تاريخ (مصر)..

قضية صناعة الصواريخ المصرية بعيدة المدى..

تلك الصناعة التي أنهبت حماس الرجال في (مصر)، وأشعلت نيران الحقد والحسد والحنق في نفوس دول العالم، التي اعتبرت متابعة تطورنا بمزيد الدهشة والغضب..

وعلى رأسها (إسرائيل)..

فمنذ أواخر الخمسينيات، وبعد عام واحد من العدوان الثلاثي بالتحديد، اتخذت القيادة السياسية والعسكرية قراراً برفع كفاءة التصنيع الحربي، ودفعه نحو سباق التسلح، الذي بلغ ذروته في تلك الحين، وخصوصاً بين الدولتين العظميين..

ومن منطلق هذه السياسة ، تقرر البدء في العمل على إنتاج وتصنيع صواريخ المقاتلات الثلاثة ، والصواريخ بعيدة المدى ، ذات الرؤوس التدميرية شديدة الشحوب ..

ولأن الألمان هم الأب الشرعي لصناعة الصواريخ ، منذ ابتكار هم الصاروخين ( ف 1 ) و( ف 2 ) ، إبان الحرب العالمية الثانية ، والتي كبدا ( بريطانيا ) خسائر فادحة في أيام معدودات ، كانت تكلف نتائج الحرب آنذاك رأسا على عقب ، فقد استقدمت ( مصر ) عددا من أفضل العلماء والخبراء الألمان في هذا المجال في نهاية عام 1957م ، على نحو مخالف بالسرية التامة ، وكان بينهم ( بيانز ) ، المساعد الأيمن للبروفيسور ( براون ) ، أبي الصواريخ ..

ومع وصول العلماء الألمان ، بدأت حركة نشطة في البحث العلمي ستستهدف سرعة صنع الصواريخ بعيدة المدى ، وتطويرها بحيث يمكنها الوصول إلى مسافات بعيدة ، حاملة تلك الرؤوس شديدة التدمير ..

وطوال السنوات الثلاث التالية تقريبا مضى العمل على قدم وساق تحت غطاء من السرية المطلقة ، حتى حانت اللحظة التي لابد منها ..

لحظة الإعلان عما يجري تحت السطح ..



ففي 21 يوليو عام 1962م ، وفي حضور الرئيس ( جمال عبد الناصر ) ، والمشير ( عبد الحكيم عامر ) ، وعدد من رجال مجلس قيادة الثورة السابق ، ومعاوني الرئيس ، وقادة القوات المسلحة ، وأمام حشد من العلماء والصحفيين العرب والأجانب ، انطلقت أربعة صواريخ وراء بعضها ، معلنة مولد الجيل الأول من الصواريخ بعيدة المدى ، من طراز ( القاهرة ) و( القاذر ) ..

ومن هنا بدأت البداية ، فك جن جنون ( إسرائيل ) ، واشتعل قلبها بالذعر ، واجتمع قادتها في طبع لدراسة الأمر ، وبحث سبل مواجهته وتدميره ، ووأده في مهده ..

وفي تلك الاجتماع خرجت خطة مجنونة ، لشن غارة جوية على القاعدة ، التي انطلقت منها الصواريخ الأربعة ، ثم لم تلبث تلك الخطة أن طرحت خلف الظهور ، لاستحالة تنفيذها عمليا ، والخوف من أن تؤدي تلك الغارة إلى أن تستخدم ( مصر ) تلك الصواريخ البعيدة المدى ، في ضرب قلب إسرائيل ، لو أنها تمتلك المزيد منها في قاعدة أخرى ..

لذا فقد بدأت مناقشة الأمر من الاتجاه الآخر ، الذي تميل إليه ( إسرائيل ) منذ قيامها ..

الضرب تحت الحزام ..

وهكذا تم تسليم القضية برمتها للمخابرات الإسرائيلية ، التي شرعت بدورها إستنادها إلى واحد من أخطر رجالها في تلك الفترة ..

( يوهان فولفجانج سيجموند لوتز ) ..

ولقد ولد ( لوتز ) هذا في ( مانهايم ) بألمانيا عام 1931م ، وكانت أمه مسلمة يهودية ، أما أبوه فمدير مسرح مسيحي في ( برلين ) ، وقد انفصل أبواه بالطلاق ، وغادرت الأم وابنها ( ألمانيا ) إلى ( فلسطين ) ، بعد تولي ( هتلر ) السلطة ، وظهور ميوله العدوانية تجاه اليهود ..

وفي ( فلسطين ) ، غير ( فولفجانج لوتز ) اسمه إلى ( زئيف جور آريه ) ، ودرس الزراعة في مدرسة ( بن شمين ) ، في شرق ( تل أبيب ) ، والظريف أن اسمه العبري ( زئيف ) كان مرادفاً لاسمه الألماني ( فولفجانج ) ، وكلاهما يعني ( الذئب ) ..

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية قاتل ( لوتز ) كصاحب الجيش ، خلف خطوط الألمان ، في شمال ( أفريقيا ) ، ثم لم يلبث أن انضم إلى العصابات الصهيونية ، في عام 1948م ، وحتى إعلان قيام دولة ( إسرائيل ) ..

وعندما استقر به العمل هناك ، ونظراً لتاريخه السابق جندته المخابرات الإسرائيلية ، وأسندت إليه مهمة خاصة .. هي أن يعود



إلى ( ألمانيا ) ، ويتظاهر بأنه لم يغادرها قط ، وبأنه متعاطف مع النازية ، ويتنازل تماماً عن يهوديته ، مستعيداً اسمه الألماني ( فولفجانج لوتز ) ..

وهكذا اختفى ( زئيف جورآريه ) من الوجود ..

وعاد ( لوتز ) إلى ( ألمانيا ) ، حيث راح يبني مقره الرئيسي ، ويتقمص شخصيته الجديدة كرجل أعمال ألماني ، خدم في جيش ( هتلر ) ..

وفي ديسمبر 1960م ، تم إرسال ( لوتز ) إلى ( مصر ) ، مع إلى مال لا بأس به ، لإقامة مزرعة لتربية الخيول وتدريبها ، والاختلاط بالمجتمع المصري ، وخصوصاً مجتمع ضباط الجيش والشخصيات المهمة ، التي يناسبها هذا العالم تماماً .. وفي نشاط جم ، راح ( لوتز ) يقيم الحفلات الأنيقة ، ويستقطب العشرات من أبناء المجتمع ، مستغلاً شخصيته المتألقة ، وإجادته المدهشة لأساليب المجاملة وكرم الضيافة ، والسخاء ..

وبنفس النشاط ، كان يستخدم ، بعد منتصف الليل ، جهاز إرسال صغير لإرسال تقاريره المطلوبة إلى ( تل أبيب ) ..

وعلى الرغم من تكتله الظاهر ، ومهارته الحرفية العالية ، إلا أن ( لوتز ) أقدم ذات مرة على حماقة ، كادت تصيب ضباط المتابعة

الإسرائيليين بالجنون في حياتها ، فأثناء إحدى رحلاتها إلى ( أوديسا ) في يوليو 1962م ، لتسليم أحد التقارير لضابط المخابرات المختص به ، وفي قطار ليلي متجه إلى ( باريس ) ، الهارب الصين المغرب إلى فاتنة شقراء ، زرقاء العينين ، تدعى ( فالنزاوند مارا كلارا الويمان ) ، ولم يمض أسبوعان - ودون أن يستشير حتى رؤساءه - حتى كان ( أوتو ) قد تزوج ( فالنزاوند ) وعاد بها إلى ( القاهرة ) بكل بساطة ..

ولكن غضب الإسرائيليين لم يثبت أن هدأ ، عندما عرفت ( فالنزاوند ) العمل الحقيقي لزوجها ، وقررت أن تعاونه فيه ..

هكذا بكل البساطة ..

وفي تلك الفترة اشتعلت حرب الصواريخ ، وقرر الإسرائيليون إستبعادها نهائيا ، من خلال عقد واحد ..

بث الرعب في قلوب العلماء الألمان ، المشرفين على صناعة الصواريخ المصرية ، ودفعهم إلى التخلي عن المشروع ، والعودة إلى بلادهم ، أو حتى قتلهم ، لو اقتضى الأمر ..

المهم أن يتوقف مشروع إنتاج الصواريخ المصرية بعودة العدد وبأي ثمن ..

وبنفس نشاطه الدءوب ، راح ( أوتو ) يوسع من دائرة اتصالاته ،



ويضم إلى شبكة عددا من الألمان العاملين في ( مصر ) ومن بينهم ، نجح في الحصول على عشرين خبراء الصواريخ الألمان .

وبدأت المرحلة الأولى من الخطة ..

في البداية ، تلقى الخبراء الألمان خطابات مجهولة ، تحذرهم من العمل في مشروع الصواريخ ، وتحضهم على الهجرة ، من أجل أمنهم الشخصي ..

ثم لم ترتح الخطابات تحوي النصائح والتحذيرات فقط ..

إذ أصبحت تحوي ما هو أخطر ..

القنابل ..

ففي الثاني والعشرين من نوفمبر 1962م ، وصلت عدة خطابات لعالم الصواريخ ( فرنهيلج بيلز ) ، ولخبراء روكيتس ، زميلة ستاروزوته ( هاتيلور ويلدي ) الخطابات ، ويبدأ في فتحها ، و ....

ودوى الانفجار ..

لم تكن شحنة المتفجرات كافية لقتلها ، إلا أنها أطاحت في وجهها الجميل ، ورقبتها ، وصدرها ، ويديها ، وحتى أعضائها ، لتشوهها تماما ..

وقبل أن نبرد هنا الأمر ، وفي يناير 1963م ، وصل طرد عادي إلى أحد المصانع الحربية المصرية ، يحوي أربعة ( فلانوجات ) ألمانية ضخمة ، وحضرت اللجنة الفنية للفحصه ، كما تقتضي التعليمات ، ولم يك أحد أعضائها يلتقط أحد ( الفلانوجات ) حتى دوى انفجار قوي وتحول المكان في لحظات إلى شظايا وأشلاء ، واكتظ بالقتلى والجرحى والمصابين ..

وفي نفس الوقت تقريبًا ، جرت محاولة لاغتيال العالم ( هانز كلاين فلتر ) أحد العلماء الألمان العاملين في مشروع الصواريخ المصرية ، في مدينة ( فوراج ) الألمانية ..

وباءت المحاولة بالفشل ..

وعلى الرغم من أن الرجل قد تلقى خطابات تهديد عديدة ، بعد فشل محاولة اغتياله ، إلا أنه جزم بحقائبه ، وعاد إلى ( القاهرة ) ليواصل العمل في مشروع الصواريخ ..

ولأن تلك المحاولات لم تؤت ثمارها ، والمشروع لم يتوقف ، بل أصبح المصريون أكثر خبرة بموضوع الطرود والرسائل المتفجرة ، ونجحوا في إبطال مفعولها كلها ، بعد حادث خطاب ( بيلز ) وطرد المصنع الحربي ، لجأ الإسرائيليون إلى محاولة أكثر جرأة ، فقد التقى الإسرائيلي ( جوزيف بن جال ) شخصيًا



بالعالم الألماني ( يون جيرتنه ) في مدينة ( بال ) السويسرية ، وهددا صراحة بقتل وتدمير والقضاء عليه ، إذا لم يتسحب فورًا من مشروع إنتاج الصواريخ المصرية .. ومما لا شك فيه أن المفاجأة هوت على ( بن جال ) كالصاعقة ، عندما فوجئ برجال البوليس السري السويسري يلقون القبض عليه ، ويهددونه مباشرة بتجاوز القانون ، وتهديد الأبرياء ..

ثم جاءت ضربة جديدة غير متوقعة ، من الرئيس ( جمال عبد الناصر ) شخصيًا ، ترنح لها الإسرائيليون ، وفقدوا صوابهم الكثير من توازنهم وثقتهم بأنفسهم ..

ففي حديثه إلى ( هشام أبو ظهر ) رئيس تحرير جريدة ( المحرر ) الليبية ، وفي صدر أول أعدادها ، في أول أبريل 1963م ، أعلن الرئيس ( جمال ) أن ( إسرائيل ) تشن علينا حربًا قذرة ، عن طريق الطرود والرسائل المتفجرة ، لمنعنا من استكمال مشروع الصواريخ ..

وهكذا انتقلت الحرب إلى العلانية ..

وأسقط في يد الإسرائيليين ..

فمنذ بداية اللعبة ، الطلقوا عبر قنواتهم السرية ، التي يملكون إليها ، ويشعرون بالارتياح أكثر من خلالها ..

والآن أربكتهم العلاقة ، التى دفعهم إليها الرئيس المصرى ، فدبروا لهم على خوض الحرب بالأسلوب الذى يفضله ثمن ..

واستغرقت ( إسرائيل ) وقتاً طويلاً ، قبل أن تفيق من ترنحها ، وتعلن حربها ، ففى الحادى والعشرين من مارس 1964م ، طالبت ( إسرائيل ) ( ألمانيا الغربية ) رسمياً بوقف نشاط العلماء الألمان فى ( مصر ) ، ولكن ( ألمانيا ) أعلنت ، فى اليوم التالى مباشرة ، أن دستورها ، والنظم المعمول فيها ، تمنعها من الحجر على حرية أبنائها ، فى العمل فى أى مكان يرونه ، وفى أى مجال ، وفى أى دولة ..

وفى ذلك الوقت ، كان نشاط ( لوتز ) قد بلغ ذروته ..

وكانت المخابرات الإسرائيلية تبذل قصارى جهدها ، للاستدلال من وجوده واتصالاته فى ( القاهرة ) ، إلى أقصى حد ..

خاصة فى عملية العلماء الألمان ..

وسهر الإسرائيليون الليالى ، لوضع خطة جديدة للتخلص من العلماء الألمان ، وتدمير مشروع الصواريخ المصرى ، بالاستعانة بنجاح وثائق أقوى جواسيسهم فى ( مصر ) ( يوهان فولفجانج سيجوند لوتز ) ..

ولكن كل الخطة التى وضعها الإسرائيليون ، كانت تنتظر إلى معلومة واحدة غاية فى الأهمية ..



إن المصريين ليسوا نائمين ..

وأن جهاز مخابراتهم واع يقظ ..

وإلى أقصى حد ..

فجميع اتصالات ( لوتز ) العديدة ، ولقاءاته المكثفة ، وعلاقاته مع عدد من كبار نجوم المجتمع وضباط الجيش ، كان من الطبيعى أن يلفت انتباه رجال المخابرات العامة المصرية ، الذين وضعوه تحت مناظارهم ، ورصدوه بعناية ، ولاحقوه أثناء رحلاته إلى ( أوروبا ) ، وشاهدوا لقاءاته مع ضباط الحالة الإسرائيلى ، فى وجوده ، بعضها ، وسجلوه بالصوت والصورة ..

وكل هذا لم ينتبه إليه ( لوتز ) ..

ولا كل طاقم الإسرائيليين ، الذين يشرفون على عمله ..

وفى الوقت الذى انطلق فيه ( لوتز ) بسيارته الفولكس ، عائداً إلى قيلته فى الهرم ، بعد رحلة قضاها مع زوجته ( الفراوه ) فى ( مرسى مطروح ) كان رجل المخابرات ( ع . خ ) يتخذ قراره بإنهاء العملية على الفور ..

وعاد ( لوتز ) إلى منزله ، فى مساء 22 فبراير 1968م ، والاحتمال يملأ نفسه ، مع استعداد تام لبدء مرحلة جديدة من العملية ، ولكن جرس الباب انطلق ، بعد قليل من عودتهما ، وعندما فتح

(لوتز) الباب بنفسه، فوجئ بعدد من رجال المخابرات العامة المصرية، ونيابة أمن الدولة العليا، وعرفه رئيس نيابة أمن الدولة بنفسه، ثم أخبره أنه هناك أمرًا بإلقاء القبض عليه وتفتيش فيلته، وأنهم ينتظروا عودته لتفتيش الفيلا في وجوده ..

وعلى الرغم من المفاجأة ومن الانهيار الذي أصاب زوجته، ظل (لوتز) متماسكًا، متمالكًا نفسه إلى حد الفور، حتى وصل التفتيش إلى حجرة نومه، والتقط أحد رجال المخابرات سوارًا صغيرًا من دولاب (لوتز)، وطلب منه فتح غطائه، وفك أجزائه الداخلية

هنا فقط أدرك (لوتز) أنه وقع لا محالة، فلي تجويف السوار كان يستقر جهازا اتصالي صغيران، يستخدمهما لإرسال تقاريره إلى رؤسائه في (تل أبيب) ..

وفي استسلام تام، مشوب بالمرارة والألم، سلم (لوتز) جهازي اتصاله لرئيس نيابة أمن الدولة العليا، وهو يقول بالعربية، التي صار على دراية ببعض كلماتها :

- أعلنتم .. من الواضح أنكم تعرفون كل شيء .

ثم اتجه إلى مكتبه آخر في الدولاب، وأخرج عبوة متفجرات، وهو يتابع في مرارة :

- دعونا لا نضيع الوقت يا بني .



وبعدها انطلق يدلي باعترافات تفصيلية كاملة ودقيقة، وكانت بمثابة الانتصار التام للمصريين ..

والطريف أن الإسرائيليين لم يعلموا بسقوط تجسسهم إلا بعد اثني عشر يومًا من سقوطه، وبالتحديد في الخامس من مارس، عندما عقد متحدث رسمي مصري مؤتمرًا صحفيًا، أذاع فيه خبر إلقاء القبض على (لوتز)، مدعمًا قوله بالوثائق والصور والبيانات ..

وكانت فضيحة عالمية ..

فضيحة تناقلتها وكالات الأنباء طوال محاكمة الجاسوس، من 29 يونيو، وحتى 20 أغسطس، عندما صدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، مع غرامة مالية ضخمة، وبالأشغال الشاقة المؤقتة على زوجته (فيلارود).

أما الفضيحة الأكبر، والتي لم تتناقلها وكالات الأنباء العالمية، فهي تلك التي تفجرت في أروقة المخابرات الإسرائيلية، معلنة تلك الفشل الذريع، الذي لحق بالجهاز وعميله الأول في (مصر) ..

العميل الذي حمل اسم الذئب، فالترجمته ثعلب حقيقية ..

ومصرية ..

* * *

# الشقيقان ..

على الرغم من الثلاثين العريضتين والجسد القوي المشدود، لذلك الرجل الماثل أمامي، الذي هبط من سيارته الصغيرة، أمام مبنى المخابرات العامة المصرية، في أوائل يناير، عام 1978م، إلا أن صوته بدا شديد الاضطراب والتوتر، وهو يتقدم إلى حارس أمن البوابة، قائلاً:

أريد مقابلة أحد المسئولين هنا ..

لم يكن من المعتاد أو المألوف أن يحدث هذا، في تلك الفترة التي أعقبت حرب أكتوبر، ووقف إطلاق النار، واستقرار الأمور على الجبهة، إلا أن حارس الأمن بدا مدربًا على مثل هذه المواقف بالتحديد، وهو يستمع إلى الرجل في هدوء شديد، ثم يطلب الإطلاع على هويته، ويقوده إلى حجرة الانتظار المجاورة لبوابة المبنى، ثم يستأذنه بأدب جم في أن يغيب عنه لبعض الوقت، وهو يقدم له عددًا من الصحف والمجلات، ليطالعها أثناء انتظاره ..

ولكن الرجل لم يستطع التقاط مجلة واحدة، وهو يدرك تمامًا في توتر بالغ طوال الوقت، ويراجع موقفه ألف مرة، خشية أن يكون قد ارتكب أكبر حماقة في حياته، بقدومه إلى قلعة الأسرار



الغامضة، التي تحمل عشرات الأساطير، حولها وتدور خلف أسوارها المنيعة ..

ولم يطل انتظار الرجل قطعيًا، وإن بدت له الدقائق العشر، التي قضاها في حجرة الانتظار، أشبه بدهر كامل، قبل أن يعود حارس البوابة، وهو يشير بيده، ويدعوه للسير معه ..

وراح الاثنان يتنقلان من مبنى إلى آخر، ومن ممر إلى ممر، ومن قسم إلى قسم، حتى انتهى المطاف بالرجل إلى حجرة بسيطة الأثاث، استقبله داخلها شاب هادئ الملامح، أشيب الشعر، انتهى الرجل قبل الأوان، قدم له نفسه باسم (سامر) ثم دعاه للجلوس، وسأله في اهتمام هادئ عن السبب الذي دعاه لطلب مقابلة أحد المسئولين بالجهاز، وهنا وكأنما كان الرجل ينتظر هذا السؤال بالذات، اندفع يقول في لهفة:

ـ إنني أشك في أن جارى جاسوس ..

تراجع رجل المخابرات في مكانه، وسأله في اهتمام:

ـ تشك ؟!

اندفع الرجل يجيب في انفعال:

ـ إنه شاب مجتهد، يدعى (أمين محمود محمد) كان يحيا حياة

عالية ، تتناسب مع دخله المتواضع ، ومستوى أسرته العادية ، ثم فجأة ظهرت عليه علامات الثراء والبذخ ، وراح ينفق في سعة غير معقولة ، ويقيم حفلات باهظة لأصدقائه ، ويبتاع عشرات الهدايا الثمينة لزوجاته ، على الرغم من أنه لا يرتبط بأي عمل معروف .

شبك رجل المخابرات أصابع يديه أمام وجهه ، وتطلع إلى الرجل يضع لحظات في صمت ، وقد خلا وجهه من أية انفعالات ، قبل أن يقول في برود :

- أهذا ما جعلك تشك في كونه جاسوسا ؟

حرك الرجل رأسه في قوة ، مجيبا :

- كلا .. إنه أيضا يتردد على الأسكندرية في الآونة الأخيرة ، وليس لديه في شئون عسكرية أو اقتصادية ، لم تكن تثير لديه أي اهتمام فيما سبق .

وفي هذه المرة أيضا لم يحتمل وجه رجل المخابرات أية انفعالات ، على الرغم من أن شيئا ما قد اشتعل في أعماقه ، معلنا أن ما يقوله الرجل يتفق بالفعل والاحتمالات المنطقية للموقف ..

ورجال المخابرات خاصة لديهم حاسة متعطشة في هذا الشأن ..



حاسة تجعلهم يلمسون بعقولهم ، ويدركون بكل خلايا مخهم ، ما لا تراه لنا نحن بأعين مفتوحة ..

وبهذه الحاسة ، راح (نادر) يلقي على الرجل بعض الأسئلة ، ثم لم يلبث أن ابتسم وهو يقوده إلى الخارج ، ويصافحه في حرارة ، قائلا :

- لقد تعاونا بالفعل على ما أظننا به .. لقد انتصرنا بفضل المخلصين لمثلك ، ولكن دعنا نحتفظ بالأمر سرا بيننا لبعض الوقت .. هل تعني بهذا ؟!

كان الرجل ملمعا بالحماس والارتياح ، وهو يلقي إليه وعده ، ثم يغادر المبنى كله ، وقد انزاح عن كاهله حمل ثقيل ، وانتابه شعور عارم بأنه قد أدى واجبه ، ووضع الأمر في أيدي أصحابه ، والقادرين على التعامل معه ..

أما (نادر) ، فقد بدأ التحمل على كاهله ، منذ تلك اللحظة ..

لقد تلقى كثير المعلومات بالغة الأهمية والخطورة ، قد تقود إلى الإيقاع بجاسوس آخر ، يعمل لحساب العدو الإسرائيلي ، في تلك الفترة ، التي بدأت فيها (مصر) عمليات إعادة البناء ، وحصاد نتائج نصر أكتوبر المجيد ..

وعلى الفور ، غادر (نادر) ذلك المكتب ، الذي التقى فيه بالمتبلغ ، واتجه مباشرة إلى مكتب رئيسه ، ليطرح عليه الأمر كله ..

ولا أحد يمكن أن يعلم بالطبع ، تفاصيل الحديث ، الذى دار بين الرجلين وانتهى الشهى إلى إسناد العملية كلها لرجل المخابرات ( نادر ) ، مع وضعها فى خانة الأمور المهمة والعاجلة ..

ومنذ تلك اللحظة ، بدأ ( نادر ) تحرياته ..

والتقى فريق عمل مدرب ، من الطراز الأول ، لجمع كل المعلومات الممكنة عن المجند ( أمين محمود محمد ) ..

وعن حياته ، وعمله ، وأقاربه ، وأصدقائه ..

وحتى عن عاداته وتقاليده ..

وإن الرجال محترفون بحق ، فقد راحوا يجمعون المعلومات من كل الاتجاهات بمنتهى الدقة والسرعة والإتقان ..

وبكل تجاربه وخبراته وثقافته ، راح ( نادر ) يضع كل هذه المعلومات جنباً إلى جنب ، ويربط بعضها ببعض ، ويستنبط منها كل ما يختفى بين السطور ..

وكما يحدث فى لعبة ( البازل ) ، راحت الصورة تتضح أكثر وأكثر ، مع كل معلومة جديدة ..

وكل استنباط جديد ..

وفى النهاية بدت الصورة واضحة ..



وحملت معها أكثر مما كان يتوقع ( نادر ) أو يتصور ، عندما بدأت هذه العملية ..

لقد حملت معها مفاجأة ..

مفاجأة مدهشة ..

وبكل حماسة وانفعال ، حمل ( نادر ) أوراقه ومعلوماته إلى رئيسه ، الذى استقبله ، متسائلاً فى اهتمام :

ـ ما المفاجأة التى تتحدث عنها ، فى عملية ذلك المجند يا ( نادر ) ؟!

أجابه ( نادر ) فى سرعة :

ـ المفاجأة أن ( أمين محمود محمد ) هذا مجرد واجهة .. مجرد مخلب للجاسوس الحقيقى ..

سأله رئيسه فى اهتمام :

ـ ومن الجاسوس الحقيقى ؟!

شد ( نادر ) قامته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ شقيقه .. شقيقه ( السيد محمود محمد ) .. هذا هو الجاسوس الحقيقى ..

وكانت بالفعل .. مفاجأة ..

( السيد محمود محمد ) سكندري - من مواليد 1934م ، قضى طفولته وصباه فيها ، ولم يستطع إكمال دراسته ، فتركها قبل الإعدادية ، واتجه إلى الأعمال البحرية ، حتى استطاع أن يمتلك يومًا نسبة كبيرة في باخرة تجارية لبنانية ( ميم باهي ) ، كان يعمل مساعدًا للقبطان فيها ..

وبعادة أصناف المتعلمين ، لم يكد ( السيد ) يشعر بنجاحه ، حتى كان أول ما فعله هو أن تزوج مرة أخرى ، وراح يلفق حتى يتزوج بدلاً من بيت واحد ، مما كان له أثر عكسي على أرباحه وتنقلاته ، على نحو لم يكن يتوقعه ..

وأثناء سفره إلى ( روما ) ، التقى ( السيد ) بصديق يهودي قديم ، من زملاء الصبا ، وليالي الكورنيش الداعرة ، يدعى ( فيتوريو ) ، كان يعمل ضابطًا إداريًا في إحدى السفن الإيطالية ..

بعد استعراض واسترجاع ذكريات الصبا ، التفت ( السيد ) مودعًا كرم سكندرية تقليدية ، فهتف بزميله اليهودي القديم :

لماذا لا تتأتى لزيارتي في ( الإسكندرية ) ؟!.. سيسعدني للغاية أن تستعيد ذكرياتنا على الطبيعة هناك ..

صمت ( فيتوريو ) بعض الوقت ، وهو يتطلع إليه بنظرة ثاقبة ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، ويقول :

- ولم لا ؟!



كان ( السيد ) يتصور أن الأمر سينتهي عند هذا الحد ، إلا أنه فوجئ بصديقه القديم يزوره في ( الإسكندرية ) بالفعل بجواز سفر إيطالي ، حاملاً إليه وإلى زوجته بعض الهدايا الأنيقة والبسيطة ..

ولقد أكرم ( السيد ) وفادة ضيفه ، وأنفق عليه في سعة ، وهو يدعوه إلى ليالي وسهرات زمان ، وإن لم يمنعه هذا من الشكوى باستمرار من التفقات الكبيرة للفتح يكمن في آن واحد ، وعن حاجته إلى عمل جديد ، يدر أرباحًا كبيرة بمجهود قليل ..

وكان ( فيتوريو ) كان في الواقع مجرد ضابط ، أو ( Spotter ) كما يسمى في عالم المخابرات ، فقد أدرك على الفور أن الشخص الذي أمامه جاسوس مثالي ، يصلح مادة في المادة للتجنيد ، مما دعاه إلى أن قال ، وهو يتفحص ( السيد ) جيدًا :

- لو كنت تبحث عن عمل جيد ، فهناك صديق لي يعمل بالصحافة في ( أسترادام ) ، لحساب جهاز شمال الأطلنطي ، وهو يحتاج إلى بعض المعلومات عن ( مصر ) .

سأل ( السيد ) في اهتمام :

- أي نوع من المعلومات ؟!

هز ( فيتوريو ) كتفيه مجيبًا في حذر :

- كل المعلومات الممكن .. اقتصادية ، أو .. أو حتى عسكرية .

لم يرد على (السيد) أنه قد استوعب ما رمى إليه (فيتوريو)، إلا أنه جرع ما تبقى في علبته دفعة واحدة، وهو يسأله في اهتمام:

- وكم سيدفع بالمقابل ؟؟

وهنا ابتسم (فيتوريو) في ثقة، قائلاً إن هذا هو السؤال الوحيد، الذي يشغل عقل (السيد)، فهذا يعني أنه قد نجح في مهمته .. تماماً ..

وعلى نفقته الخاصة، ابتاع (فيتوريو) تذكرتي سفر إلى (أمستردام)، وسلح (السيد) خمسين جنيهاً، ليتركها لزوجته ثم سافر الاثنان إلى (هولندا) ..

وفي (أمستردام)، التقى (السيد) بشخص نحيل حاد النظرات، قدمه إليه (فيتوريو) باعتباره بريطانيا، يدعى (ميشيل جي طومسون)، وأنه بدأ (طومسون) الحديث عن العمل مباشرة، وطلب من (السيد) أن يتمالك نفسه، ويجمع كل المعلومات الممكنة عن النشاط العسكري والاقتصادي في (مصر)، وأية أخبار عن السوفيت وقاياً تواجدهم هناك ..

ولم يرد (السيد) رافضاً، أو حتى اعتراضاً واهياً ..

بل قبل العمل مباشرة، وهو يسأله في لهفة عن المقابل الذي سيتقاضاه، مقابل ما سيبلغه من معلومات ..



وانكون تطلع إليه (طومسون) في صمت، قبل أن يقول:

- ألا يهمك في البداية أن تعلم، لحساب من تعمل ؟؟

أجابه (السيد) هو هذه ..

- ليست أنت عملاء الأطلنطي كما تقولون .. وما تعلم تصنعون لمعرفة كبار السوفيت، فالأرجح أنكم تعملون لحساب المخابرات الأمريكية ..

ترامح (طومسون)، وهو يسأله:

- وماذا لو أنها المخابرات الإسرائيلية ؟؟

رفع (السيد) عينيه إليه بحركة حادة، قائلاً:

- في هذه الحالة سيختلف الأمر كثيراً ..

سأله (طومسون) في حذر:

- كيف ؟؟

وهنا أجابه (السيد) في حزم:

- سنتضاعف المكافأة بالطبع ..

وابتسم (طومسون) في ارتياح، واطمأن إلى أن الأمور يمكن أن تتطور في سرعة، من مرحلة التجنيد إلى مرحلة التدريب ..

وقبل أن يعود (السيد) إلى (مصر)، التقى على يد (طومسون) تدريبات مكثفة، على كيفية جمع المعلومات، وإثارة من حوله، للإدلاء بما لديهم، وتمييز الأسلحة، واستدرار المعلومات الاقتصادية والسياسية والعسكرية من معارفه وجيرانه، ثم حصل على خمسمائة دولار تحت الحساب، عاد بها إلى (مصر)، مأمور) أنه قد وضع يده أخيراً على منبع الربح والثراء، حتى آخر العمر، دون أن يدرك عقله المظلم أن ما حدث فعلياً هو أنه قد خاض بدمه في مستنقع الخيانة..

ذلك المستنقع الذي يلتهم وارديه، حتى القاع..

وفي (مصر)، انهمك (السيد) في جمع المعلومات، حتى تجمع لديه الكثير، فسافر مرة أخرى إلى (أستراليا)، والتقى بضابط المخابرات الإسرائيلي (طومسون)، الذي أرتاح لما حمله (السيد) من معلومات، وهنأه على تجاوبه، ثم أخضعه لدورة تدريبية جديدة، علم خلالها استخدام الراديو واللاسلكي، إرسال واستقبال المعلومات والتعليمات، وكيفية حل الشفرة وكتابتها، والكتابة بالحبر السري، ثم طلب منه العودة إلى (مصر)، واستئناف نشاطه، وإرسال المعلومات في رسائل عادية بالحبر السري، إلى عنوان خاص في (لندن)..



وعاد (السيد) إلى (القاهرة)، حاملاً أدوات التجسس الجديدة، وتعليمات بمحاولة تجنيد من يطونه، مقابل مائة دولار شهرياً..

ولأن السيناريو يعد تكراراً، في تلك الفترة، فقد وجد (السيد) أن شقيقه (أمين) أبدى بالحصول عليه، فانضمه في الأمر، واستجاب له شقيقه بسرعة وسهولة، وانضم معه إلى مستنقع الخيانة، وراح يغرق في وحله، ويغرق زوجته وأولاده، ويقيم الحفلات الماجنة بأمواله، في حين واصل (السيد) عملية جمع المعلومات، وسافر إلى (أوروبا) ليلتقي بالضابط (طومسون)، ليمنحه المعلومات، ويحصل على راتبه ومكافأته، وراتب شقيقه (أمين)..

وفي مكتب مدير المخابرات، تم طرح كل هذه المعلومات، وراح الجميع يراجعونها في اهتمام بالغ، قبل أن يقول المدير:

- ترى هل تتوقع تحقيق أية فائدة من (السيد) أو (شقيقه)، في المستقبل القريب أو البعيد؟

هز (نادر) رأسه، قائلاً:

لست أعتقد هذا، فالاثنان يعملان بملء إرادتهما، من المستبعد أن تنجح في تحويلهما إلى جاسوسين مزدوجين.

ضم المدير شفتيه، وقلب كفه، وهو يقول:

- فيم الانتظار إذن؟

ثم اعتدل في حزم ، مستطردًا :

- دعونا نبدأ هذه العملية على الفور .

وهكذا ، وفي الثامن والعشرين في مارس ، عام 1974م ، استباح ( السيد ) في بيت إحدى زوجاته ، على صوت طرقات قوية على الباب ، فاندفع إليه منزعجًا ، ولم يكد يفتحه ، حتى وجد أمامه شابًا ممشوقًا قويًا ، يسأله في هدوء حازم :

- ( السيد محمود محمد ) ؟!

أجابه ( السيد ) في قلق شديد :

- نعم .. أنا هو .

قال الشاب في صرامة :

- وأنا ( نادر ) من المخابرات العامة المصرية

شحب وجه ( السيد ) ، وانتفض ، وتراجع في ذعر هائل ، وهو يلوح بذراعيه ، صارخًا بصوت مبحوح مختنق :

- سأعترف .. سأعترف بكل شيء .

وفي انهيار عجيب ، وبوجود وكيل نيابة أمن الدولة ، راح



( السيد ) يملي باعترافاته ، ومع كل حرف من كلماته يرتجف ويرتعد ، وفي نهاية اعترافه ، راح يبكي ، ويطلب العفو والسماح ، مؤكدًا أنه لن يعود إلى ما فعله ثانية ..

ثم ، وبإصرار عجيب ، رفض التوقيع على أقواله ، وأخذ يطلب استعداده للتعاون مع المخابرات المصرية ورد الصفعة للمخابرات الإسرائيلية .

وفي حزم ، أفهمه وكيل نيابة أمن الدولة أن رفض التوقيع لن يجديه نفعًا ، لأن رجال المخابرات العامة لديهم من الأدلة ما يكفي لإدانته ، حتى دون أن يعترف ..

ثم وصل فريق آخر من رجال المخابرات ، وبصحبتهم ( أمين ) ، في حالة انهيار كامل ، مع اعتراف تفصيلي مذيل بتوقيعه ..

وهكذا انسقط في يد الجاسوس ، وذيل اعترافه بتوقيعه ، ثم عاد يبكي ويتوسل ، ويكرر عرضه بالتعاون ، وكان ( نادر ) أجابه بكل حزم وصرامة قائلا :

- لم يعد أحد بحاجة إلى خدماتك يا رجل .. لقد انتهى الأمر ، وعليك أن تتقبل جزاء أفعالك في خضوع .

وهكذا فقد الجاسوس آخر أمل في النجاة ..



www.liilas.com/vb3

وفى ديسمبر 1974م ، أصدرت المحكمة العسكرية حكمها على ( السيد ) بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى شقيقه ( أمين ) بالسجن لخمسة عشر عاما ..

وبهذا ، بهذا فقط ، أصبح بإمكان ( نادر ) أن يغلق الملف ..

ملف الجاسوسين ..

الشقيقين .

* * *



## الطـــاووس ..

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت السابعة بعد ، في ذلك اليوم من بدايات صيف 1973م ، في ( تل أبيب ) ، عندما استيقظ رجل المخابرات الإسرائيلي البولندي الأصل ( بارون ديلشمسكي ) ، على رنين الهاتف المجاور لفراشه ، فأسرع يختطف سماعته ، قائلاً بصوت خشن ، لم تفارقه رائحة النوم بعد :

ـ ( ديلشمسكي ) .. من المتحدث ؟!

أتاه صوت رئيسه المباشر ، وهو يقول في صرامة :

ـ استيقظ وافتح عينيك يا ( بارون ) .. أريدك في مكتبي بعد نصف الساعة فحسب .. الأمر عاجل للغاية .

أنهى رئيسه الاتصال ، بعد هذه العبارات المقتضبة مباشرة ، على نحو يوحي بأنه غير مستعد لإضاعة لحظة واحدة ، فهب الرجل من فراشه ، وراح يرتدي ملابسه على عجل ، ولم يمض نصف الساعة ، الذي أشار إليه رئيسه ، حتى كان يقف أمامه ، في مبنى ( الموساد ) وهو يقول :

ـ ترى أي أمر عاجل هذا ، الذي يستدعي العمل في هذه الساعة المبكرة ؟!



Eman
www.liilas.com/vb3

رمقه رئيسه بنظرة جافة ، ومط شفتيه لحظة ، قبل أن يقول :

- رئيسة الوزراء تقول إن المصريين يطلعون نتائج الحرب .

ارتفع حاجبا (بلشستاني) في دهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى ابتسامة ساخرة وهو يقول :

- ومن أين استقت سيادتها معلوماتها هذه ؟!.. المفترض أننا الجهاز المسئول عن مدها بالمعلومات .

هز رئيسه رأسه ، قائلاً في حزم :

- لسنا وحدنا في هذا .. هناك المخابرات العربية (أمان) وجهاز الأمن الداخلي (شين بيت) وقلقاها شيه جواسيس وعملاء في كل مكان وربما حصل أحدهم على معلومة ما .

قال (بلشستاني) في حزم وثقة :

- لا يمكن أن يحصل أحدهم على معلومة لم نبلغها .

ثم أشار إلى صدره في زهو شديد ، مضيفاً :

- نحن الأفضل .

أشاح رئيسه عنه بوجهه ، وانعقد حاجباه ، وهو يمط شفتيه في ضيق واضح ..



لكن هذا بالضبط ما يبغضه فيه ويبغضه كل البغض ..

صحيح أنه رجل مخابرات بارع في مضماره ، أدار عمليات ناجحة عديدة ، إلا أن زهوه وغروره ، وثقته الزائدة بنفسه أمور بغيضة ، تجعله أشبه بطاووس متباه ، لا يعشو له أن يسير الأمور الذين ، متلاخراً مرحاً ..

وبنفس الثقة المستفزة ، والنبرة المثيرة للأعصاب ، قال (بلشستاني) ، وهو يلوح بيده في ثقة ، وكأنما يؤدي مشهداً مسرحياً :

- مهما بلغت المعلومة لم تصلهم من خلالنا ، فلا يمكن الوثوق بها أبداً .

لمع رئيسه شيئاً هذه المرة ، وهو يقول :

- المهم أن تثبت هذا ، بأي ثمن لا يقبل النقاش .

سأله (بلشستاني) في اهتمام :

- وكيف هذا ؟!

أشار رئيسه بيده ، مومئاً :

- رئيسة الوزراء رشحتك شخصياً ، بصفتك المسئول عن المعلومات العسكرية المصرية ، للتحقق من الأمور ، والحصول



www.liilas.com/vb3

على جواب صحيح ومباشر ، لا يقبل الشك ، للسؤال الذى يقلق كل مسئول فى (إسرائيل) الآن ..

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى حزم صارم :

- هل سيحاربه المصريون أم لا ؟!

منذ تحقق رئيسه بالعبارة ، لم يعد هناك عمل لرجال المخابرات الإسرائيلية سوى البحث عن جواب السؤال ، وجمع كل المعلومات الممكنة ، حول استعدادات المصريين ، وقدراتهم ورغبتهم الفعلية فى شن الحرب ، والسعى لاستعادة أرضهم المحتلة .

وعلى الرغم من زهوه وغروره ، كان (ديلشمسكى) يدفع رجال مخابرات بارعًا ، يصل دومًا فى دقة ومهارة ، ويجيد التعامل مع رجاله ، وتوزيع الأدوار عليهم ، وجمع كل ما يجلبونه من معلومات ، وتنقيحها ، وتصنيفها ، والفوز بأكبر قدر ممكن من الفائدة منها ..

لذا فقد أطلق أذنيه فى كل صوب ، طالبًا منهم جمع كل معلومة ممكنة ، سواء أكانت عسكرية ، أم اقتصادية ، أم حتى اجتماعية .

وكان كل ما جمعه زيادته من معلومات ، لم يكن من الممكن أن يحسم الأمر قط .

فالرئيس (السادات) يبدو مشغولاً بمشكلات الجبهة الداخلية ، ومحاولات الاستقرار على مقعد الحكم ، والقاعدة الطلابية تبدو



نشيطة وثائرة ورافضة للاستمرار حالة اللاسلم واللاحرب ، ومشكلة الخبراء السوفيت يلفت أوجهها ، كما صنع طردهم المفاجئ فجوة غير محسوبة ، فى النظام العسكرى ، الذى اعتاد وجودهم لعدة سنوات .

وكل هذا يتعارض مع بعضه البعض ، ويتداخل ، على نحو يجعل الوصول إلى قرار حاسم أمرًا مستحيلاً .

وبحسبة محترف بسيطة ، وجد (ديلشمسكى) أنه بحاجة إلى جاسوس ..

ليس جاسوسًا عاديًا ، وإنما شخص فى مركز كبير أو حساس ، بحيث يمكنه الاطلاع على ما يجهله العامة ، وينوع الندر من المعلومات ، لا يتوافر للشخص العادى ..

ولابد وأن يكون هذا الشخص من القياديين أو المرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالقوات المسلحة المصرية ، على نحو أو آخر ..

وبكل همة ونشاط ، مع كثير من الثقة ، راح (ديلشمسكى) يدرس الأمر مع فريق خاص من رجاله ، وأفضوا الليالى فى البحث والتنقيب ، والفرز والتبويب ، وسط كومة من ملفات كل الأشخاص ، الذين يمكن استغلال مواقعهم ، فى (مصر) و(سوريا) .

وبعد أسبوع كامل بلا نوم ، وقع الاختيار على (إبراهيم) .

المهندس (إبراهيم كريم)، كبير مهندسي أحد المصانع الحربية المصرية، والمسئول الأول عن خط إنتاج الذخائر والأسلحة الخاصة في حلوان، والوثيق الصلة ببعض كبار قادة وضباط الجيش.

المشكلة الوحيدة كانت في البحث عن نقطة الضعف أو وسيلة السيطرة المباشرة على المهندس (إبراهيم)، لإجباره على العمل لحساب (الموساد) وتزويده بكل المعلومات المطلوبة، عن الجيش، استعداداته، واحتمالات خوضه للحرب من عدمه.

ولم يستغرق هذا طويلاً، بالنسبة لرجل مثل (ديلشمستاي).

فنقطة ضعف (إبراهيم) الوحيدة هي ابنه.. ولقد أنجب (إبراهيم) ابنه (طارق) هذا، بعد عشر سنوات من الزواج، وبعد أن دار مع زوجته على عيادات الأطباء، ومستشفيات (مصر) و(أوروبا)، حتى تسرب اليأس إلى نفسيهما، واعتبرا أنهما سيقضيان عمرهما بلا أبناء ثم فجأة حدث الحمل..

لم يصدقا نفسيهما في البداية، وراحا يدوران مرة أخرى على الأطباء ويجريان عشرات التحاليل والفحوصات، قبل أن يطمئنا إلى أن الأمر حقيقة، وأن الله (سبحانه وتعالى) قد من عليهما أخيراً بالإنجاب..!

ولم تكن فترة الحمل بالأمر السهل فقد كان على الزوجة أن تزداد



يداها على فراشها، وتحظر أية حركات مفاجئة، أو تصرفات عنيفة، وأن يقوم هو ووالدتها على خدمتها، بكل صبر وعناية وأمل..

وأخيراً، جاء (طارق) طفلاً وسيماً باسم الثغر، ورث جمال أبيه وذكاء أبيه وصار أملهما الوحيد في الحياة والمستقبل..

واليوم كبر (طارق) وصار شاباً يافعاً، في عامه السادس عشر، وصار أيضاً من وجهة نظر (ديلشمستاي)، نقطة الضعف الكبرى، في حياة المهندس (إبراهيم)، الذي لا يسكر، أو يقامر، أو يهتم بالعلاقات النسائية.

وظلت ليال أخرى، راح (ديلشمستاي) يدرس الأمر مع رجاله، للبحث عن وسيلة مثلى، للاستفادة من نقطة الضعف هذه لتجنيد (إبراهيم) ودفعه لتدعيم بنك المعلومات المطلوبة والمنشودة.

ولم ترق فكرة واحدة، من بين الأفكار التي تم طرحها، لرجل المخابرات الأشيب (ديلشمستاي) الذي لم يلبث أن طرح فكرته في النهاية.

كانت فكرة مجنونة للغاية، تحتمل خطورة وغرابته، وثقته الزائدة بنفسه، ولكنه راح يدافع عنها بعناد وإصرار حتى وافق الجميع عليها مع مطلع الفجر.

وفي أوائل سبتمبر 1973م، اختفى (طارق) فجأة..

وحين جاءوا ( إبراهيم ) وزوجته ، وقررت الذهاب إلى الاتصال بالشرطة ، نهيت عن اتهامها الوحيد ، لولا أن تلقيا اتصالاً من « طارق » عندنا ، وسيتم ذبحة بلا رحمة ، لو حاولتما الاتصال بالشرطة ، أو بأية جهة أخرى ..

وحدد المتحدث موعداً ومكاناً للقاء .

وبكل أجزاء ورعبه وهلعه ، ذهب المهندس ( إبراهيم ) إلى المكان المحدد ، في الموعد المطلوب تماماً ..

وانتظر ..

انتظر طويلاً وطويلاً ، قبل أن يظهر شخص نحيل طويل ، متجهاً إليه بسيارة صغيرة ، ثم يقول في صرامة :

ـ هيا تتبعني إلى حيث ( طارق ) .

قال المهندس ( إبراهيم ) إلى السيارة ، ودق قلبه في توتر بلا حدود ، وهو يسأل سائقها ، الذي انطلق بها في طريق المطار :

ـ أين ( طارق ) ؟! .. كيف هو ؟!

أجابه الرجل في برود :

ـ بخير .. لو أطعت أوامرنا .



هتف بسرعة :

ـ سأفعل كل ما تريدون ، وسأدفع أي مبلغ ، مقابل إعادة ابني !

أوقف الرجل سيارته في منطقة مقفرة تماماً وهو يجيب :

ـ اطمئن .. لن تدفع شيئاً .. بل ربما تحصل على ثروة .

لم يفهم المهندس ( إبراهيم ) ما يعنيه هذا فسأله في حيرة :

ـ وكيف ؟!

لم يجب الرجل على سؤاله ، وإنما غادر السيارة ، ووقف على مسافة مترين منها ، في نفس الوقت الذي ظهرت فيه سيارة أخرى اتجهت نحوهما مباشرة ، ثم هبط منها رجل في مثل طول الأول وبنيانه ، وجلس إلى جوار ( إبراهيم ) وهو يسأله ؟

ـ هل تراقب هذا في استقامة تامة ؟

هتف ( إبراهيم ) في لهفة :

ـ ويستعد لفعل أي شيء في الدنيا ، في سبيل هذا .

ابتسم الرجل قائلاً :

ـ عظيم .

ثم خرج من جيبه حفنة أوراق ، قدمها له ، مستطرداً :



www.liilas.com/vb3

- وقع هذه الأوراق إذن .. بعد أن تعود عقاربها بخطك بالطبع ..

وتبسمت عيناه (إبراهيم) في رعب حقيقي، وهو يحدق في الأوراق ..

كانت عبارة عن اعترافات بصفة الحساب المخابرات الإسرائيلية، منذ عام ١٩٤٨م مع عدد من الخطابات التي تحتوي أسرار عسكرية عديدة، مرسلة إلى عنوان (الموساد) في روما، وإيصالات بتلقي مبالغ مختلفة من الإسرائيليين، تظهر معلومات خطيرة.

بالطبع، كان هناك كل ما يكفي لإدانته بتهمة الخيانة العظمى، وفي زمن الحرب، مما يستوجب إعدامه بلا رحمة.

وكان الرجل واضحًا صريحًا.

إما إعادة كافة الخطابات والتوقيع عليها أو حياة (طارق).

ولم يكن أمام المهندس (إبراهيم) سبيل للاختيار.

فكل شيء في الدنيا يهون - من أجل (طارق).

وطوال ثلاث ساعات كاملة راح يعيد كتابة الاعترافات والخطابات والإيصالات ويسهر على توقيعه، ثم يسلمها إلى عميل المخابرات الإسرائيلية، الذي نسيها في حقيبته وهو يقول في صرامة:

- (طارق) سيعود إلى المنزل .. فور تلقينا أول معلومات حقيقية.



يرسلها إلينا من هنا، على العنوان في (سالزبورج) ويتبقى أن يعلم أن أية محاولة للخيانة، سيكون ثمنها حياة ابنك، حتى بعد أن تعيده إليك ..

وعاد (إبراهيم) إلى منزله بدون (طارق) وقد حصل على ثمن هذا من الهموم والأحزان والمرارة والعار ..

ومع انهيار زوجته، وتعوعها التي أغرقت وسادتها ليلة كاملة، جلس هو صامتًا يفكر ويركان هائل يقبض في رأسه، ويهدر غضبه عروقه، كان عليه أن يفعل أي شيء في الدنيا، وأن يحمل قراره، أيًا كان، هدفًا واحدًا لا غير، مهما كانت النتائج ..

مصلحة (طارق) .. وحدها.

وفي الصباح التالي، وبعد مناقشة طويلة مع زوجته حول وصوله إلى صلة كان المهندس (إبراهيم) يكتب أول خطاباته، الذي يحوي كل ما يملكه بداء من معلومات عسكرية، ويرسله إلى ذلك العنوان في (سالزبورج) وأوفى الإسرائيلي بوعده، فلم يمض يوم واحد على وصول الخطاب ومراجعة (ديانا شتاين) بالقسم له، حتى عاد (طارق) إلى المنزل، في منتصف النهار ..

كان شاحبًا ممتقعًا، وإن لم يصبه خدش واحد، وكان الملامح

انه لم يتحدث عما حدث قط ، ولم يحاول النظر إلى والده أبدا ، وكأنما يفهم ما يحدث ، ويدرك مدى ما تورط فيه أبي ، في سبيل إنقاذه .

ولم يحاول ( إبراهيم ) تفسير موقفه ، أو مناقشة الأمر مع ابنه ، وكأنما يدرك بدوره فداحة الأمر وخطورته .

وطوال الشهر التالي واظب المهندس ( إبراهيم ) على إرسال التعليمات إلى ( سالزبورج ) مستخدما ذلك النوع البسيط من الحبر السري الذي دربه عليه الإسرائيلي خلال يومين قضيهما

وفي ( تل أبيب ) ، تلقى ( يوسف ليشنسكي ) تراجع عن التعليمات بتأسف ، ودرسها وفحصها وبحثها ، حتى استقر أمره على قرار واضح ، فأملى مباشرة إلى الرئيس ، فتلاقا بنفس ( هدوء وفتور ) :

ـ تماما كما توقعنا ، لا يوجد دليل واحد على أن المصريين يفكرون مجرد تفكير في خوض الحرب .. إنهم هادئون تماما .. ضباطهم يستعدون لأداء عمرة رمضان ، ورئيسهم يتجنب الحديث عن الحرب ، بحجة أن المتغيرات الدولية لا تسمح بهذا ، وقد قواتهم الجوية بسفر لزيارة ( ليبيا ) وجنودهم يسترخون ويستمتعون بحمامات الشمس ، على شاطئ القناة .



ثم أضاف ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ يمكن لرئيسة الوزراء تدشين فترة الحرب هذه تماما .

وفي المساء نفسه ، أرسل رئيسه تقريرا رسميا بذلك هذا إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية بتوقيع ( ليشنسكي ) ، وبتاريخ اليوم الرابع من أكتوبر ١٩٧٣م .

وبعد يومين بالضبط ، وفي أحد الميادين القريبة للمشاريات العامة ، تعانق رجل المشاريات المصري ( رأفت ) يبتسم ، وهو يقول للمهندس ( إبراهيم ) :

ـ صدقني أيها المهندس .. لا أدري أ شخصا بشجاعتك ووطنيتك هذا فقط . لقد علمت أدرك أن حياة ابنك قد تكون ثمن تعاونك معنا بإخراج الإسرائيليين ، وإنهائهم بأننا لا نقامر في شئن الحرب قط ، وعلى الرغم من هذا فقد أجلت إليا ، وشرحت إليه الأمر كله ، ونقلت كل ما طلبناه منك ، حتى باغتتهم الحرب اليوم ، وحطمت غرورهم وغطرستهم في ساعات معدودة .

أغمض ( إبراهيم ) عينيه ، مغمغما :

ـ حمدا لله !

ثم فتحهما ، مستطردا في حزم :

- لقد فعلت كل هذا من أجل (طارق)، من أجل ألا يشب هو ويشعر أن والده قد خان وطنه، لأي سبب كان .. فعلته حتى لا يفقد انتماءه لبلده الذي أحبه وربّاه .. من أجل (طارق) ومستقبله، قررت أن يحيا في وطن حر مستقل، عظم حرّاسه، ومنع انتصاراته.

ثم انهارت عيناه بالدموع، من فرط الانفعال، وهو يضيف:

- حتى ولو كان الثمن هو حياته .. وحياتنا جميعاً.

ربت (رفعت) على كتفه، قائلاً في حزم:

- لقد فعلت الصواب يا سيد (إبراهيم) .. فعلته لوطنك، ولبلدك ولنفسك أيضاً .. واطمئن .. (طارق) سيبقى دائماً تحت حمايتنا، ولن يمس الأعداء شعرة واحدة من رأسه.

واستعاد ابتسامته، مستطرداً:

- وسيظل يزهو طيلة عمره، بأنه واحد من أبطال (مصر).

لمعلتها شعر (إبراهيم) بأن كل مخاوفه قد زالت، وبأن فيضان من الاطمئنان والارتياح يسري في عروقه، ويملأ خلاياه كله ..



وعندما تخيل الإسرائيليين، وحالة الفرار التي يشعرون بها بعد أن باغتتهم الحرب، بضربة جوية ساحقة، ويحورر كسر أنفهم، وحطم أسطورتهم إلى الأبد، وجد نفسه يشرد في فخر وزهو مطبقين، حتى إنه غادر المبنى عائداً إلى (طارق) وأمه، وهو يسير مختالاً كالطاووس ..

طاووس مصري ..

هاهي ..

* * *

Eman
www.liilas.com/vb3

## العميل النسوي ..

ران صمت طويل على حجرة الاجتماعات الرئيسية ، في مبنى المخابرات العامة المصرية ، في تلك الليلة من ليالي سبتمبر ١٩٧٩ ، والرجال الذين ضمتهم مائدة الاجتماعات البيضاوية الكبيرة ، يتابعون في اهتمام بالغ ، فيلمًا سينمائيًا خاصًا ، نجح أحد عملاء المخابرات في قلب (إسرائيل) في تصويره بدقة وبراعة مدهشتين ، لأحد المطارات الجوية ، التي للأمها الجو في صحراء النقب ..

كان الفيلم يصور مداخل ومخارج المطارات ، ووسائل الأمن المتبعة فيه ، وتحركات طاقم الحراسة المحيطة به ، وقد ظلت الرجال بذلك الصمت التام ، حتى انتهى العرض ، فاعتدلوا يواجه بعضهم البعض حول المائدة ، قبل أن يقول المدير :

- فيلم ممتاز ، هذا لا يتطلب وقتًا لا يضحا بالنسبة لي ما نحتاج إليه ، في هذا المكان ، الرجلنا الذي يستحق كل التقدير ، لتمكنه تصوير كل ما يحدث حول المقاعد وخارجه ، ولم يمكنه بالطبع دخول المكان ، أو الحصول على أية معلومات عما يدور داخله .

قال أحد الرجال في اهتمام :

- إذا نحتاج إلى عين بالداخل ..



أشار إليه المدير ، قائلاً :

- بالضبط ، نحتاج إلى زرع عميل ما ، داخل هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية ، أو تجنيد أحد العاملين فيها .

تراجع رجل مخابرات بمقعده ، وهو يقول :

- عملية الزرع هذه ، تحتاج إلى زمن طويل للغاية ، وتتائجها غير مضمونة ، في الظروف الحالية ، واعتقد أن الأفضل أن نتجه بجهودنا إلى محاولة تجنيد أحد العاملين في النهاية .

أومأ المدير برأسه متفهمًا ، وقال :

- هذا أيضًا ليس بالأمر السهل ، فالشركة القائمة بالفعل الصفقية ، والإسرائيليون يعلمون أننا نعد بناء الجبناتي ، بعد لمسة بوانيو ١٩٨٦م ، وكانوا قد سعوا إلى اختراق أرضنا ، والعرب الذرية أية لا أريد ... في تأخير مشاعلها في كل الأوساط العربية ، الإيحاء بأنها امتلك مخزونًا من القنابل النووية ، يتيح لها تدمير العواصم العربية ، التي تحاول أمن الحرب عليها ، ولا يخفى عليكم أن شائعة كهذه ستجد صدى حكمًا ، في نفوس العديدين ، وربما ألفت القيادة العسكرية والسياسية أيضًا ، لذا أمن الضروري ، بل من المحتم أن نبحث هذا الأمر بأنفسنا ، حتى نحسم تلك الشائعات ، ونبلغ الجانب الحقيقي منها ، لتحديد ما إذا كان

الإسرائيليون يمتلكون أسلحة نووية بالفعل أم لا ، وإن الإسرائيليين يدركون أهمية أن تبقى معلومة كهذه ، فهم يمتلكون العلماء والعاملين في تلك المفاعلات النووية ، يمتلكهم كافة والعهم ، لضمان الأمن والسرية التامين .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يفهم أحدهم :

- لا يوجد نظام أمني مأمون مائة في المائة .. هناك حتماً ثغرة ما .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

- بالضبط .. لذا فسنشاهد الفيلم مرة أخرى ، ثم نجهد نفوسنا بأمر مرات ومرات ، حتى نجد تلك الثغرة ، التي يمكننا أن ننفذ من خلالها إلى الحقيقة ..

قالت المرأة الثالثة ، التي يشاهدون فيها هذا الفيلم ، وعلى الرغم من هذا فقد خيم عليهم صمت عميق ، وهم يتابعون ما لحقة منه ، ثم عادوا يتأملون الأمر ، ويلخصونه ، ويحصونه ، ويطيلونه على كل الوجوه ، حتى استقر رأيهم ، في الثلاثة وثلاثين صباحاً ، على المضي قدماً في موضوع التحليل ..

وطوال الأيام الخمسة التالية ، لم يفض لأحدهم جفن ، وهم يراجعون كل ما لديهم من معلومات ، عن هيئة الطاقة النووية الإسرائيلية .. والعاملين بها ..

ولم يكن الأمر سهلاً أو بسيطاً ، إلا أنهم بذلوا بحق جهداً خرافياً ،



في مراجعة ملفات عشرات العلماء ، وملفات العاملين ، وتاريخهم ، وميلادهم ، وأصولهم التي ذكروا ينتمون إليها ، قبل هجرتهم إلى ( إسرائيل ) ..

وفي اليوم السادس في حجرة الاجتماعات نفسها ، طرح الجميع ترشيحاتهم ..

ذكروا قد اختاروا ثلاثة فحسب ، من بين تلك الملفات .. الذي أبوه من أصل بولندي ، وموظف حسابات من جهة ( الصابرا ) ، والمولود في ( إسرائيل ) ، وعالم نووي من أصل فرنسي .

والعجيب أنه بعد سبع ساعات كاملة من الفحص والدراسة وقع الاختيار على العالم اليهودي ، ذي الأصل الفرنسي ( جان بيير ) .

ووجه العجب هنا هو أن ( جان بيير ) كان رجلاً بلا انتماء تقريباً ، فهو عالم فحسب ، وأبوه في ( نيويورك ) ، أبو فرنسي وأم يهودية ، وهاجر إلى ( إسرائيل ) في أوائل الستينيات ، دون أن يعاني من تلك المتاعب والمشاعب والمشكلات المرهقة ، التي يعاني منها المهاجرون الجدد في العادة ، فلم يتم وضعه في أحد المعسكرات أو ( الكيبوتز ) ، ولم يضطر للعمل بالزراعة أو الحراسة ، أو يضطر للإقامة في منزل بسيط متواضع ، يقاتل فيه الحشرات والفئران في كل يوم ، للدفاع عن طعامه وأمنه ..

هذا لأن ( جان بيير ) كان عالماً من علماء الطاقة النووية ، التي

تحتاج إليهم (إسرائيل) بمثلهى الاهتمام واليقظة فى تلك المرحلة.

لذا فلم يكد يصل إلى (تل أبيب) حتى اختفوه اختفاءً ، وسلموه وثيقة جديدة ، فى هيئة البطاقة التموينية هناك ، براتب شهرى ، جيد يحصل على منزل أنيق وسيارة فاخرة ، خاصة وأنه غير متزوج ، ولا يقلق على والديه أو خلافهما ..

ومن الناحية الأخرى ، كان (جان بيير) رجلاً ملتزماً بمعنى الكلمة ، فهو لا يدخن ، أو يتناول المخدرات ، ولا يلعب القمار ، أو يميل إلى أية علاقات نسائية ، كما أنه مخلص لعمله ، ويبذل من أجله كل اهتمامه وطاقته ووقته ..

أو بمعنى أدق ، لم تكن عنده نقطة ضعف واحدة يمكن التسلل منها إليه ، وتجنيده للعمل لحساب المخابرات المصرية ..

السؤال الذى يطرح نفسه الآن ، هو أصلاً وقع عليه الاختيار للمهمة

والجواب ، الذى قد يدهشك ، هو أنها انتخاب ضعف (وربما) نقاطها ..

والواقع أن الرجال كانت لديهم نظرية عبقرية للغاية فى هذا الشأن ، فما دام (جان بيير) دقيقاً وملتزماً إلى هذا الحد ، وصعب تماماً عند الحساب مخابرات دولة أخرى ، فهذا يعنى أنه الشخص المثالى ، الذى يليق السعى لتجنيده ، إذ إن الشك أن يتطرق إليه قط مهما كانت الظروف ..



ثم إنه ، ومهما بلغت قوة شخصيته ، ومجرد بشر ، عنده حتماً نقطة ضعف فى مكان ما فى تكوينه ..

نقطة ضعف تكفى حتماً لتجنيده ..

وإن البحث عن تلك النقطة أمر عسير للغاية ، فقد انهمك الرجال فى مراجعة ملف (جان بيير) لأسبوع آخر ..

أسبوع بدا لهم أشبه بالدهر ، وهم يطلقون كل عملائهم فى (إسرائيل) و(فرنسا) خلف الرجل ، لجمع أدق تفاصيل حياته ، ومعيشته ، وعمله ..

وفى الاجتماع التالى ، سألهم المدير :

- هل توصلتم إلى نقطة ضعف الرجل ؟!

أجابه أحدهم فى سرعة :

- (جان بيير) هذا لا يمكن تجنيده من أجل المال أو النساء ، أو حتى المنصب والقوة والسلطة .. وهذا يعنى أن هناك سبيلاً واحداً للوصول إلى عالم هذا مثله .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطرداً فى حماس :

- الفكرة .

اعتدل المدير في مجلسه ، وهو يسأله في اهتمام :

- أتقصد مخترعاته ؟!

فكر رجل المخابرات رأسه نافياً ويجيب :

- بل أفكاره وعلومه .. الشيء الوحيد الذي يمنحه كل اهتمامه وقناعته وميوله .. باختصار .. الشخص الوحيد .. الذي يمكنه تجنيد رجل مثل ( جان بيير ) هو عالم نووي مثله .. شخص يتحدث بلسانه ، ويتكلم بأفكاره ، ويفكر بعقله .. شخص يلجأ في تجنيد عقله ، قبل أن يصارعه بما يريده منه بالضبط .

كان من الواضح أن كلماته هذه قد نالت قبولاً من الجميع ، فتبادلوا نظرة استحسان صامتة ، قبل أن يسأله المدير في اهتمام :

- لاحظ أن البروفيسور ( جان بيير ) ليس موظفاً عادياً بهيئة الطاقة النووية الإسرائيلية ، إنه أيضاً أستاذ بمعهد التكنولوجيا الإسرائيلي ( تكنيون ) في ( حايفا ) ، وهذا يعني أنه سيلتقي بطلبة .. كيف يمكنك اللعب على عقل شخص كهذا ؟!

أجاب الرجل بسرعة :

- بشخص مثله .

ثم اعتدل في مقعده ، لتابع في حماس :

- شخص عبقري ، في التجسس نفسه ، وفكره جيد أيضاً ،



يعينك بمكنه الاطلاع على كل ما كتبه ( جان بيير ) في هذا الشأن ، إذ إن أكثر ما يحب أي عالم سماعه ، هو حديث شخص متحمس لأرائه ونظرياته ..

سأله أحد رفاقه :

- ومن أين يمكننا الحصول على شخص كهذا ؟!

وفي هذه المرة بالتحديد ، لم يجب رجل المخابرات بنفس السرعة والحماس ، وإنما تراجع في مقعده ببطء ، وهو يجيب في حذر :

- لدينا علماء عبقرة بالتأكيد .

تبادل الرجال نظرة صامتة أخرى ، قبل أن يقول المدير :

- هذا أمر طبيعي يا رجل ، فلن تخلو ( مصر ) من العقول الجبارة ، التي تساوي وتتفوق أيضاً على العقول الإسرائيلية ، ولكننا ، في المخابرات عادة لا نبحث عن عالم فحسب ، وإنما عن رجل يدرك عمله بالضبط ، وأدبه الخبرة اللازمة لمواقفه ، دون أن يرتكب خطأ واحداً ..

ثم مال إلى الأمام مستطرداً في حزم صارم :

- باختصار ، نحن نحتاج إلى رجل مخابرات لديه عقلية عالم نووي .

وعندما تبادل الرجال نظراتهم هذه المرة ، كانت عيونهم تحمل الكثير ، والكثير من القلق ، والتوتر ، والحيرة ، والتساؤل ...

وفي حزم ، أجاب صاحب الفكرة :

- فلنصنع ما نحتاج إليه إذن .

والحبست الأنفاس ، من فرط الانفعال والانبهار .

وكان الفكرة ثم طرحها على بساط البحث ..

وإن نكون مباشرين ، لو قلنا إنها استغرقت الليل كله ، قبل أن تتحول من فكرة إلى قرار حاسم صعب ، اتفق عليه الجميع

وفي اليوم التالي مباشرة ، تم استدعاء أحد أساتذة قسم الهندسة النووية في جامعة ( الإسكندرية ) ، وآخر في قسم الطاقة الذرية بكلية علوم ( القاهرة ) ، وثالث في هيئة الطاقة الذرية المصرية

وعندما اجتمع الثلاثة ، قام لهم مدير المخابرات أحد رجاله وهو ( م - ع ) وهو يقول :

- زميلنا هذا خبير في مجاله ، شأنه شأن كل من تعامل معه ، والمطلوب منكم أن تصنعوا منه خبيراً آخر ، في مجال الطاقة النووية .



كان مطلباً عجيباً ومدهشاً للغاية ، بالنسبة للرجال الثلاثة ، لسنا للتلف سراً ، لو قلنا : إنه فجر دهشتهم واستهجانهم واستنكارهم في آن واحد ، واعترض الثلاثة على الفكرة وأكدوا أن الخبرة في مضمار ما ، لا تعطى حتمية لهم مضمار آخر وإدراكه ..

ولكن المدير استمع إليهم في اهتمام صامت ، ثم راح يناقش الأمر معهم في هدوء شديد ، وأخبرهم أنه ليس المطلوب منهم أن يصنعوا ( أينشتاين ) جديداً ، وإنما عليهم أن يبذلوا جهدهم المخلص ، وستقيم التجربة نفسها في النهاية ..

وعلى مضض ، ودون حماس يذكر ، بدأ العلماء الثلاثة عملهم .. وكم كانت دهشتهم ، للسرعة والمهارة والذكاء ، التي استقبل بها ( م - ع ) ما يملونه إياه من معلومات ومعادلات وتفاصيل ..

فالواقع أن رجال المخابرات ( م - ع ) كان أحد خريجي كلية العلوم ، ممن شغلوا بالدراسات الفيزيائية والذرية ، مما ساعده على استقبال والتفهم كل هذه المعلومات في سهولة ويسر ..

بل واستمتاع أيضاً ..

ومع مرور الوقت ، انتاب العلماء الثلاثة الكثير من الاحتشام والحماس ، وازداد ارتباطهم بالرجل ، وراحوا يواصلون عملهم معه بهمة حقيقية ، وكأنه لم يعد لهم من عمل في الحياة سواه ..

وفي أوائل عام ١٩٧٨م ، كان (م . ع) قد تحول إلى عالم نووي حقيقي ، في نفس الوقت الذي اليمك فيه الباحثون في مثابعة (جان بيير) ، وجميع كل المعلومات المتعلقة عن حياته وتحركاته وأسفاره ..

وفي مكان ما ، داخل (إسرائيل) أو خارجها ، تم لقاء (م . ع) بالدروفيسير (جان بيير) ، وتبادلا أول حوار ..

ومن المؤكد أن ذلك الحوار كان عبقرياً للغاية ، وأنه فريد من نوعه ، في عالم المخابرات ، وكذلك الحوارات التي تمت بعده على مدى شهر كامل ، وعلى نحو جعل (م . ع) هو الشمس الوحيد في الكون كله ، الذي يحرص (جان بيير) على تغذيته والعناية معه .. ومما لا يدع مجالاً للشك ، أن عملية تجنيد العالم النووي الإسرائيلي لا مثيل لها ، في تاريخ المخابرات كله ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ، بمعنى أن أحداً لم يوفق على الإطلاق بتذكرها فقط ، باعتبارها مبادرات تقرع داخل بلد المرتبة المستهدف ..

ولكن المهم في النهاية ، هو أن المخابرات المصرية قد نجحت في دفع (جان بيير) إلى العمل لحسابها ..

ينتهي الصراحة ..

والوضوح ..

والإقناع ..



ولم يخلفا البروفيسور أبداً ، فقد راح يرسل إليها معلومات بالغة الأهمية والخطورة ، ويمدها بالدقة والإتقان ، عن كل ما يتعلق بالنظام النووي الإسرائيلي ، والمفاعلات النووية ، من خلال رسائل بالحبر السري ، يتم إرسالها إلى عناوين مختلفة ، في معظم أنحاء العالم ، أو عبر تقارير مغلفة ، كان يسلمها بيده لأحد رجال المخابرات المصرية ، أثناء سفره خارج (إسرائيل) ، في رحلات دراسية أو سياحية ..

ومن حسن الحظ أن (جان بيير) لم يكن خبيراً نووياً فحسب ، وإنما كان على دراية كاملة بهندسة المعادن والجيولوجيا أيضاً ، ولقد نجح في توظيف كل هذه الخدمة لنشاطه التجسسي ، إذ راح يمدنا بكافة المعلومات ، حول التعدين ، والأبحاث الجيولوجية ، في كل مكان (إسرائيل) في كل مكان ..

ولكن أهم ما قدمه لنا (جان بيير) على الإطلاق ، هو إثبات أن الإشاعات الخاصة بالمخزون النووي الإسرائيلي الكبيرة ، وأن (إسرائيل) لم يكن لديها ، في ذلك الوقت ، أية قنابل ذرية ، أو حتى برامج لصنع تلك القنابل خلال السنوات الخمس التالية ، مما يعني أنها ، حتى وإن بلغت الجيوش العربية (تل أبيب) ، لن يكون بإمكانها فقط تهديدنا بأي سلاح نووي ..

ولقد تم نقل هذا بالتأكيد ، فور وصوله ، إلى القيادة السياسية

والعسكرية ، مما كان له أكبر الأثر في وضع الخطة النهائية للمعركة ، على نحو واقعي سليم .

وكان من الممكن أن يمضي ( جان بيير ) في عمله هذا إلى الأبد ، دون أن يكتشف أمره ، لولا أن وقع في خطأ عجيب للغاية .

فبينما كان يرسل أحد خطاباته ، المكتوبة بالحبر السري ، إلى أحد المخازن الخاصة ، في عاصمة من العواصم الأوروبية ، أخطأ في كتابة رقم صندوق البريد ..

وكان من الطبيعي عندما فشلت إدارة البريد الأوروبية في توصيل الخطاب ، أن تعيده إلى مرسله في ( إسرائيل ) ..

ومع عودة الخطاب سقط بالصدفة في يد رئيس قلم الأمن ، في هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية ، الذي فتحه بدافع الفضول ، ثم عرضه على مندوب ( الموساد ) هناك ..

وتم فحص الخطاب بالأشعة فوق البنفسجية ، فظهر الحبر السري ، وانكشف أمر البروفيسور ( جان بيير ) ، وتم إلقاء القبض عليه ، دون أية مقاومة منه .

وحوكم ( جان بيير ) ، وصدر الحكم ضده بالسجن لعشر سنوات نظراً لتعاونه مع سلطات التحقيق هناك وإدلائه باعتراف كامل ،



بدور الإسرائيليين ، وآثار ذهولهم وسخطهم بشدة ، عندما أبلغوا أن تطورات المخابرات المصرية ، وتم أصبحت عبقرية فذة في عالم الغموض والأسرار ..

وأن ( مصر ) لا تتغلى بسهولة عن كل من ساعدها ، أعدت المخابرات المصرية خطة محكمة ، لتهريب البروفيسور في سجنه ، ونقله إلى ( القاهرة ) ، مع اثنين من عملائها ، يقضيان مدة عقوبتهم في السجن نفسه .

ونجحت كل شيء على ما يرام ، حتى كانت لحظة التنفيذ ..

وعلنا النهار ( جان بيير ) ، وأعلن خوفه الشديد من معاودة الفرار ، وأكد لرفاقه أنه قد تقدم بالتماس عفو ، لدى السلطات الإسرائيلية ، وأنه ينتظر الإفراج عنه قريباً ..

وأدى العميل الآخر الخطة بدوره ..

ونجحت الخطة نجاحاً مبهراً ، أثار جنون الإسرائيليين وسخطهم ، خاصة وقد وصل العميلان إلى ( القاهرة ) سالمين .

ولم تنفذ السلطات الإسرائيلية وعدها للبروفيسور ( جان بيير ) ، ولم يتم الإفراج عنه إلا بعد انقضاء عقوبته كاملة ..



www.liilas.com

وعندما غادر (إسرائيل) بعدها، كانت المخابرات المصرية في انتظاره، لتمنحه مكافأة سخية بعد انتصارنا في السادس من أكتوبر 1973، استغلها ليبدء حياة جديدة في (الأرجنتين).

أما (م.ج)، فقد استهواه الأمر، وواصل دراسة الفيزياء النووية، ليحصل فيها على درجة الدكتوراه، ويصبح أول رجل مخابرات مصري.. نووي.

* * *



# العميـــل

على الرغم من أن عقارب الساعة لم تكن قد تجاوزت منتصف النهار بعد، في ذلك اليوم من أيام يناير، عام 1970م، إلا أن الفيوم الأثيرة التي تحبب الشمس والسماء، وينهمر عليها مطر غزير، لم يسبق له مثيل، طوال تلك الشتاء القارس البرودة، أعطت شعورًا زائفًا بأن الغروب وشيك، مما دفع سائق سيارة الأجرة القديمة، التي تنطلق بسرعة متوسطة، إلى جوار (قصر الطاهرة)، إلى أن يضيء الأنوار الخافتة على نحو عفوي، وهو يختلس نظرة خاطفة إلى مرآة السيارة الداخلية، التي تعكس صورة الراكب الوحيد الذي انكمش صامتًا شاحبًا في المقعد الخلفي، غارقًا في لجة من الأمطار، اشتركت مع تحوله الشديد في منحه مظهرًا يتجاوز سنوات عمره الثلاثين بعشرة أعوام على الأقل..

ولم يكن سائق السيارة يشعر بالارتياح، مثلاً دلف ذلك الراكب إلى المقعد الخلفي بحركة مباغتة، وقال في عصبية واضحة:

ـ المخابرات يا أسطى.

لعلتها سقط قلبه بين قدميه، واستعاد ذهنه في لحظات كل ما سمعه، وما همست به الألسن الفاغرة، عن المخابرات العامة، وكل ما التصق بها من شائعات، وخيل إليه أنه إذا ما التفت



www.liilas.com/vb3

إليها ، فسيتم اعتقاله فورًا بتهمة جناية ، والتحق بسائقين مرتبطين إلى ذلك المبنى المهيب ، في حدائق القبة ..

ولكن عندما بلغت سيارته أول الطريق ، الذي يقود إلى مبنى المخابرات العامة ، ثارت غريزته وملاحظاته قد أنبأته أن ذلك التركيب للعمل لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء الحفاة ، الذين سمع عن وجودهم داخل ذلك المبنى المهيب أبدًا ، فتوقف قبل أن يبتلع الممر المتقلع ، واستدار قائلاً في شيء من الصرامة :

ـ وصلنا يا أستاذ .

انتفض في عنف ، وكأنما انتزعه السائق بقسوة من سبات عميق ، وحدق فيما حوله في شيء من الدهشة والارتياح ، وهو يسأل بصوت ملتهف :

ـ كيف ؟!.. أيها سائق خائن !

زمجر السائق في شيء من العصبية ، قائلاً :

ـ اقطع الأمتار المتبقية سيرًا على الأقدام ، لن تقترب من هذا المبنى فأنزل للعمل من السيارة .

واتجه إلى البوابة مباشرة ، وعندما بلغها ، كان الشبه بفريق تم انتشاله من أعماق البحر على الفور ، فتوقف أمامها مضطربًا .



ولكن انتزعه من دهشته صوت هادر يسأل :

ـ لأية خدمة يا أستاذ ؟!

انتفض جسده مرة أخرى في عنف ، وحدق في رجل ضخم ليتمتمة ودود ، في انتظار جوابه ، فأدرك لعبته في صعوبة ، وبذل جهدًا حقيقيًا ليقول :

ـ أريد مقابلة أحد المسئولين هنا .. اسمي ( أحمد عـ . )

كان آخر ما توقعه هو الآخر ذلك الشعور الغريب ، بأن رجال المخابرات سيلقون عليه ، ويقترسونه بلا رحمة ، لمجرد أنه جرؤ على الاقتراب من أسوارهم العالية ، لذا فقد أدهشه ذلك الأدب الجم في التعامل ، والأسلوب الشديد التهذيب لرجال الأمن ، الذين أجروا اتصالاً هاتفيًا داخليًا محدودًا ، ثم احتفظوا ببطاقته الشخصية ، ومنحوه بدلاً منها بطاقة صغيرة خاصة ، تحمل رقمًا كبيرًا ، مع كلمة ( زائر ) ..

وبمنتهى الاحترام والهدوء ، اصطحبه أحدهم عبر ممرات المكان إلى أحد المباني الداخلية ، وأجلسه داخل مكتب أنيق بسيط ، وبحر عان ما وجد أمامه كوبًا من عصير الليمون مع وعد بأن أحد مسئولي المخابرات سيلتقي به .

ومع الماء الذي ارتشفه به ، كان من الطبيعي أن تتراخى



www.liilas.com/vb3

أعصابه ، وإنهيار عضلاته ، ويغوص في مقعده الوثير ، ويتطلق عقله إلى بداية الأمر ..

البداية التي قادته اليوم إلى مبنى المخابرات العامة المصرية ..

اسم ( أحمد هـ ـ ) واحد من أبناء مدن القناة ، الذين عاصروا نكسة عام 1967م ، وفقدوا أعمالهم ومنازلهم ، وأعمالهم ، واضطروا إلى النزوح إلى ( القاهرة ) ضمن موجة النهجير ، التي شاءت من أعمالهم وأحياء سكان ( القاهرة ) وباقي مدن ( مصر ) ..

وفي ( القاهرة ) شعر ( أحمد ) بغربة ما بعدها غربة ، وتبددت مشاعره ، وانطفأت حياته ، وصار عليه أن يخرج من عالمه ويرتدي ثوبًا يناسب العاصمة ، وهو الذي قضى عمره كله يجاور القناة ، يتاجر مع السفن العابرة بها ، ويبيع ويشتري منها ، ويجيد لغات أصحابها واستيعاب وطرق التعامل معهم ..

ولم يناسبه ذلك الثوب الجديد أبدًا ..

كان يشعر بثقل المسئولية على كاهله ، وهو المسئول عن إعالة والدته ، وشقيقه ( مصطفى ) ، وابنة خالته ( نعيمة ) ، الذين يقيمون جميعًا في حجرة واحدة ، تضمهم بالكاد ، لذا فقد امتهن كل مهنة سمحت بها إمكانياته ، وباع واشترى أشياء لم يتعامل بها قط من قبل ، واحتمل مصاعب ومتاعب وسخافات ، لم يتصور يومًا أن يواجهها ..



وعلى الرغم من كل هذا ، لم يكن ما يحصل عليه من دخل يفي أكثر من الضروريات الحتمية ، إطعامًا وإيواءً ..

وأخيرًا قاض به التأمل ..

وإياه ينتظك طبيعة مقفرة ، ونفسًا لا تقبل بالاستسلام أو اليأس ، فقد لفظ ( أحمد ) قرارًا جريئًا يتحطيم كل القيود ..

وأولها قيود المكان ..

ولم يكن السفر إلى خارج البلاد سهلاً أو متاحًا ، في تلك الحقبة الزمنية ، ولكن ( أحمد ) ألفى نفسه عليه الأمر ، وقتال عامًا لم يقاتل من قبل ، وكافح في استماتة ، حتى حصل على النهاية على أول الخيوط للحلم ..

جواز سفر ، وتصريح خروج ، وتأشيرة لدولة من دول خوض البحر الأبيض المتوسط ..

وبعد جلسة عائلية مطولة ، أسند ( أحمد ) مسئولية الأسرة إلى شقيقه ( مصطفى ) ، وانتقل القاهرة إلى تلك الدولة ، بحثًا عن فرصة عمل جيدة ، وكان الحلم لم يكن وردياً ، والكفاح في الغربة لم يكن هينًا ..

كان مئة من العذاب والألم والتعب حتى ظهر ( مارينا ) ..

كان ( أحمد ) قد يئس من العثور على عمل ، وانتقد كل ما معه



www.liilas.com/vb3

من أموال تقريباً ، ولم يعد لديه ما يكفي حتى لعودته إلى (مصر) ، لو أراد هذا ، لذا فقد كان من الطبيعي أن يلجأ بشدة لتقاسم الجديد ، الذي ظهر في حياته فجأة ، ليهمس في أذنه :

- (أحمد) يا صديقي .. من الواضح أن مواهبك تفوق أقرانك بكثير ، فلماذا تسعى للحصول على عمل وضيع ، يمكن أن يقوم به أي شخص تافه .. دعني أبحث لك عن عمل يناسبك ..

هز (أحمد) عنقه عليه ، وقال :

- بدون علي كذلك .

رمقه (ماريو) بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يبتسم فجأة بلهجة دغدغت كل ما تبقى من آمال (أحمد) وأحلامه :

- امنحني يومين فحسب ، وسأمنحك أفضل عمل في المدينة كلها .

ومنحه (أحمد) يومين ..

بل منحه عشرة أيام كاملة ، لم يظهر (ماريو) خلالها لحظة واحدة ، حتى النهار كان (أحمد) لله ، وكلما يأسه إلى الأبد ، وكاد يبكي بدموع من دم ، وهو يغلق آخر قرش في يده ، ويدرك جيداً أنه لن يجد قوت يومه ، عندما تشرق شمس الغد ..

وفجأة ، ظهر (ماريو) مرة أخرى ، وهمس هاتفه لأذن (أحمد) ، وهو يقول :



- (أحمد) صديقي .. كيف حالك ؟

قفز (أحمد) يتعلق به ، كما يتعلق الغريق بآخر قشة في البحر ، وسأله في لهفة وغضب عن سبب غيابه ، وأشفقه أن يجاوبه (ماريو) بضحكة عالية مجلجلة ، قبل أن يربت على ظهره في حرارة ، قائلاً :

- لا عليك يا صديقي .. انس كل متاعبك السابقة ، فاليوم ستبدأ حياتك الجديدة .. هيا .. دعنا نلتقي برئيس العمل ..

لم يصدق (أحمد) أذنيه ، ولم يحاول إخفاء لهفته ، وهو يهرع معه إلى واحد من أثرياء العالم في المنطقة ، ليلتقي برئيس المزعوم (جاكوب) ..

ولا أحد يدري لماذا لم يشعر (أحمد) بالارتياح تجاه (جاكوب) هذا ، على الرغم من أن الرجل قد أحسن استقباله ، واستمع إليه في اهتمام مصطنع ، وتحدث معه عن (مصر) وأحوالها ، وقال بزهو : إنه ولد هناك ، وعاش طفولته وصباه في حي (بولاق) ، ثم منحه في النهاية مبلغاً محترماً ، يزيد عما حضر به من (مصر) ، وطلب منه أن يقابله في اليوم التالي ، لمناقشة تفاصيل العمل ..

ولم يلم (أحمد) ليلتها ، أو يفسح له جفن لحظة واحدة ..

ولم يخطر بباله لحظة واحدة أن يكون الثمن هو الوطن (مصر) ..

وأن تزوده الفكرة حتى في لقائه الثاني مع (جاكوب)، على الرغم من حديث هذا الأخير عن أحلام السلام، وضرورة السعي لمنع اندلاع الحروب في الشرق الأوسط، وأهمية جمع المعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الهدف ..

ولكن عقله أشاح كله دفعة واحدة، وهو يجلس في المقهى في المساء، يراجع ذلك الحديث، عندما انضم إلى مجلسه بعض قوى البغية، مقاول المحضلات، يعرفه رواد المقهى باسم الريس (زكي)، وسأله عن أحواله، ثم مال على أذنه يهمس:

- لا داعي لانشغالك بذلك الرجل (ماريو) .. إنه لا يدعو للارتياح.

إن عبارة الريس (زكي) قد ضاعفت من الإثارة في عقله ..

وفي لقائه الثالث مع (جاكوب) كان يستوعب الأمر تماماً ..

الرجل يطلب معلومات خاصة عن (مصر)، ويعد بمكافآت سخية.

ثم يعقله (جاكوب) بالجهة التي تطلب هذه المعلومات، وغادر المقهى ثم غادر المدينة كلها، بل وافق على الأمر، وحصل على مبلغ نقدي جديد، وأم يحاول (أحمد) أن يسأل، في اليوم التالي، عائداً إلى (مصر) ..



وفي (مصر) لم يلتق (أحمد) قرشاً واحداً مما حصل عليه من (جاكوب)، على الرغم من أنه وجد أسرته في فاقة، و(مصطفى) لا يميد حمل المسئولية، وإنما وضع كل النقود في جيبه، وانطلق في الصباح التالي مباشرة، وعلى الرغم من الأمطار الغزيرة، إلى المخابرات العامة المصرية، ليطرح الأمر على رجالها.

- أهلاً يا (أحمد) ...

انتزعه القول من أفكاره وشاعريته، وبدا له الصوت مألوفاً، فرفع حاجبيه في دهشة، وهو يلهث بحركة غريزية، والتفت لمواجهة صاحبه، قبل أن تتسع عيناه في ذهول، ويحملق فيه لحظة، معاوداً له ميزه في اللحظة الأنيقة وربطة العنق الرفيع، ثم يهتف بصوت ارتج له كيانه كله:

- مستحيل !.. الريس (زكي)

كانت مفاجأة مذهلة له بالفعل، أن يكتشف أن ذلك البعار القوي، الذي التقى به هناك، لم يكن سوى رجل المخابرات المصري (ر - ع)، الذي هدأ من روعه، وجلس إلى جواره، واستمع إليه جيداً، ثم اعتدل قائلاً:

- نحن نعرف (ماريو) منذ فترة طويلة، ونعرف أن مهمته هي انتقاء العناصر الصالحة للتجنيد لحساب (إسرائيل).

أما (جاكوب) فهو وجه جديد في اللعبة، ولقد تعرفناه فقط ونحن نراقبه، بعد اتصال (ماريو) به.

وفي تلك الليلة، بدأت عملية التحول، والتقى (أحمد) أول درس في لعبة (الجاسوس المزدوج)، وطلب منه (ر - ج) إلقاء الأسرار التي حصل عليها من (جاكوب) على نحو طبيعي، بل والمطالبة بالمزيد، عند عودته إلى تلك الدولة، كما سيفعل أي جاسوس طماع، وطلبه أيضًا بالسعي للحصول على كل ما طلبه منه (جاكوب)، وإضافة كل المعلومات بمنتهى الصدق والأمانة..

وأطلت الدهشة واضحة في عيني (أحمد)، وهو يستمع إلى هذا، ولكن (ر - ج) ابتسم، وربت على كتفه، قائلاً:

- لا تشغل نفسك بمحاولة كسر قواعد اللعبة الآن.. كل شيء سيفسر نفسه مع الوقت.. فقط.. لا تحن فراغي كل التفاصيل..

وجمع (أحمد) المعلومات المطلوبة بإتقان، ودون التي مساعدة من (ر - ج) أو المخابرات المصرية، وسافر ليسلمها بنفسه إلى (جاكوب) الذي أبدى سعادته وارتياحه، وسلمه مكافأة سخية، مع قائمة جديدة من الطلبات، ثم تناقش معه وسيلة الذهاب والعودة، واقترح أن يقوم (أحمد) بنشاط يتفق مع فكرة السفر، مثل إنشاء شركة للسياحة..



وفي نهاية المجلس، أعطاه (جاكوب) صراحة أنه يعتبر (أحمد) (إسرائيلي) وهو يتفرس ملامحه جيدًا..

وأدى (أحمد) دوره كأحسن ممثل دراما في العالم، فانتسبت عيناه، وارتجفت، وتراجع، وعقد حاجبيه في تفكير عميق، ثم لم يلبث أن سأل عن المكافأة التي سيحصل عليها بالعملات، وبلهجة توحي بالطمع والشهقة..

وهنا اطمأن قلب (جاكوب) إلى هذه الخطوة، وطلب من (أحمد) أن يستعد لتلقي بعض التدريبات، على كيفية الحصول على المعلومات، وإرسالها، وبعض الأمور الأخرى المهمة، في عالم التجسس..

وطوال العامين التاليين، أثبت (أحمد) للإسرائيليين أنه جاسوس موهوب من الطراز الأول، وشعروا بأنه لا غنى لهم عنه من المعلومات، تحت إشراف (ر - ج) وجهاز المخابرات العامة المصري، حتى اطمأن جهاز المخابرات الإسرائيلي إليه تمامًا، وقرر منحه دورة تدريبية جديدة، لرفع مستواه، ووضعه على مرتبة أعلى من مراتب التجسس وجمع المعلومات..

وفي العام الثالث، أصبح (أحمد عـ) أفضل جاسوس في (مصر) في رأي جهاز المخابرات الإسرائيلي..

وفي العام نفسه ، اندلعت حرب أكتوبر 1973م ..

ومع مرارة الهزيمة والعار ، قرر الإسرائيليون القيام بخطوة قوية .

كان لديهم إرسال جديد فائق القوة ، يستطيع كشف موقعه ، دون معرفة تركيبه أو تبديته مسبقاً ، وكانوا يرغبون في تسليم هذا الجهاز لأحد عملائهم في (مصر) ، كوسيلة لجمع المزيد من المعلومات بسرعة أكبر ، ودقة أكثر ..

وكان من الطبيعي أن يختاروا أفضل عملائهم في (مصر) (أحمد) ..

ولأن الأمر ليس هيناً أو بسيطاً ، قرر رجال المخابرات الإسرائيلية استدعاء (أحمد) إلى (تل أبيب) لإعادة تدريبه ، والتأكد من ولائه .

وهنا شعر (أحمد) بخوف عظيم ..

إنه لن يواجه الإسرائيليين هذه المرة في أرض محايدة ، وإنما في أرضهم ولكن رجل المخابرات (ر - ج) أخذ يطمئنه ، ويشرح له الأمر ، ثم اصطحبه إلى قسم يعرف باسم (3 ع ا) ليدربه على الحياة الإسرائيلية ، وعلى التعامل مع الإسرائيليين وسلوكياتهم ..

وسافر (أحمد) إلى (تل أبيب) ..



وخضع للاختبار واجتازه بنجاح ، والدليل على هذا أنهم منحوه جهاز الإرسال المتطور ، وتركوه يغادر (تل أبيب) إلى دولة أوروبية وسيطة ، ليستقل الطائرة منها إلى (مصر) ..

وفي الليلة الثانية مباشرة ، تلقى الإسرائيليون أول رسالة من جهازهم المتطور ..

رسالة تشكرهم على حسن تعاونهم ، على الهدية التي أرسلوها إلى (مصر) مع توقيع جهاز المخابرات العامة المصرية ..

* * *

Eman
www.liilas.com/vb3

# الفشـــل

خيّم الظلام مبكرًا على (تل أبيب)، مع الغيوم الكثيفة، التي حجبت السماء، في تلك الليلة، من ليالي شتاء 1972م، فأضاء رئيس قسم التجسس، في مبنى المخابرات الإسرائيلية مصباحًا إضافيًا على مكتبه، وهو يراجع التقرير الطويل، الذي قدمه له ضابطه (هيدار)، المسئول عن التجسس في (مصر)، والذي جلس أمامه هادئًا وواثقًا، يتبادل حوارًا هامسًا مع زميله المعروف باسم (أبو يوسف)، وآخر مسئول عن التجسس في (لبنان) واستغرقهم الحوار بعض الوقت، حتى رفع رئيس القسم عينيه عن التقرير، وسأل (هيدار) بلهجة صارمة:

- معلومات جيدة يا (هيدار)، ولكن ما زلنا نفتقر كثيرًا إلى المعلومات الخاصة بالنشاط السوفيتي في (مصر)، وهي - كما تعلمون - معلومات شديدة الأهمية والخطورة، في هذه الأيام.

أومأ (هيدار) برأسه متفهمًا، وشملت وجهه ابتسامة واثقة، وهو يقول:

- إنني في انتظار هذه المعلومات يا سيدي، وسأحصل مساء اليوم على الأرجح.



رمقه رئيسه بنظرة صارمة، وهو يسأله:

- أأنت واثق من هذا؟!

أومأ (هيدار) برأسه مرة أخرى، وهو يجيب:

- تمام الثقة أيها الرئيس.. عميلنا في (مصر) أمامه تجنيد أحد ضباط الجيش هناك، ولذلك فالضابط أرسل لنا العديد من المعلومات الصحيحة من قبل، وقد طلبنا منه نشاء المعلومات على وجه السرعة، ووعدناه بمكافأة سخية.

وتسللت السخرية إلى ابتسامته ولهجته، وهو يستطرد:

- وأنت تعلم ما يفعله المال بالضمائر، وكيف يغير النفوس، ويجعل المرء مستعدًا لبيع أمه لمن يدفع له أكثر.

تطلع إليه رئيسه بنظرة صارمة أخرى، فأضاف في سرعة:

- اطمئن أيها الرئيس.. إنها عملية مضمونة، ولا يمكن أن تفشل أبدًا.

واتسعت ابتسامته، وهو يردف في حزم:

- مهما حدث.



www.liilas.com

قالها ، لأنه يشق تماما فى كفاءة عميله فى ( القاهرة ) ( شاكر قاطورى ) ، وفى سيطرته التامة على ضابط الموساد الذى تم تجنيده هناك ..

و( شاكر قاطورى ) هذا شاب عابث ، لم يستطع العيش فى ( مصر ) ، مع رغبته الجامحة ، واحتياجه الدائم للمال ، فسافر للعمل فى ( الكويت ) بعض الوقت ، إلا أن عمله هناك لم يحقق له الثراء الذى يتمناه ، بالسرعة التى يطمح إليها ، فترك ( الكويت ) إلى ( بيروت ) ، ثم لم يلبث أن هجرها إلى ( قبرص ) ..

وفى العاصمة ( نيقوسيا ) ، قرر ( شاكر ) محاولة البحث عن عمل مجزٍ ، إلا أن طبيعته العابثة ، والتقاره إلى الموهبة أو الخبرة اللازمة ، حال دون هذا ، مما وضعه فى موقف شديد الصعوبة ، وخاصة عندما تناقصت مدخراته إلى حد مخيف ، وأشرف على الإفلاس ، مما دفعه إلى التفكير على نحو محموم ، للبحث عن وسيلة لتدبير الموارد اللازمة ، مهما كانت ..

ولأن الأمر ينتهى بعبارة ( مهما كانت ) ، فقد تطرق ذهنه ويأس عن فكرة عجيبة مخيفة ، لا أحد يدرى كيف جالت بخاطره ، فى ذلك الحين ، ولكن المهم أنه لم يضع الوقت ، أو يحاول التراجع عنها ، وإنما وضعها على الأثر موضع التنفيذ ، واتجه بلا تردد إلى السفارة الإسرائيلية فى ( نيقوسيا ) ، وطلب مقابلة الملحق العسكرى شخصيا ..



ومن المؤكد أن الأمر كان غريبا ، بالنسبة لكل العاملين فى السفارة ، ففى ذلك الحين ، كانت الأمور بين ( مصر ) و( إسرائيل ) فى أسوأ أحوالها ، ولم يكن من الطبيعى أو المنطقى أن يتوجه ( مصرى ) ، أيا كان شأنه ، ليطلب مقابلة الملحق العسكرى الإسرائيلى مباشرة ..

ولكن الملحق العسكرى التقى به بالفعل ، وسأله عما يريد ، فأجاب ( شاكر ) بقوله :

ـ أريد التعاون معكم .

تراجع الملحق العسكرى فى بطء ، وهو يقول بحذر :

ـ التعاون معنا ؟!

لم يبد ( شاكر ) أى تردد لحظة أخرى ، لذا فقد قال فى سرعة وحماسة :

ـ بالتأكيد .. أريد أن أعمل لديكم كجاسوس .

اتسعت عينا الملحق العسكرى من أثر دهشته ، وبدا أنه أشبه بشخص أمام أحد شخصين ، إما شخص مجنون ، أو شديد الذهول ، ولكنه ، وطبقا لما يقتضيه الموقف ، أحاله إلى ضابط المخابرات المسئول فى السفارة ، والذى استمع إليه جيدا ، ثم

طلب منه أن يكتب كل ما يريد بخط يده ، وبعد أن فعل (شالر) هذا ، طلب منه ضابط المخابرات الانتظار في الفندق ، حتى يتم الاتصال به ..

ولم يدر (شالر) كيف قضى تلك الأيام الخمسة الثانية ، فقد راحت السكرة وجاءت الفكرة ، وانتبه إلى ما فعله ، وخرك بلسانه وصعوبته ، وخشي أن ينتهي الأمر بقتله أو سجنه ، أو ...

ولكن الدهاة ، وصله خطاب من السفارة الإسرائيلية ، يطلب منه الحضور إليها في الصباح الباكر ، لمقابلة خاصة جداً ..

وحتى تلك اللحظة ، كان يراوده (شالر) أن يتراجع ، وأن يعود إلى وطنه سالماً ، دون أن يلتمس أثراً وأثراً في عالم الخيانة والعار ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد قرر الغوص حتى أعماق البئر ..

بئر الخيانة ..

وفي السفارة الإسرائيلية ، استقبله ضابط المخابرات الإسرائيلي ( هيدار ) المسئول عن نشاط التجسس في (مصر) ، وتحدث معه قليلاً ، ثم أبلغه أنه قد قرر اختياره للتجسس في (القاهرة) ،



وأعطاه ثلاثمائة دولار ، وطلب منه أن يعود إلى (مصر) ، وهو يودعه ، قائلاً :

- سنلتقي بعد شهر من الآن ، لتقييم نتيجة عملك .

وسافر (شالر) إلى (القاهرة) ، وبناءً على أوامر ضابط المخابرات الإسرائيلي ، راح يعقد الصداقات مع بعض المثقفات ، وروّاد الملاهي ، ثم تعرف على أحد ضباط الجيش ، في ردهة فندق شهير ، فعمل على توطيد صلاته به ، وأغدق عليه الهدايا في سخاء ، دون أن يلتمس في أي أمر ، أو يطلب منه أية معلومات ، متفقاً بإبلاغ الإسرائيليين بأمره ، طبقاً لتعليماتهم .

وبعد مرور فترة الشهر ، عاد (شالر) إلى (نيقوسيا) ، عن طريق (بيروت) ، واتصل بضابط المخابرات الإسرائيلي في السفارة هناك ، وسلمه كل ما لديه من معلومات ، مع شرح التفاصيل التي وضعها عن الضابط المصري ..

وشجعه ضابط المخابرات الإسرائيلية لكونه حقيقيًا مصريًا ، وطلب منه الانتظار ، بالفندق ، حتى يتم الاتصال به ، كما حدث في المرة السابقة ..

ولكن في هذه المرة كان الأمر يختلف ، فقد استقر (شالر) في قاع البئر ، وراح يغترف من الخيانة ويبذل منها بلا حساب ،



www.anwas.com/vb3

حتى اتصل به الإسرائيلي ، بعد أربعة أيام ، وطلب منه الحضور إلى السفارة على الفور ، وهناك أبلغه رغبة مسئولي المخابرات الإسرائيلية بتعرفه عن قرب ، وسلمه جواز سفر إسرائيليًا يحمل صورته ، مع اسم ( موشي إبراهيم ) ، وتأشيرة دخول إلى ( فرنسا ) ، وأخرى للدخول ( إسرائيل ) ، مع تذكرة طيران على شركة ( العال ) من وإلى مدينة ( اللد ) ، ثم انطلق بجواز سفره المصري ..

وفي ( اللد ) ، وجد ( شاكر ) ضابط المخابرات الإسرائيلي ( هيدار ) في انتظاره ، حيث نقله مباشرة إلى ( تل أبيب ) ، ووضعه في منزل آمن ، حتى صباح اليوم التالي ، عندما تم نقله إلى مبنى المخابرات الإسرائيلية ، ليستقبله رئيسها ، مع ( هيدار ) ، و( أبو يوسف ) والضابط المسئول عن التجسس في ( لبنان ) .

وكان هذا يعني أن ( شاكر ) قد انتقل ، من مرحلة ( جاسوس تحت الاختبار ) ، إلى درجة ( جاسوس معترف ) ، وكان من الضروري والحال هكذا ، أن يبدأ في تلقي التدريبات الخاصة بكل الجواسيس والعملاء ..

وعلى يد ضابط يهودي ، من مواليد ( الإسكندرية ) ، تدرب ( شاكر ) على تصوير المستندات ، أو مشاهدتها بآلة تصوير دقيقة ، وتصوير المواقع بزوايا فعالة ، وعلى مسافات بعيدة ، وعندما انتهى من هذه التدريبات ، استقبله ( هيدار ) في مكتبه ، قائلاً :



- من الواضح أنك تحقق تقدمًا ملحوظًا يا ( شاكر ) ، وستتلقى بالتأكيد المزيد والمزيد من التدريبات ، ولكن ..

بدر ( هيدار ) عبارته ، عند هذا الحد ، فارتجف ( شاكر ) في مقعده ، وأطلق في عينيه نظرة قلقة خائفة ، فابتسم ( هيدار ) ، قائلاً :

- لابد لنا من اختبار قوة أعصابك أولاً .

هتف ( شاكر ) ، في مزيد من الخوف :

- قوة أعصابي ؟!

لم يكن بفهم ما تعنيه الكلمات ، ولكن ( هيدار ) هدأ أعصابه ، واصطحبه إلى قاعدة صغيرة ، في الطابق الأرضي من المبنى ، استقر في منتصفها مقعد كالذي بقاعة طب الأسنان ، وإلى جواره بعض الأدوات الطبية الحديثة .

وبجد ارتجفت كل خلية من خلاياه ، جلس ( شاكر ) على المقعد ، وراح الفنيون يوصلون الأسلاك بجسده ورأسه ، ثم طرحوا عليه عشرات الأسئلة ، التي لابد وأن يجيبها بأقصى سرعة ، ودون تفكير ..

واختار (شاكر فالورى) اختيار عشف الكلب بنجاح، وتأكد الإسرائيليون من أنه لا يحاول خداعهم، وانتقلوا إلى المرحلة الثانية من خطة تدريبه، وتحويله إلى جاسوس محترف..

وفى نهاية مرحلة التدريب، حصل (شاكر) على الأوامر الجديدة، وعلم أن مهمته فى (القاهرة) هى جمع معلومات وافية عن القوات الجوية المصرية، والنشاط المسوفيتى فى (مصر)، ورصد تأثير الغارات الإسرائيلية الأخيرة على الشعب المصرى، وأخيراً، وهو الأهم، العمل على تجنيد الضابط المصرى، المتصل بحساب المخابرات الإسرائيلية.. نظراً لضرورة بضاعته مالية شديدة..

وعاد (شاكر) إلى (القاهرة)، وهو يحمل حقيبة كاملة من الهدايا لصديقه الضابط المصرى، فلم يريد أن أغرقه بالدعوات والحفلات والهدايا، فى محاولة لاجتذابه، وخاصة مع ضيقة ذات اليد، التى يمر بها.

وعندما تأكد (شاكر) من توطد العلاقة بينه وبين الضابط، الذى سنطلق عليه هنا اسم (نصر)، دعاه لقضاء سهرة خاصة، فى أحد ملاهى شارع الهرم، وهناك مال على أذنه، قائلاً:

- ما رأيك فى وسيلة، تنهى أزماتك المالية إلى الأبد؟!



تطلع إليه (نصر) فى دهشة، وقال:

- أية وسيلة هذه؟!.. عمل إجرامى؟!

أومأ (شاكر) برأسه إيجاباً، وقال:

- يمكنك أن تعتبره كذلك..

بدت الحيرة على وجه (نصر)، وهو يقول:

- ولكن القانون يمنع الضابط من القيام بأى عمل إجرامى..

ابتسم (شاكر) فى ثقة، وهو يهمس: وما لنا والقانون؟!.. إنه عمل سرى.. سرى جداً..

بدا (نصر) فى قلق:

- وما هو؟!

وفى بطء وتأنى، ودون التطرق فى التفاصيل، أو التصريح المباشر، راح (شاكر) يشرح له المطلوب، بنفس الأسلوب الذى تدرب عليه، فى المخابرات الإسرائيلية..

وفى البداية، بدت الصدمة على (نصر)، وراح يحدق فيه بذهول، ثم لم يلبث أن لان قليلاً، وبدأ يطرح الأسئلة فى حذر شديد..



www.liilas.com

وعند هذه النقطة، ارتسمت ابتسامة كبيرة في أعماق (شاكر)، فقد كان طرح الأسئلة، والسؤال عن التفاصيل، يعني عدم الاعتراض على المبدأ، والاستعداد لمناقشة الأمر من منطلق متعادل، أقرب إلى الموافقة، منه إلى الرفض..

وعندما انتهت السهرة، كان (شاكر) قد حصل على موافقة مبدئية، مع مطلب منتهف، للحصول على دفعة مالية مقدمة..

وكان هذا يعني النجاح.. منتهى النجاح..

وعلى الرغم من هذا، فقد بدأت المخابرات الإسرائيلية تعاونها مع (نصر) بحذر شديد، فطلب منه (شاكر) في البداية بعض المعلومات العسكرية، التي يعرفها الإسرائيليون بالفعل، كوسيلة لتأكيد صدق نواياه، واستعداده الحقيقي للتعاون..

وغاب (نصر) لبومين كاملين، ثم عاد بالمعلومات المطلوبة، وهو يطلب مكافأته في لهجة شديدة، مشفوعة بتهديدات مبطنة العبارة، ولكن (شاكر) اعتذر عن تقديم أية أموال قبل أن يلتقي الأمر بهذا، من القيادة في (تل أبيب)..

وهناك، في مبنى المخابرات الإسرائيلية راح (هيدار) وفريقه يدرسون ما أرسله (نصر) من معلومات، قبل أن يبتسم ضابط المخابرات الإسرائيلية، ويرفع عينيه إلى زميله، قائلاً:

- أعتقد أنه يستحق المكافأة..



وفي اليوم التالي، حمل (نصر) على ساقي دولار أمريكي، مع قائمة جديدة من الطلبات، تتضمن معرفة بعض المعلومات عن وسائل التموين العسكرية، والنقل، وموجة اتصالات القوات الجوية المصرية..

واعترض (نصر) بأن المعلومات المطلوبة شديدة الصعوبة، وأن (شاكر) طلب منه بذل أقصى جهد ممكن للحصول عليها، ووعده بمكافأة تتجاوز الخمسمائة دولار، لو أنه نجح في هذا..

وفي هذه المرة، غاب (نصر) لخمسة أيام كاملة، ثم عاد ببعض المعلومات الخاصة بوسائل التموين والنقل، وأعلن أنه عجز تمامًا عن معرفة موجة اتصالات القوات الجوية..

وعندما تلقى الإسرائيليون هذا، ابتسم (هيدار)، قائلاً:

- عظيم.. عظيم.. لقد أنه الرجل موجة الاتصالات، لأدركت أنه يعمل لحساب المخابرات المصرية..

ثم هز رأسه في رضا وارتياح، مستطردًا:

- أعتقد أننا سنحصل على الكثير والكثير، من ذلك العميل المصري..

ومنذ ذلك الحين أصبح ضابط المخابرات الإسرائيلية، المسئول

عن التجسس في (مصر)، واثقًا من أنه يسيطر تمامًا على جاسوس شديد الأهمية، والخطورة، في قلب الجيش المصري..

لذا، فقد انتقل بعد عدة مطالب محدودة، إلى الهدف الرئيسي مباشرة.

وفي أوائل عام 1973م، وأثناء وجود (شاكر) في (ليوبولدفيل)، التقى به (هيدار)، وناقش معه بعض الأمور الخاصة بالضابط (نصر)، ثم قال له في النهاية:

- تريد معرفة كل المعلومات الممكنة، عن النشاط الصهيوني في (مصر).. ضع هذا على قمة الأولويات، في هذه الفترة.

سأله (شاكر) في اهتمام:

- هل تعتقد أن (نصر) يمكنه الحصول على مثل هذه المعلومات؟!

صمت (هيدار) لحظة، قبل أن يجيب في حزم صارم مطلق:

- أجل..

وفور عودته إلى (القاهرة) التقى (شاكر) بالضابط المصري، وأبلغه مطلب رؤسائه في (تل أبيب)، فثار (نصر)، وغضب، وأخبره أن هذه المعلومات بالغة الخطورة، ثم لم يلبث أن تحول من الثورة إلى الشهقة، وهو يسأل، ثم يدفع الإسرائيليون مقابل هذه المعلومات؟!



ولم يكد (شاكر) يذكر المبلغ الذي يقترب من مائة ألف، على سبيل لعاب (نصر) في وضوح، وأبلغه أنه سيبذل قصارى جهده للحصول على المعلومات.. فمال (شاكر) نحوه، قائلاً:

- ولكن مثل هذه المعلومات لا يمكن الحصول عليها دون وثائق مضمونة..

سأله (نصر) مبهوتًا:

- وكيف يمكن الحصول على شيء كهذا؟!

أجابه (شاكر) وهو يغمز بعينه، ويلوح بالفه بلا معنى:

- أحضر أنت الوثائق، واترك لي الباقي..

واتفقا على أن يتم هذا في شقة مفروشة، استأجرها (شاكر) في (الزمالك) (القاهرة)، بعد يومين فقط..

وفي الموعد المحدد، وصل (نصر)، وهو يحمل الوثائق، وبدأ (شاكر) في تصويرها..

وفجأة، اقتحم المكان عدد من الرجال، اندفع بعضهم نحوه، وأمسكوا به مكبلينا، في حين اتجه نحوه رجل ممشوق القوام، أصلع الرأس، وواجهه في حزم وصرامة قائلاً:

- أنا (م. ن)، من المخابرات المصرية، وزميلي هو وكيل

نيابة أمن الدولة .. إننا نلقي القبض عليك ، بتهمة التخابر لحساب دولة أجنبية ، في زمن الحرب ..

انهار ( شاكر ) تمامًا ، وراح يبكي ويتوسل ، إلا أنه لم يلبث أن تلقى صدمة هائلة ، عندما صافح رجل المخابرات ( نصر ) ، قائلاً :

ـ أشكرك على تعاونك معنا أيها الضابط .

وفي ذهول ، هتف ( شاكر ) :

ـ أنت ؟!.. أنت تعمل مع المخابرات المصرية يا ( نصر ) ؟!

شدَّ الضابط قامته ، وهو يجيب :

ـ وماذا كنت تتصور ؟!

سأله ( شاكر ) ذاهلاً :

ـ ومنذ متى تعمل ؟!

أجابه بسرعة :

ـ من قبل أن تفاتحني بالأمر ، فقد أربتني كثرة هداياك ، بمناسبة وبدون مناسبة ، فذهبت إليهم ، وطرحت عليهم كل شكوكي ، ثم بدأت أتعاون معهم للإيقاع بك .



هتف ( شاكر ) :

ـ ولكنك تعاني من أزمات مالية خانقة .

تعلَّد حاجبا ( نصر ) ، وهو يجيب في حزم وصرامة :

ـ أموال الدنيا كلها لا تساوي خيانة الوطن يا رجل .

وهنا ، وقبل أن تتم محاكمته ، ويصدر الحكم بإعدامه ، أدرك ( شاكر ) أن تعاونه مع المخابرات الإسرائيلية لم يدفعه إلى الثراء ، الذي يحلم به منذ البداية ..

لقد دفعه نحو أمر واحد ، لم يكن يتخلده قط ، عندما بدأ رحلة الخيانة ..

نحو الفشل ..

وربما نحو ..

* * *



www.liilas.com/vb3

# أخطر جاسوس

من المؤكد أن حرب أكتوبر 1973م ، كانت مفاجأة ، استيقظ عليها العالم كله ، وأدرك في لحظة واحدة ، أن العرب والمصريين قد يتحملون ويصبرون طويلاً ..

لكنهم أبداً لا ينسون .. ولا يستسلمون ..

وبالنسبة للمجتمع الإسرائيلي ، لم تكن الحرب مجرد مفاجأة .. لقد كانت صاعقة ، انقضت على رأس الشعب الإسرائيلي ، وقلبت ومعدة وأحشاء الجيش الإسرائيلي ، وقيادته السياسية كلها ..

والمثل الموازن الجميع ، والجيش المصري يتدفق كنهر من الحزم والإرادة والقوة ، عبر قناة ( السويس ) ، ويقهر خط ( بارليف ) ، ويمتص الألف الإسرائيلية في رمال ( سيناء ) ، ليرفع فوقها علم ( مصر ) عالياً ..

وتوالت الأحداث بسرعة مذهلة ، دارت معها العيون في محاجرها ، والرءوس في جماجمها ، وتفجرت معها أحداث الخريطة ، حتى قبل أن ينتصف الليل ..

وترقرف علم الهزيمة ضخماً واضحاً ، وربما لأول مرة ، فوق رءوس الإسرائيليين ..



وسع الهزيمة ، انهالت الاتهامات على القيادة السياسية والعسكرية .. وتوالت العقوبات على الجميع بلا رحمة أو هوادة ..

وكانت المخابرات الإسرائيلية هي صاحبة النصيب الأكبر بالطبع ، لعجزها عن كشف نية المصريين ، وفشلها في التنبؤ بالحرب ، التي أذلت ناصية الجيش الإسرائيلي ، كما لم تفعل أية مواجهة سابقة ..

ومع تغير القيادات ، في جهاز المخابرات الإسرائيلي ، كان من الطبيعي أن يكون أول ما تفعله القيادة الجديدة ، هو دراسة كل ما يتعلق بالهزيمة ، ومحاولة معرفة كل ما أدى إليها ..

وبعد دراسة مستفيضة ، ظهرت عشرات الأسباب ..

وعشرات النتائج الخطيرة ..

وعلى رأس تلك النتائج حقيقة رهيبة تافهة ..

لقد نجح المصريون في اختراق كل أجهزة الأمن الإسرائيلية ..

بلا استثناء ..

ولكن الأمر الذي أفقد يوزفهم بشدة ، هو أنهم يجهلون كيف ومتى حدث هذا الاختراق بالضبط ..

والأكثر خطورة أنهم مازالوا يجهلون هوية الأفراد ، الذين

جلدائهم المخابرات المصرية ، في كل موقع ، داخل أجهزة الأمن المختلفة ..

وبالذات داخل مركز المعلومات العسكرية الرئيسي ..

فسير الأحداث على هذا النحو ، كان يؤكد حتمية وجود جاسوس للمصريين ، في قلب مركز المعلومات العسكرية الرئيسي ، وفي أحد المواقع المهمة فيه أيضاً ..

وبأنه من المستحيل اتهام الجميع ، أو عزل كل القيادات ، ذات الخبرة الطويلة ، عن مواقعها ، راح جهاز المخابرات الإسرائيلي يجري تحقيقات استغرقت ستة أشهر كاملة ، دون الوصول إلى دليل واحد يمكن أن يكشف أمر ذلك الجاسوس الخطير ..

لذا ، فقد اجتمع رجال المخابرات الإسرائيليون ، وراحوا يراجعون ملفات كل المشتبه فيهم للمرة العاشرة ، قبل أن يقول مديرهم في صرامة مكوكرة :

ـ دعونا نعترف بأنه لو كان المصريين جاسوس بالداخل فعلاً ، فقد أتقنوا اللعبة إلى حد يحسدون عليه ! فالجميع في مركز المعلومات العسكرية الرئيسي لهم ملفات غاية في النظافة ، ولا يمكننا اتهام أحدهم فقط .

أجابه أحد رجاله :



ـ ومن المستحيل ألا يكون لهم جاسوس بالداخل أيضاً ، فالمعلومات التي كانوا يمتلكونها ، عند قيام الحرب ، لا يمكنهم الحصول عليها إلا من مصدر داخلي .

هز المدير رأسه ، وقال :

ـ المشكلة الحقيقية هي أن تلك المعلومات لن يمكن الحصول عليها من خلال سبعة أشخاص ، وكلهم يحوزون ثقة القيادة السياسية ، حتى إنه من المستحيل أن تطالب بإلقاء القبض على أحدهم ، أو حتى عزله ، دون دليل قوي لا يقبل الشك .

راحوا يتأملون المشكلة زهاء ساعة كاملة ، قبل أن يزأر أحدهم في توتر بالغ ، ويقول :

ـ لو أردتم رأيي ، فهذه المشكلة لا يمكن حلها إلا من الداخل .

التفت إليه الجميع بعيون متسائلة ، ويسأله المدير في اهتمام :

ـ ماذا تعني بالضبط ؟

اعتدل ، مجيباً :

ـ إننا نحتاج إلى مراقب من الداخل .. شخص يعمل لحسابنا ، يكون عيناً لنا على كل ما يحدث هناك ، ويمكنه متابعة المشتبه فيهم لحظة بلحظة ، دون أن نتدخل مباشرة ، حتى لا يتم تجميد نشاط الجاسوس ، قبل أن نكتشف أمره .



www.liilas.com

كانت الفكرة أنيقة ومنطقية ، حتى إنها لاقت قبولاً فوريًا من الجميع بعد مناقشة قصيرة .. ولكن النقطة الوحيدة ، التي كانت تحتاج إلى تفكير طويل ، هي من الشخص الذي يمكن منحه الثقة ، ليعمل كعين للمخابرات الإسرائيلية ، داخل مركز المعلومات العسكرية الرئيسي ، الذي يتبع رسميًا المخابرات الحربية ( أمان ) ، التي ترفض الاعتراف بوجود جاسوس للمصريين بين رجالها ؟!

هذه النقطة وحدها استغرقت يومين كاملين من المناقشات والمحاورات ، وعشرات المكالمات ، التي تم فحصها ومراجعتها ، وتجنيب معظمها ..

وأخيرًا استقر اختيارهم على شخص واحد ..

( جوش ماكاوسكي ) ، رئيس ظابط الأمن في مركز المعلومات العسكري الرئيسي .

كانت اختيارًا منطقيًا منذ البداية ، إذ إنه أكثر من يعرف العاملين هناك ، بحكم موقعه ومنصبه ، وأكثر الجميع قدرة على التجول في المكان بحرية ، وإلقاء الأسئلة على الكل ، دون أن يتصور أحد أنه عين للمخابرات الإسرائيلية ( الموساد ) ..

وبعد أن وقع الاختيار عليه ، كان لابد من مقابلته ، وعرض الأمر عليه ، وفحص مواقفه وحماسه للقيام بالدور ، الذي سيكلف



به جاسوسًا لأخطر جواسيس المصريين ، في قلب أخطر جهاز أمني إسرائيلي ..

وذات ليلة ، وعندما غادر ( جوش ) سيارته الصغيرة أمام منزله البسيط في تل أبيب ، اعترض طريقه رجل ممتلئ الجسد ، بنيته على نحو واضح ، وكأنما قطع نصف العالم عدوًا منذ قليل! وقال وهو يدرك أمامه بطاقة يحاطها جيدًا :

ـ ( جوش ماكاوسكي ) .. أنا العقيد ( ليفي ) .. كنت أريد أن أتحدث إليك قليلاً .

تطلع ( جوش ) إلى البطاقة في توتر بالغ ، قبل أن يسأله في عصبية :

ـ هل تتهمني بشيء ما يا أدون ( ليفي ) ؟!

هز الرجل رأسه نفيًا ، وهو يحدجه ، وهو يواصل لهجته غير المبالية أو المكترثة ، قائلاً :

ـ على العكس يا ( ماكاوسكي ) .. إننا نريدك أن تتعاون معنا .

ارتفع حاجبا ( جوش ) في دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ أتعاون معكم ؟!.. ماذا تعني ؟!

اعتدل الرجل ، وربت على كتفه مرتين ، ولهث ثلاث مرات ، قبل أن يجيب بابتسامة عريضة ، تتناسب تمامًا مع حجمه :



www.liilas.com/vb3

ـ ماذا أعني ؟.. إنه أمر يحتاج إلى نقاش طويل، ولو أردت رأيي، فالأفضل ألا نتحدث عن هذا في منزلك .. ما رأيك لو دعوته لتناول مشروب بارد في أقرب مقهى ؟

كانت دهشة (جوش) عارمة بحق، وقد امتزجت بالكثير من الشك والحذر والقلق، إلا أنه أطاع العقيد (ليفي)، واستقل معه سيارته الأمريكية الفارهة، إلى أقرب مقهى، حيث اتخذ مقعدين منعزلين، حول مائدة صغيرة، ومال (ليفي) نحوه قائلاً في خفوت لافت :

ـ من الناحية الرسمية، أنت تعمل في قطاع عسكري، والمفترض أن تتولى (أمان) كل ما يتعلق به، ولكننا نجري تحريات شاملة، حول أسباب ما حدث في أكتوبر الماضي، وهذه التحريات قادتنا إلى حيث تعمل، و..

راح يشرح له الأمر كله، و(جوش) يستمع إليه في انتباه بالغ، وبدهشة بلغت ذروتها، دون أن يبارحه حذره، وقلقه لحظة واحدة، وإن بدأ أحساسه رويداً رويداً، وهو يشعر أن الرجل صادق تماماً فيما يقوله، وأن ما يقوله ليس مجرد مناورة لبلوغ هدف خفي آخر ..

وبعد ساعة كاملة من الحوار والتساؤلات والشرح والإجابات، مال (جوش) نحو العقيد (ليفي)، وقال :



ـ ما تطلبونه مني قد يكلفني وظيفتي ومستقبلي، لو انكشف الأمر .

ابتسم (ليفي)، وقال :

ـ ومن ذا الذي سيكتشفه ؟.. إنك ستتصل بنا سراً يا رجل، ونحن لسنا مجرد وزارة حكومية تافهة .

ثم عاد يحني نحوه بدوره، مشيفاً في حزم :

ـ لي إنك لن تخسر وظيفة أو مستقبلاً، فلو تعاونت معنا بصدق، سيكون لك مكان بيننا حتماً .

تراجع (جوش) في بطء، وعيناه مركزتان على وجه (ليفي)، ولاذ بالصمت دقيقة كاملة، قبل أن يضيف هذا الأخير في حزم صارم :

ـ المهم ألا يعلم مخلوق واحد بما دار بيننا هنا أبداً .. أي مخلوق ..

وكان طبيعة (جوش) وشخصيته، وطبيعة التدريبات التي تلقاها، كانت تحتم عليه التأني والتروي، قبل اتخاذ أي قرار، فقد طلب من (ليفي) مهلة للتفكير .. ومنحه إياها رجل المخابرات الإسرائيلي، لمدة يومين فحسب، ثم كرر تحذيره بحتمية ألا يعلم مخلوق واحد، أياً من كان، بطبيعة الحوار، الذي دار بينهما ..

ولذن (جوش) لم يعمل بنصيحته تماماً ..

قال يدرك جيداً أنه سيخضع لمراقبة دائمة ودقيقة ، من جهاز المخابرات الإسرائيلي ، حتى يتم حسم الأمر .. لذا فقد واصل حياته العادية ، وواظب على عمله بنفس الأسلوب ، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح خفية ، وبوسيلة غاية في البراعة ، في الاتصال ببعض أصدقائه ، وطرح عليهم عرض المخابرات الإسرائيلية ، ثم طلب مشورتهم ..

ولا ريب في أن أولئك الأصدقاء كانوا يمقتونه عدواً وكرويا ، فلم يحاولوا الأمر فيما بينهم جيداً ، ثم أبلغوه ، بنفس الوسيلة الخفية البارعة ، أن عليه قبول العرض بشيء من التحفظ !

وهكذا التقى (جوش) و(ليلى) مرة أخرى ، طبقاً للموعد المحدد مسبقاً ، وأعلن أول مواطنته ، مما أثلج صدر الثاني ، وشجعه على بدء الدخول في التفاصيل ..

ولأول مرة في حياته زار (جوش ماكوسلي) مبنى (الموساد) في (تل أبيب) ، والتقى بعدد من الرجال هناك ، راحوا يشرحون له ما عليه أن يفعله ، وكيف يراقب الجميع ، ويرصد تحركاتهم أولاً فأولاً ، حتى يكتشف من منهم يعمل لحساب المصريين من قبل حرب عيد الغفران ..



وقد أدى (جوش) عمله بمهارة ودقة واقتدار ، أثارت إعجاب الموزع وإحترامهم ، فقد راح يرصد تحركات المشتبه فيهم السبعة ، في كل يوم وساعة ودقيقة ..

بل في كل لحظة ، منذ يبدون أصابعهم ، وحتى يفارقوا السرير ..

ومساء كل ليلة سبت ، كان رجال المخابرات الإسرائيليون يتلقون منه تقريراً مفصلاً يحوي أكثر مما يحلمون به بكثير ..

ولكن حتى هذا لم يسفر عن شيء ما ..

فمع نهاية الشهر كاملة ، وأثناء تلقيه الدوري بالمعقد (ليلى) ، زار (جوش) في توتر بالغ ، وبوح بذراعه لها ، قائلاً :

ـ لا شيء .. لا يمكنني حتى مجرد الاشتباه في أحدهم .

تعقد حاجبا (ليلى) الكثيفان ، ولهث بشدة ، وهو يقول في انفعال :

ـ مستحيل !.. هناك جاسوس بينهم حتماً .

هز (جوش) رأسه في قوة ، وهو يجيب :

ـ وعلى أنا لست أعتقد ذلك لثانية مستحيل هذه ، فأنا أعرفهم جميعاً منذ البداية ، وأراقبهم بمنتهى الدقة ، طوال ثلاثة أشهر ، ويمكنني أن أجزم أنهم في نصاعة ثوب الشتاء .

ازداد الحقد حاميا (ليفي) ، وهو يسأله في خشونة :

ـ هل سلمت العمل ؟!

هز (جوش) رأسه نفيا مرة أخرى ، وأجاب :

ـ كلا بالتأكيد .

ثم مال للخلف يمسح مباغت متابعا :

ـ ولكنني أرغب في تطويره .

بهت (ليفي) لقوله ، فازدرد لعابه ، وتضاعف انهماكه ، وهو يسأله :

ـ كيف ؟!

أجاب بنفس الحماس :

ـ سأنقل المرفأ إلى الصف الثاني ، طاقم السكرتارية والمخازن إنهم أقرب الرجال إلى المديرين ، وربما يحصل أحدهم على المعلومات بوسائل غير مباشرة ، عن طريق الكمبيوتر ، الذين يجهلون كل شيء .

كانت الفكرة واضحة ومنطقية للغاية ، حتى إنها راقت كثيرا للعقيد (ليفي) ولكن زملائه ورؤساءه في جهاز المخابرات الإسرائيلي ، أصدروا الأوامر إلى (جوش) بتنفيذها على الفور ..



وهكذا تطورت المراقبة ، وانتقلت إلى رجال الصف الثاني ، في مرفأ العمليات المصرفية الرئيسي ..

وعلى الرغم من أن هذا كان يحتاج إلى ثلاثة أضعاف الجهد ، فقد واظب (جوش) على إرسال تقاريره إلى المخابرات ، مساء كل ليلة سبت ، بنفس الإبداع والدقة ، وعلى نحو جعلهم يواصلون بالفعل التعمل في (الموساد) ، بعد انتهاء العملية ..

وسارت الأمور على هذا النمط لأربعة أشهر أخرى ، و ...

وفجأة ، استيقظ العقيد (ليفي) على رنين هاتف منزله المنعزل ، في الثالثة والنصف صباحا ، فقفز من فراشه والتقط سماعته ، هاتفا :

ـ من المتحدث ؟!

تناه صوت (جوش) ، وهو يقول في توتر يشوبه :

ـ أدون (ليفي) .. لقد .. لقد توصلت إليه .

خفق قلب (ليفي) في عنف ، وهتف به :

ـ الجاسوس المصري ؟!.. أتقصد الجاسوس المصري ؟!.. هل توصلت إليه ؟!

ـ نعم .. لقد كشفت أمره .. اليوم حاول أن يحصل على وثائق

جديدة ، ولكنني اكتشفت أمره .. أسرع يا أدون (ليفي) .. لقد آن أوان الرحيل ..

لقد أدرك بغتة أنني اكتشفت أمره ..

هتف (ليفي) ، وقد جف حلقه ، وبلغ انهياره منتهاه :

- من هو يا (جوش) ؟!.. من ؟!

- (برايان) .. مساعد الجنرال (جولهين) .. لقد كشفته أثناء توبيخي الليل ، ولكنه اختفى .. لماذا ؟ لقد أدرك أن أمره قد انكشف .. أسرع يا أدون (ليفي) .. أسرع ..

ولم يضع العنيد (ليفي) لحظة واحدة ..

لقد اتصل بكل أجهزة الأمن التي يعرفها ، وهرع كالصاروخ إلى مركز المعلومات العسكرية الرئيسي ، وقام بكل الإجراءات الممكنة حتى لا يصطدم بجيش المخابرات الغربية (أمان) و ر ... و ...

وكان (برايان) قد اختفى تماماً ..

لقد نجح بوسيلة ما ، في مغادرة (إسرائيل) عنها ، قبل أن تطبق الحلقة حول عنقه ..

ويقدر ما شعر الإسرائيليون بالارتياح ، لأنهم كشفوا أمر الجاسوس المصري ، إلا أن الغضب ملأ نفوسهم لتوجسهم في الفرار من قبضتهم ..



ومن (القاهرة) يلقنهم أنباء عن وصول (برايان) ، وعن هروبه إلى جهة غير معلومة ، في (أمريكا اللاتينية) ، بعد أن حصل من المخابرات المصرية على مكافأة كبيرة ، تظير عمل ما نظنه إليهم ، من أسرار مراكز المعلومات العسكرية الرئيسي ..

وبعد سلسلة طويلة من التحقيقات ، وإعادة فحص ملف (برايان) عدة مرات ، تقرر إغلاق ملف الجاسوس المصري تماماً ..

وحصل (جوش) على مكافأة كبيرة بالطبع ..

ولكنه لم يتفق للعمل في (الموساد) ..

لقد فضل البقاء في موقعه ، كرئيس لقسم أمن مراكز المعلومات الرئيسي ، خاصة أن أحداً لم يقم بالدور الذي قام به فيه ، لحساب (الموساد) ..

وفي أول إجازة له ، وافاه حصوله على مكافأة سخية فسافر (جوش) لقضاء فترة سياحية في (أوروبا) ..

وإلى (باريس) بالتحديد ..

وهناك ، وما أن استقر به المقام ، في فندق (ريتز) ، الذي يطل على برج (إيفل) مباشرة ، حتى تلقى اتصالاً هاتفياً من أحد أصدقائه ، وتبادل معه عبارة متفق عليها ، قبل أن ينهض لاستقباله في غرفته ..

وبحرارة بالغة ، التقى الاثنان وابتسم الصديق ابتسامة كبيرة وهو يقول ..

ـ أعتقد أن النجدة قد انتهت بنجاح يا (جوش) .

ابتسم (جوش) ، وهز كتفه ، قائلاً :

ـ أنتم أجدتم القيام بهذا الأمر حتى هذا يا سيدي (رفعت) صحيح أنها كانت مصادفة مدهشة ، أن يقع اختيار (المومسة) على بالذات ، ولكنكم استغللتم استغلال هذا بأسلوب عبقري ، يحل ، فتجنبتم (برليان) بعدها ، ثم إقناعه بالتخلف لمراقبة ، وتحديد قراره من (إسرائيل) على وجه السرعة ، فأتيح لجميع أفراد الجاسوس الذي نقل إليكم كل المعلومات ، قبل حرب أكتوبر .

ربت رجل المخابرات المصري (رفعت) على كتفه ، قائلاً بتلميح الابتسامة الكبيرة :

ـ لم يكن من الممكن أن نخسر فرصة كهذه ، ولا أن نجازف بفقدان رجل مثلك .. لقد منحتنا العديد من المعلومات التي ساعدت على الانتصار ، وعلى اقتحام خط (بارليف) ، وكان من الطبيعي أن نحميك ، وأن نمنحك غطاء ، يقيك لمواصلة عملك ، في نفس الموقع ، لفترة طويلة قادمة .



ضحك (جوش) ، وقال :

ـ من يصدق أنهم تلاعبوا البحث على طوال الوقت .

ابتسم (رفعت) ، وقال :

ـ هذا انتصار آخر يا رجل ، فهو يثبت أن ملفك بدا لهم تماسع البياض ، على نحو لا يمكن أن يتطرق إليه الشك .

ثم ربت (جوش) ، وكأنه كان يدرك أن رجل المخابرات المصري على حق ..

لقد صنعت منه المخابرات المصرية جاسوسا محترفا ..

بل أخطر الجواسيس ..



www.liilas.com/vb3

# المهاجـــر

لم تكن شمس السادس من أكتوبر ، عام 1973م قد أشرقت بعد على (مصر) ، ولم يكن شعبها قد استيقظ من نومه ، أو بدأ حركته اليومية ، باستثناء فئات محدودة للغاية ، مثل موظفي المصعد وبائعة الألبان ، وبعض سائقي سيارات الأجرة ، عندما اخترقت أنوار قاعة الاجتماعات الرئيسية ، في مبنى الأمن القومي ، داخل جهاز المخابرات العامة ، ليتدفق إليها عدد من الرجال ، لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وعلى رأسهم مدير الجهاز شخصيًا ، الذي اتخذ مجلسه على رأس مائدة الاجتماعات ، وانتظر حتى احتل الجميع مقاعدهم ، قبل أن يقول في حزم :

ـ أظن سيادتكم تعلمون لماذا دعوتكم .

أما الرجال الثلاثة ، الذين جلسوا في صمت ، ينظرون إلى الرجل نظرات عميقة ، التي انتزعتهم من فراشهم ، بعد ساعات ثلاث من منتصف الليل ، وأحضرتهم بالقصر سرعة إلى ذلك المكان ، فاعتدل المدير ، قائلاً :

ـ كل القادة الآن في غرفة العمليات الرئيسية ، يراجعون كل التفاصيل ، ويتابعون بهم سيادة الرئيس شخصيًا ، بعد ساعتين على الأكثر ، وسيادة اللواء (حسني مبارك) ، قائد القوات الجوية ، يساعد التوجيه المصرية الجوية الأولى ، وكلهم ينتظرون آخر ما لديهم من معلومات ، وعلينا أن نراجع كل ما وصلنا ، من كل عملائنا ، في قارات العالم الست ، في أسرع وقت ممكن ..

ثم يتساءل الرجال الأمر ، وإنما الهدوء في مواجهة مسئول المعلومات ، الذي يبدو هادئًا تمامًا ، من كل مكان في العالم ، وأولى أعدهم نقل آخر النتائج للقيادة السياسية أولاً فأولاً ، في نفس الوقت الذي بدأت فيه سلسلة من التحركات ، في كل الاتجاهات والجبهات ، استعدادًا للضربة القاضية ، التي تثأر فيها (مصر) لكرامتها ، وتدافع فيها عن سيادتها ، وتسترد بها أرضها المحتلة كاملة ..

فرئيس (أنور السادات) انتقل إلى غرفة العمليات الرئيسية ، لاستلام مراجع المعلومات والتقارير بنفسه وقتئذ ، ويدرسون كل النتائج المحتملة سياسيًا وعسكريًا ، قبل الضربة الأولى ..

كذلك القوات الجوية (حسني مبارك) ، يستعد لإطلاق أسراب نسوره ، لدك خط (بارليف) ، وتوجيه الصفعة الأولى للعدو ..

قادة الكتائب والوحدات وأفراد الجيش يستعدون ، على طول الجانب الغربي للقناة ، للحظة الصفر .

رجال الضفادع البشرية المكلفوا بتفجير أهم أبوارهم ، وإغراق أغلب الذبابم ، تحت مياه قناة ( السويس ) ..

ورجال الصاعقة والكوماندوز يهبطون بمظلاتهم خلف خطوط العدو ، لقطع طرق مواصلاته ، ومنع إمداداته ووصول تموينه ..

ثم اندلعت الحرب ..

لعبور ( مصر ) عبروا قناة ( السويس ) في آن واحد ، وبصوت أشبه بهزيم الرعد ، زلزل قلوب الأعداء ، وتفجر في أعماقهم ، حتى قبل أن تتفجر قنابلنا في قلوب خط بارليف غير المأسوف على ( عار حد قولهم ) ، وتلك حصونه دكاً ..

ثم انطلق الأبطال يعبرون القناة ، ويهاجمون القابعين في خط ( بارليف ) ، ويطهرون أمام عيونهم ، وأول مرة ، حقيقة المقاتل المصري الجسور ، ويذيقونهم ما يمكن أن نطلق مواجهة حقيقية مع أسود ( مصر ) وأبطالها ..

وارتفع العلم المصري على الضفة الشرقية لقناة ( السويس ) ..

وسقط خط ( بارليف ) .. وسقطت معه أسطورة جيش الدفاع الإسرائيلي ، الذي لا يقهر ...

واحدة أيام ملحمة ، لم يأل الرجال طعم النوم ، في قلب المخابرات



العامة المصرية ، وهم يدابون على كل ما يصلهم من تقارير ، من مخابرات الصلاء ، وخاصة من أولئك الذين انخرطوا بسفوف العدو ، واندسوا في أكثر مواقعه أهمية وخطورة وحساسية ، وراحوا يدلون ، ويمتهيس الخطة ، رغم الفعل السياسية والعسكرية والشعبية ، لتلك الهزيمة الساحقة ، التي غرست أنوف الإسرائيليين في تراب ( سيناء ) ، وسحقتها تحت أقدام المصريين ..

وعندما هدأت الأمور ، واستقرت إلى حد ما ، وبدأنا نسأل رجال مابحون النتائج الأخيرة ، ويحاولون تقييم الموقف ، وتفهم أبعاد أبعاده ، بعد أن تأكدوا من نجاح خطتهم الخداعية ، في مفاجأة العدو بالضربة الشاملة ، انتقل أحدهم في مقعده ، وقال في اهتمام :

ـ أعتقد أن الوقت قد حان ، لحسم بعض الأمور الداخلية أيضاً .

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ آه .. إنك تقصد عملية ( المهاجر ) بالتأكيد ..

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. لقد كنا نبقي على ذلك الجاسوس ، حتى يمكننا استخدامه لنقل ما نرغب من معلومات زائفة للعدو ، كجزء من خطة الخداع ، وما دامت الحرب قد انتهت بالفعل ، فلم تعد هناك حاجة لوجوده ..

فلت عبارته شرارة لبدء مناقشة جديدة ، حول موقف الكنيست ، وما إذا كان من الممكن الإبقاء عليه ، واستمرار استخدامه لخداع العدو ، لفترة أخرى قادمة ، أم إن وجود ، لم يعد له ما يبرره ، بعد أن انهزم الإسرائيليون بالفعل !!..

وفي نهاية المناقشة ، استقر الأمر على الرأي الثاني ، فأصدر المدير في مجلسه ، وحتب ملف عملية ( المهاجر ) ، ووضع أوراقها داخل خزانة مكتبه صريحة ..

ثم إنهاء الجلسة فورًا ..

وكان هذا إيذانًا بالإيقاع بمجلسوس جديد من جواسيس المخابرات الإسرائيلية في ( مصر ) ..

وإيذانًا بإنهاء العملية ..

عملية ( المهاجر ) ..

( نبيل النحاس ) ، لبناني من مواليد ( السويس ) ، عام 1936م ، هاجر والده إلى ( مصر ) ، مع إحدى الهجرات اللبنانية ، ورافقته الحياة فيها ، فاستقر مع زوجته ، وأنجب ( نبيل ) ، وثلاثة أبناء آخرين ، فاتحت عيونهم على سماء ( مصر ) ، وانشأت أرواحهم هواءها ، ونشأوا بين أهلها ، وترعرعوا في ظل أمنها ..



وكان ( نبيل ) أنبههم عقلًا في البداية ، فقد أتم دراسته الثانوية ، ثم التحق بكلية التجارة ، جامعة ( القاهرة ) ، وتم بأمد يسير على شهادته منها ، حتى تم تعيينه في منظمة الشعوب الأفروآسيوية ، ثم تم بأبيت أن حصل على عمل بالقطعة ، في وكالة ( أسوشيتد برس ) للأنباء ، جعل بفضله يظفر إلى مكانة وعشرين جنيهًا شهريًا ، وهذا دخل كبير للغاية ، في تلك الفترة في أواخر الخمسينيات ..

وكان من الممكن أن يحيا ( نبيل ) حياة الملوك ، بمبلغ كهذا ، لرجل عازب واحد ، لقد كان من الشبان اللاهين ، الذين يقضون أعمارهم ما بين الملذات والسهرات الحمراء ، وحياة العبث والصخب ..

وعيبه الوحيد ، أنه يحب أن يبذر ، مهما بلغت مدخلاته ، خاصة وأن ( نبيل ) كان يعشق فتاة تعمل أرملة ، خاتمة ( بيروت ) و( باريس ) و( القاهرة ) ، وكانت جنسيته اللبنانية تعلمه خلق السفر في أي وقت ، على الرغم من صعوبة ذلك ، في فترة ما بعد الثورة ..

ومع أسفاره وتنقلاته المستمرة ، وميوله للعبث واللهو ، كان من الطبيعي أن يلفت ( نبيل ) أنظار رجال المخابرات الإسرائيلية ، الذين وجدوا فيه خامة مثالية للعمل معهم ، حتى إن ضابطهم ( إيهاب ) قد طرح الفكرة للمناقشة ، قائلًا :



www.liilas.com/vb3

- إنه شاب لا ، لا يقيم وزنًا سوى للمال فحسب ، وهذا الطراز يمقته خليفة والده نفسه ، لو حصل على المؤهل العلمي المناسب .

هزّ رأسه رأسه ، قائلاً :

- ولكنه عربي ، ويقيم في (مصر) منذ مولده ، وسيشعر بوهلة الانتماء تجاهها .

ثم لوّح بسبابته في وجهه ، مستطردًا في صرامة :

- وتذكر أن كل معلوماتنا التجنيد اللبنانيين ، المقيمين في (مصر) قد باءت بالفشل الذريع .

هزّ (إلياهو) رأسه نافيًا ، قبل أن يقول في إصرار :

- هذا الشاب يختلف .. إنه لا يشعر بالانتماء تجاه (لبنان) نفسها .. صدقني .. إنه شاب مثقف تمامًا .

لم يكن إلياهو رئيسه بالمهنة فحسب ، ولكنه كان صديقه الوحيد من كل الوجوه ، لهذا خضع (نبيل) لجدول مزاجية ثقيل ، دون أن يشعر ، حتى ذلك اليوم البعيد من عام ثمانية ، ومن أنه مناسب تمامًا لعملية التجنيد هذه ..

لذا فقد تم إسناد العملية للضابط (إلياهو) ، وتقرر أن تتم المقابلة في أحد الأماكن قريبًا لطالب (نبيل) ..

في (باريس) ..



وبعد سنة أيام بالتحديد ، وبينما كان (نبيل) يقضي إحدى سهراته الحمراء ، في أحد ملاهي الليل في (باريس) ، اقترب منه (إلياهو) ، وتحدث إليه بالعربية ، التي يجيدها إجادة تامة ، نظرًا لمولده في (دمشق) ، قائلاً :

- أنت عربي .. أليس كذلك ؟!

تطلع إليه (نبيل) مبتهجًا ، وهو يقول :

- يا إلهي .. أنا لا أصدق ، أقيم في (مصر) ، وأنت تبدو سوريًا .. أنا على حق ؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي (إلياهو) ، وهو يجيب :

- يمكنك أن تقول إنني أحد جيران (سوريا) ، وعلى أية حال ، تستطيع أن تدعوني (أبا مازن) .

لم يكن (نبيل) يعرف في الحقيقة أحدًا جديدة ، إلا أن (إلياهو) نجح في جذبه إليه ، عندما أصر على دفع تكلفة السهرة بالكامل ، ثم دعاه بعدها للغداء سهرة أخرى على حسابه ، في الليلة التالية ..

ولم يعارض (نبيل) الفكرة ، أو حتى يناقشها ، فقد رأى له أن يقضي سهرات باريسية أخرى ، دون أن يدفع فيها فرنكًا واحدًا ..



Ethan www.liilas.com/vb

والتقى مع (إلياهو) مرة ثانية .. وثالثة .. ورابعة ..

وفي المرة الخامسة ، بدأ (إلياهو) يتحدث معه عن (مصر) وأحوالها ، وتطورات الأمور فيها ، بعد العدوان الثلاثي ، والتغيرات الاجتماعية والسياسية ، وتولي الرئيس (جمال عبد الناصر) ورد فعل الشارع المصري .

وكان (نبيل) من الأذكياء ، بحيث لم يفته هذا التطور ، حتى بعد أن تناول عدة كئوس من الخمر ، فمال نحو (إلياهو) ، قائلاً في خبث :

- عجبًا !.. فيم اهتمامك المباغت هذا بأحوال (مصر) يا (أبو مازن) ؟!

تطلع إليه (إلياهو) مباشرة ، وهو يسأله :

- ما رأيك أنت ؟!

تراجع (نبيل) في مقعده ، وتوجّس بأسه ، قائلاً :

- ولكني إنك لست سوريًا كما تدعي .. بل ولست حتى عربيًا ، على الرغم من لغتك هذه .

أدهش ذلك الذكاء (إلياهو) ، فمال هو الآخر نحو هذه المرأة ، وسألها ، وهو يطلع إلى عينيه مباشرة :



- ما جنسيتي إذن ؟!

صمت (نبيل) بضع لحظات ، ارتشف خلالها رشفة خمر ، قبل أن يقول في حزم :

- إسرائيلي .

تضاعفت دهشة (إلياهو) ، وهو يحدق في وجهه ، إلا أنه لم يلبث أن تمالك جأشه في سرعة ، وتراجع بدوره ، قائلاً :

- هذا مضحك .

لم يستغرق الأمر منهما طويلاً ، بعد هذه المصارحة المباشرة ، ليدرك (نبيل) الدور المطلوب منه بالضبط ، ويستوعبه ، ويوافق عليه بلا تردد ..

وعندما عاد (نبيل) إلى (القاهرة) في أوائل عام 1968م ، كان يحمل صفة جديدة ، إلى جوار صفته الملهوجر الثانية ..

صفة جاسوس للمخابرات الإسرائيلية ..

ونشط (نبيل) على نحو غير عادي ، في هذا الحقل الخطير ، وراح يسعى بكل جهده لجمع المعلومات عن أمن وجيش وسياسة وشعب (مصر) التي كرهت وقاحته ، ومقته حتى الغثيان على أرضها ، كما لو كان أحد أبنائها ..

وتغيرت طبيعته تماماً ، خلال السنوات التالية ، إذ راح يسعى لعقد الصداقات ، مع العديد من الفتيات ، وخاصة ضباط الجيش ، والشرطة ، والمهندسين ، والعاملين على خطوط المواجهة ..

أسرته نفسها شعرت بالدهشة ، لهذا التطور المفاجئ في شخصيته ، وكان والده ووالدته شعرا بالسعادة ، لأن ابنهما بدأ يتودد صلاته بالمصريين ، ويتفرس أكثر وأكثر في تراب ( مصر ) التي عشقاها ، وذابا في حبها ، واعتبراها وطنهما الثاني بعد ( لبنان ) ، ومنحاها كل ولائهما ووفائهما وثقتهما ..

حتى تشكك قالوا مصريين أكثر مما هم لبنانيون ..

ربما لأنهم زاروا جميعاً على أرض ( مصر ) ، وشربوا ماء نيلها العظيم ..

هو وحده الباقي في مستنقع الخيانة ، كما لو أنه بيت شيطانية ، تنكر خير الأرض التي أنبتتها ..

وراح عميل ( نبيل ) للإسرائيليين ، ينقلون كل ما يرسله من معلومات في شغف واهتمام ، واستدعوه أكثر من مرة إلى ( باريس ) ، ليتلقى المزيد والمزيد من التدريبات ، ويترقى من جاسوس عادي إلى جاسوس ممتاز ، من طراز خاص ..

خاص جداً ..



ولكن ، في عالم المخابرات لا تسير الأمور قط في اتجاه واحد ..

فكما جذب عيث ( نبيل ) انتباه رجال المخابرات الإسرائيلية في البداية ، أثارت أسفاره المتعددة ومعدلات إنفاقه المتزايدة اهتمام المخابرات المصرية أيضاً ..

وكان من الطبيعي أن يبدءوا في مراقبته ، وجمع كل المعلومات الخاصة به ..

وفي النهاية ، اجتمع الرجال حول مائدة الاجتماعات لمناقشة الأمر ، وفتح ملف الجاسوس ، وقال أحدهم :

ـ المعلومات المؤكدة تفيد أن ( نبيل النحاس ) جاسوس للمخابرات الإسرائيلية ، وهو يتعامل مباشرة مع ( إيهاب بن عازر ) ضابط الموساد رقم ( ر ـ 4018 ) ، ومن الواضح أنه قد تلقى تدريباته حتى المستوى الرابع ، وهذا يعني أنه يمثل لهم أهمية كبيرة ، وأنه يستطيع الحصول على معلومات مهمة بالفعل ..

سأله المدير :

ـ وماذا عن أسرته؟!

أجابه الرجل في حسم :

ـ كلهم فوق مستوى الشبهات ، مثل كل اللبنانيين والسوريين ، الذين يقيمون في ( مصر ) ..

هزّ العدو رأسه متفهما ، ثم قال :

- إن الثمن أمام عملية فرعية ، ولابد وأن نتعامل معها بمنتهى الحكمة والذكاء ، فما دام العدو يثق في جاسوسه هذا ، فلابد وأن نحسن استغلال هذه الثقة إلى أقصى حد ..

وطوال أربع ساعات كاملة ، تمت دراسة الأمر من كل الوجوه ، ووضعت خطة التعامل الرئيسية مع ( نبيل النحاس ) ، جاسوس المخابرات الإسرائيلية ، الذي عمل في ملفات المخابرات العامة المصرية لسنوات طويلة ..

اسم ( المهاجر ) ..

وطوال المكالمات التالية ، تلقى ( نبيل ) سيلاً من المعلومات ، عبر سلسلة جديدة من الصداقات ، التي تصور أنه قد عثر عليها بذكائه ، مع ضابط كبير من القوات الجوية ..

وآخر يحتل موقعاً حساساً في قيادة الجيش ، ومهندس من الشرقية على بناء حائط الصواريخ ، وغيرهم ..

وابتسم الإسرائيليون في ثقة وارتياح ، مع النجاح المبهر لجاسوسهم ، وراحوا يطلبون منه المزيد والمزيد من المعلومات ، في تهم واهتمام بالغين ..



وابتسم رجال المخابرات المصرية أيضاً ، وهم يزودون ( نبيل ) بكل ما يريدون نقله إلى العدو من معلومات ، عبر عملائهم ، الذين ارتبطوا معه بصداقات وهمية ..

ومع اقتراب ساعة الصفر ، نشط الرجال في هذه العملية ، ليلقوا إلى الإسرائيليين كل ما يوحي بأن الحرب لن تنشب أبداً ، وبأن القيادة السياسية والعسكرية في ( مصر ) قد قلعت من القلوب بالإياب ، ولم تعد على استعداد للمجازفة بمواجهة جديدة مع جيش الدفاع الإسرائيلي ..

فرحت المفاجأة ..

والصدمة ..

والهزيمة الساحقة ..

وقبل أن يغادر ( نبيل ) بلاده ، وليلقم ذهوله ، ويستعيد سيطرته على مشاعره وأفكاره ، التحم رجال المخابرات العامة بمنزله ، مع وكيل نيابة أمن الدولة ، وقدموا له أنفسهم ، مع كل ما يحملونه من أدلة خيانته ..

وانهار ( نبيل ) انهياراً عنيفاً ، مع قسوة المفاجأة ، وإدراكه أن المصريين يعلمون بأمره منذ البداية ، ولم يكن من المصير المحتوم على اعتراف كامل موقع منه ..

وانهارت أسرته انهيارا أثار عطفا ، وكانوا يفقدون وعيهم ، عندما علموا أن ابنهم خان (مصر) ، التي أكرمت وفادتهم ، ولم تشعرهم لحظة واحدة أنهم خارج وطنهم .. ومع اعتراف (نبيل) تبرأت منه أسرته ، ورفضت حتى توكيل محام للدفاع عنه ، باعتبار أنه خائن ، جاسوس ، لا يستحق منهم أدنى احترام أو تعاون ..

ومع صدور الحكم بسجنه لخمسة وعشرين عاما ، أدرك (نبيل) فداحة ما ارتكب ، في حق وطنه الثاني (مصر) ، وأدرك الإسرائيليون ، بعد فوات الأوان ، أن المصريين لم يتصوروا عليهم في (سيناء) الحصب ، وإنما كانوا الملتصرين أيضا طوال الوقت ، في واحدة من أنبل وأبرع عملياتهم .. عملية المهاجر .

* * *



## الهـــدية ..

على الرغم من أن (إسرائيل) لا تعد بأي حال من الأحوال ، واحدة من الدول العظمى أو الكبرى ، مثل (إنجلترا) أو (فرنسا) وليست - بالطبع - دولة عربية ، ذات تاريخ طويل ، أو حضارة عتيقة ، مثل (مصر) أو (سوريا) أو (تركيا) ، فإن بعض الأسباب السياسية والاستراتيجية ، دائما تدفع الرئيس الأمريكي - أيا كان - إلى الاهتمام دائما بوصول أي سفير جديد ، إلى سفارة (إسرائيل) في (واشنطن) والاطلاع به على كم هائل مما يمكن أن يحتاج ، من الناحية الديلوماسية ، مع سفير أية دولة أخرى ..

وتلك الأسباب ، وغيرها مما يخفى على الجميع ، سواء تم إعلانها أم إخفاؤها ، استقبل الرئيس الأمريكي السفير الإسرائيلي الجديد ، في مكتبه البيضاوي بالبيت الأبيض ، في أوائل عام 1973م ، بابتسامة عريضة وأيد أو وضوح ، وابتسم بارتياح شامل ، وهي تضطرب الوقت الذي قضاه مع وزير الدفاع الأمريكي لمناقشة المواقف العسكرية الأمريكي ، إزاء الاستفزازات السوفيتية الأخيرة ، ودارت معظم حوارات الرئيس مع السفير حول الوضع على الجبهة المصرية ، التي استقرت الأوضاع فيها أو كادت ، في ظل حالة جمود اللاسلم واللا حرب ، بعد رحيل الزعيم جمال عبد الناصر وتولي الرئيس أنور السادات مقاليد الحكم ، وانحصاره على كل مراكز القوى .



www.liilas.com/vb3

ولقد أبدى السفير الإسرائيلي تخوفه ، من أن يعيد الرئيس ( السادات ) بناء الجيش المصري ، مكملاً ما بدأه الرئيس ( عبد الناصر ) ، ولكن الرئيس الأمريكي طمأنه ، مؤكداً أن المخابرات الأمريكية تتابع الموقف المصري ، بمنتهى الدقة والاهتمام ، وأن من المستحيل أن يقدم المصريون على أية تحركات عسكرية مباشرة ، دون أن تعلم المخابرات الأمريكية بأمرها ، قبل أن تدخل مرحلة التنفيذ الفعلية بشهر كامل على الأقل ..

وفور انتهاء المقابلة ، غادر السفير الإسرائيلي مقر الحكم الأمريكي ، متجهاً إلى سفارته ، وعلى شفتيه ابتسامة واثقة عبرة صنعها شعور ، بأنه سفير أقرب دولة إلى أقوى دولة في العالم ..

وفي السفارة الإسرائيلية ، استقبله الجميع بمزيج من الترحاب والتحفظ والقلق والترقب ، فلقد أي سفير جديد ، لم يعلن أحد ردود أفعاله أو أسلوب مواجهته للأمور بعد ، على الرغم من تاريخه المعروف في الدبلوماسية الإسرائيلية ، وصداقته الشخصية القوية للأسهر وزير دفاع إسرائيلي على الإطلاق ( موشي ديان ) .

ووسط الهالة التي رسمها السفير الجديد حوله ، جاءت سكرتيرته الشقراء الفاتنة ، لتهمس في أذنه بأن هناك ضيفاً في انتظاره ، ويطلب مقابلته شخصياً ، وقدمت له بطاقة أنيقة مذهبة الإطار ، تحمل اسم الضيف ..



ولم يكد السفير الإسرائيلي يلقي نظرة على البطاقة ، حتى انفرجت أساريره ، وهتف في سعادة واضحة :

ـ آه .. مستر ( أدوين ) ، دعه يدخل على الفور .

لم تمض لحظات ، حتى كان السيد ( جاك أدوين ) يقف في حجرة السفير ، حاملاً ابتسامته الآلية وملامحه الوسيمة ، قائلاً :

ـ لقد رأيت أن أفاجئك بنفسي .

ينهض السفير الإسرائيلي بصالحه في حرارة ، ويربت على كتفيه في مودة ، توحي بمعرفتهما وصداقتهما الطويلة القديمة ، وهو يهتف :

ـ مرحباً بك في أي وقت ( يا جاك ) .. أنت على الرحب والسعة دائماً .

قضى ( أدوين ) ساعة كاملة معه ، وهما يتحدثان في ألف موضوع ، لا يمس أيها السياسة ، من قريب أو بعيد ، وقبل أن ينصرف ( أدوين ) ، ألقى عينيه في حجرة السفير ثم غمز بعينه ، قائلاً :

ـ في المرة القادمة ، عندما آتي لزيارتك ، سأحمل معي هدية خاصة ، ستروق لك ، وتناسب مكتبك كثيراً .



www.liilas.com

يشعل السفير الإسرائيلي ، وهو يربت على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

- ليس لدي أدنى شك في هذا .

ابتسم مستر ( أوين ) لبشاشته الهادئة الأليفة مرة أخرى ، وغادر مبنى السفارة كله في هدوء ، واستقل سيارته الفارهة البيضاء ، وانطلق بها عبر شوارع العاصمة الأمريكية ، ثم لم يلبث أن توقف أمام فيلا أنيقة صغيرة من طابقين ، وضغط زراً صغيراً في بوابتها الحديدية ، قائلاً :

- الشمس لا تشرق ، في سماء عابد بالغيوم .

مضت لحظة من الصمت وتلاها صوت هادئ يقول :

- ومنذا عن القمر ؟!

- ابتسم ( أوين ) مجيباً :

- القمر لا تحجبه أية غيوم .

فتحها ، وعاد يدير محرك سيارته في اللحظة نفسها التي انفتحت فيها البوابة الحديدية ، فعبرها بنفس الهدوء ، وقطع حديقة الفيلا ، قبل أن يتوقف أمام بابها ، ويتلفت إليها في سرعة .

ويخطف النظر عما دار داخل تلك الفيلا الأنيقة في ( واشنطن )



منذ لم يستطع الحصول على تفاصيله قط ، فقد انعقد الأمر على عبارة غامضة ، في قلب ( القاهرة ) ..

عبارة الدكتور ( عابد صادق ) أستاذ الطب النفسي الشهير ، الذي توفي بأحد مرضاه ، يعرف له بطولة خاصة ، قائلاً في هدوء جازم :

- ( م . ر . ج ) .. من المخابرات العامة المصرية .

في ذلك الحين ، وبسبب بعض الظروف السياسية ، كان مجرد ذكر اسم المخابرات العامة ، يكفي لإشاعة الرعب في قلب أشجع الرجال ، حتى إن الدكتور ( عابد ) قد تجمد في مقعده ، وهو يحدق في محدثه وبطاقته ، قبل أن يقول بصوت مبحوح مختنق :

- ما ... ماذا فعلت ؟!

أجابه الرجل في هدوء مشوب بالاحترام والتقدير :

- لا شيء يا دكتور ( عابد ) .. لا شيء بالمرة ، ثم مثل تحوه ، مقاطعاً بالنهجة نفسها :

- الواقع أننا نحتاج إلى استشارتك .

ردد الدكتور ( عابد ) مبهوراً :

- أنتم ؟!

اعتدل الرجل ، وقال بمنتهى الحزم هذه المرة :



www.liilas.com/vb3

- مصر (تحتاج) إلى خدماتك يا دكتور (عابد).

الكاميرا تسللت كل ذرة من الثوانى ، فى لمعان خبير الطب النفسى الشهير ، وجعلته يهتف فى حماس عجيب :

- رائعة أداء أيها .

ابتسم رجل المخابرات ، وهو يقول :

- فلتحافظ برقيتك يا دكتور (عابد) .. كل ما تريده منك مجرد استشارة فنية .

- قل بنفس الحماس .

- أنا رهن إشارتكم .

هز الرجل رأسه ، قائلاً :

- لا .. ليس الآن .. سأنتظر حتى تنهى عملك ، ثم نتذاهب معاً إلى مكان قريب .

- وعلى الرغم من ازدحام العيادة بالمرضى ، انتظر رجل المخابرات فى صبر ، حتى انتهى خبير الطب النفسى من كل ارتباطاته ، ثم اصطحبه فى سيارته ، عبر شوارع (القاهرة) إلى أحد الأماكن النائية للمخابرات العامة ..



وهناك وجد الدكتور (عابد) فى انتظاره ملفاً كاملاً ، يحوى جميع التفاصيل عن شخص ما ، باستثناء اسمه وهويته ، وبنفس الهدوء قال رجل المخابرات :

- الملف هذا الملف جيداً يا دكتور (عابد) ، ولا تهمل أية تفاصيل ، مهما تبلغ تفاهتها وصغرها ، فأنا نريدك أن تعرف صاحب الملف معرفة تامة كاملة ، إلى الحد الذى تصبح فيه وكأنك هو .. تريد أن تدرك ما الذى يحبه ويكرهه وما الذى يمكن أن يثير انتباهه واهتمامه .

قال الدكتور (عابد) فى حماس :

- آه .. أنت تريد حالة للفحص تام ؟

أجابه رجل المخابرات فى حزم :

- بالضبط .

سأله الدكتور (عابد) بنفس الحماس :

- وكم أمامى من الوقت ؟

صمت رجل المخابرات بضع لحظات ، قبل أن يلقى نظرة على ساعته ، ثم يجيب فى لهجة حاسمة :

- حتى موعد محاضرتك ، فى التاسعة من صباح الغد ..



liman
www.liilas.com/vb3

فاتت مفاجأة عنيفة لخبير الطب النفسي ، ولكنه لم يرفض أو يعترض ..

ولم يطرح أية أسئلة أيضاً ..

لقد أدرك ، بثقافته المعهود ، أن أية أسئلة لن تجد جواباً واحداً شافياً ، وأنه مادامت السفارات المصرية قد منحته هذه المهمة الخطيرة ، فهذا يعني أن لديهم أسبابا منطقية وحتمية لهذا ..

وبثقة كبيرة أيضاً ..

وباهتمام قال الحد ، فتى الخبير النفسي ليلتقط منها ما يطرح من أل صفحة في الملف ..

بل أل سطر ، وأل جملة .. وأل حرف ..

وقبل أن تشرق الشمس ، تمهل وأنهى بعرف صاحب هذا الملف منذ عشرة أعوام على الأقل ..

وأنه قادر على تعرفه فور رؤيته ، على الرغم من أن الملف قد تجاهل أية معلومات ، يمكن أن تفصح عن هويته الحقيقية ..

وفي الثانية صباحاً ، جلس رجل السفارات ( م . ر . ج ) أمامه ، يسأله عما إذا كان قد انتهى من عمله ، فأجابه بكل حماس ، وطلب منه أن يطرح أية أسئلة يشاء ، وهو يعتدل في مجلسه ، مستعداً لسيل من الأسئلة ..



وفي هدوء ، مال رجل السفارات نحوه ، وسأله :

ـ قل لي ما الفضل هدية ، يمكن أن تقدمها لشخص كهذا ؟!

صمت الخبير النفسي لحظة ، قبل أن يجيب في حزم :

ـ ساعة .

ابتسم رجل السفارات ، وكأنما وافق الجواب استيفاءً سابقاً لديه ، وسأله بنفس الهدوء الواثق :

ـ وفي أية هيئة ؟!

أشار الدكتور ( عابد ) بيده ، قائلاً :

ـ ساعة الفضية ثمانيا .. من الخشب الداكن .. ذات عقارب وبدون ، ولكنها أنيقة الأسعة ، وتحمل اسم ماركة أوربية شهيرة .

تنهد رجل السفارات ، وهو يقوم :

ـ عظيم .

ثم نهض يمد يده للخبير النفسي ، مستطرداً :

ـ أشكرك يا دكتور ( عابد ) ..

لقد أفدتنا كثيراً نهض الدكتور ( عابد ) يصافحه بدوره ، وهو يقول في دهشة :

ـ أهذا كل شيء ؟!



www.liilas.com/vb3

اسمعت ابتسامة ( م . ع ) وهو يجيب :

ـ نعم ..هذا كل شيء .

وغادر الدكتور ( عابد ) ذلك المبنى الشاهق للشخصيات العامة المصرية ، وهو مازال يهز رأسه في دهشة ترفض أن تفارقه ..

إنه واثق من معرفته لصاحب المنقب المجهول عن ظهر قلب ..

ولكنه عاجز عن فهم هؤلاء الرجال ..

عاجز عن فهمهم تماماً ..

وسواء لوح عقله في فهم مغزى السؤال أم لا فبعد أسبوع واحد ، في السفارة الإسرائيلية في ( واشنطن ) كان مستر ( جاك أدوين ) يقدم للسفير الإسرائيلي هدية أنيقة للغاية ، وهو يقول بابتسامته المتميزة :

ـ أنا واثق في أنها ستروق لك .

تأملت عينا السفير الإسرائيلي ، وهو يخرج ساعة الحائط من علبتها ..

ساعة تاليدية ، تحمل ماركة أوربية شهيرة ، من الخشب الداكن ، وذات حظاب وبندول ، ولكنها أنيقة للغاية ..



وينتهي السعادة والتقدير والامتنان ، على السفير الإسرائيلي الهدية أروق مكتبه تماماً ، وراح يشكر صديقه ( أدوين ) طويلاً ..

وفور انصراف ( أدوين ) قال مدير أمن السفارة في صرامة :

ـ ينبغي أن يتم فحص هذه الهدية .

قال السفير معترضاً :

ـ إنها هدية !!.. إنه أمر شخصي محض ، ومستر ( جاك أدوين ) هذا صديق قديم وفوق مستوى الشبهات تماماً .

هز المدير أمن السفارة رأسه ، قائلاً :

ـ القواعد واضحة في هذا الشأن .

لم يرق هذا للسفير ، إلا أنه أشار إلى الساعة ، قائلاً في ضجر مخلق :

ـ فليكن .. أنا واجبك .

ثم استدرك في صرامة غاضبة :

ـ ولكن إياك أن تفسدها .

والتقط مدير الأمن الساعة بمنتهى الحرص ، وعاد لجنة مع مساعده ، وأخذ خبراء التلمست ، وانهمك الثلاثة في فحص الساعة لساعتين كاملتين ..



www.liilas.com/vb3

ولكن كل شيء بدا عادياً للغاية ..

وهكذا عادت الساعة إلى موقعها ، فوق مكتب السفير الإسرائيلي ..

وكانت ساعة أنيقة ، أثارت إعجاب الجميع ، ودقيقة إلى حد مدهش ، حتى إنها لم تتوقف عن عملها لحظة واحدة ..

وبالذات خلال شهر أكتوبر 1973م ..

فتلك الساعة كانت لحظة من تحف قسم التنصت ، في المخابرات العامة المصرية ..

ذلك القسم ، الذي يضم هدا من أفضل الخبراء والعلماء في مجالهم ..

وكلهم يحفظون قواعد الأمن الإسرائيلي عن ظهر قلب ..

ولهذا ، فالساعة التي أهداها ظلت تعمل كأية ساعة عادية ، لمدة أسبوعين كاملين ، حتى يطمئن الجميع إلى أن جهاز أمن السفارة قد انتهى من فحصها ، بكل صورة ممكنة ..

وبعد مرور الأسبوعين ، وفي منتصف ليلة تمامًا ، بدأت عقاربها في القيام بعمل إضافي ، إلى جوار عمل الساعات والدقائق والثواني ..

لقد تحولت إلى آلة تنصت ، من الطراز الأول ..



وبأسلوب بسيط للغاية ..

وعبقري للغاية أيضًا ..

وفي كل مرة يزور فيها مستر ( أوبن ) مكتب السفير الإسرائيلي ، فإن ينظر إلى الساعة الأنيقة ، ويبتسم ..

وفي كل مرة يتحدث فيها السفير إلى رؤسائه ، أو إلى أحد المسئولين الأمريكيين ، كانت الساعة تنقل كل تفاصيل الحديث إلى الأذان المصرية ..

والعقول المصرية ..

والمخابرات العامة المصرية ..

وعندما بدأ العد التنازلي لحرب أكتوبر 1973م ، كان للساعة هدف مهم وحيوي للغاية ..

كان عليها أن تنقل كل أحاديث السفير الإسرائيلي في ( واشنطن ) للإجابة عن سؤال ، كان عندئذ أهم سؤال في الدنيا كلها ، بالنسبة للمصريين ..

هل شعر الإسرائيليون أن ( مصر ) و( سوريا ) يستعدان لخوض الحرب ؟!..

هل ..؟!

ولهذا عكف فريق كامل من الرجال على الاستماع إلى كل حرف يدور في مكتب السفير ..

كل حرف ..

كان عليهم الاستماع إلى ما يقال ، وتلقيده ، وتحليله ، وإرساله إلى ( القاهرة ) لحظة بلحظة ، وكأنهم يقومون ببث مباشر ، على الهواء مباشرة ، في موقع الأحداث ..

ولم يعد لدى المصريين أدنى شك ..

لقد أدلت لعبتهم إلى القصى حد ..

الإسرائيليون ابتلعوا الطعم كله ، حتى المشرق معدتهم ، وانتزع قلوبهم من صدورهم وأدلعت الحرب ..

وأدلت مخابرات منطقة الشرق ..

للإسرائيليين والأمريكيين معاً ..

بل وللعالم كله تقريباً ..

وعلى رأسه السفير الإسرائيلي ، الذي لم يعد يبقى من شعر رأسه ، وهو يهتف !!

ـ كيف فعلها المصريون !! .. كيف !!



وفي هذه اللحظة ، ألقى صديقه ( جاك أوبن ) ابتسامته في أعماقه ، ورفع عينيه بلقى نظرة أخرى على هديته ، التي مازالت تقاربها الدور والدور ..

وكان في أعماقه ، انطلقت ضحكة كبيرة .. لقد دارت عقارب الزمن بالفعل ، وانتقم المصريون كرامتهم وأرضهم ، ورفعوا علمهم مرة أخرى على ( سيناء ) ..

وكانت هذه هي الهدية الحقيقية لـ ( مصر ) لكبير هدية ..

* * *



Eman
www.liilas.com/vb3

# بلا ثمن

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى السابعة والنصف ، في صباح ذلك اليوم الداكن ، في أيام شتاء 1969م ، حتى التهبت ثم (ليلى) إلى حجرة ابنتها ، ودقت بابها في رفق ، وهي تقول في صوت خافت حنون ، وكأنها تخشى أن يؤذي صوتها أذن ابنتها :

- (ليلى) ... استيقظي يا بنتي .. إنها السابعة والنصف ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفع صوت (ليلى) من الداخل ، وهي تقول :

- أنا مستيقظة بالفعل يا أمي .

ارتفع حاجبا الأم في دهشة ، وخفق قلبها بين ضلوعها في قوة ، عندما التقطت أذناها ذلك الأجهد الخافت ، المختلف بتوتر مرهق ، في صوت ابنتها ، ودفعت الباب ، ودخلتها فإذا بها تهتف :

- ماذا هناك يا (ليلى) ؟!

ومع دخولها الحجرة ، انقبض قلبها مرة أخرى بين ضلوعها ، واختصرته قبضة باردة كالثلج ، فابنتها (ليلى) ، التي تستغرق ربع ساعة كاملة لإيقاظها يوميًا ، كانت ترتدي ملابسها كلها ، على نحو يوحي بأنها قد استيقظت منذ ساعة على الأقل ! لا أن



زينتها المتقنة لم تنجح في إخفاء تورم جفنيها ، واحمرار عينيها ، اللتين بوحتا بليلة طويلة مسهدة أرقة ، لم تذق فيها الصغيرة النوم قط .

وبكل لهفتها وقلقها ، هتفت الأم :

- ماذا بك يا بنيتي ؟!.. مالذي أصابك ؟!

حاولت (ليلى) أن تبتسم ، وهي تلوح بيديها ، قائلة :

- لا شيء يا أماه .. يبدو أن عقلي قد انشغل بموضوع صعب عليه ، فآلمني أن يهدأ أو يهجع ، طوال الليل الطويل .

لم يكن صوتها يقدر على إقناعها شخصيًا بتلك الحجة ، إلا أن قلب أمها كان يرغب في تصديق ما سمعته أذناها ، حتى لا يغرق في توتره ولوعته طوال اليوم ...

وفي حنان فائق ، ربتت الأم على كتف ابنتها ، قائلة :

- لقد أعددت طعام الإفطار .

تطلعت إليها (ليلى) في صمت ، وهي تحاول البحث عن حجة لفرار من وجبة الإفطار ، مع ذلك التوتر العنيف ، الذي يجتاح معدتها ، ثم لم تثبت أن قالت في كلمات تقطر الفعالاً :

- ليس لدي وقت يا أمي .. عندي موضوع صعب عاجل للغاية .

خلق قلب الأم للمرة الثالثة ، وهي تتابع ابنتها ، التي التقطت حقيبتها ، واندفعت تغادر الشقة .

وفي لوعة حقيقية ، تمتمت الأم :

ـ لماذا أصبابني ابنتها ؟!

وإلى أين تذهب في هذه الساعة المبكرة ؟!

وعلى الرغم من قلقها وتوترها ، إلا أنه كان من الأفضل لها كثيراً ألا تعرف إلى أين ستذهب ابنتها ، في ذلك الصباح ، لأن معرفتها لوجهتها الحقيقية ، كانت كفيلة بمضاعفة مشاعرها والتهابها ألف مرة على الأقل ..

هذا الآن (أمل) كانت في طريقها إلى مكان ، لا يمت بأدنى صلة لعملها ، أو تعاملاتها التجارية .

كانت في طريقها إلى المخابرات العامة المصرية .

وفي تلك الفترة في أواخر الستينيات كان مجرد ذكر اسم جهاز المخابرات كفيلاً ببث الخوف ، بل والرعب أيضاً ، في أكثر القلوب شجاعة ، بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، وإلقاء تبعة معظم الأخطاء والسلبيات على الجهاز ، الذي لم يكن له فيها ناقة ولا جمل .

وهذا ما دار في عقل (أمل) ونفسها ، وهي تسير على



قدميها في شوارع (القاهرة) ، في تلك الساعة المبكرة ، وتراجع مواقفها وما لديها مرة ومرة .. وألف مرة ..

وفي النهاية ، التقطت قرارها في حسم ، واستقلت واحدة من سيارات الأجرة إلى مبنى المخابرات العامة مباشرة .

وعندما أوقفها السائق هناك ، وانطلق بأقصى سرعة مبتعداً ، فارقها حسمها وحماسها ، وفرت منها شجاعتها ، وشعرت برجليها ترتجفان ، وهي تقف أمام مكتب الحراسة ، وقد غابت الدماء عن وجهها ، حتى حاكى وجهه الموتى ، وبخصوصاً عندما حملها رجال الأمن في عنف :

ـ أية خدمة يا آنسة ؟!

كان صوته هادئاً ودوداً ، يفيض بالأدب والتهذيب ، وعلى الرغم من هذا فقد ارتجفت أسنانها بين شفتيها للمسة رقيقة واحدة ، لم ينطق الرجل هكذاها بحرف واحد حتى قالت بصوت خافت ضعيف :

ـ أريد مقابلة أحد المسئولين .. إنه ـ إنه أمر مهم جداً .

ابتسم الرجل قائلاً :

ـ بطاقة الهوية من فضلك .

لم تكن تتصور أن الأمر بهذه البساطة ، أو بهذه السرعة أيضاً ، فلم تمض عشر دقائق ، حتى كانت تجلس أمام ضابط المطارات الذي استقبلها أيضاً بابتسامة كبيرة ، وبلهجة شديدة العذوبة والتهذيب وراح يتحدث معها في بساطة ، حول الحياة الاجتماعية في ( مصر ) ، ومتاعب مهنة الصعلكة ، حتى اطمئن كل توترها وانفعالها ، ثم مال نحوها يسألها في هدوء :

ـ لماذا أنت هنا يا آنسة ( ليلى ) ؟!

هدأ اسمها يرتجف في حلقها ، وهي تجيب :

ـ الواقع أنني كنت في ( إيطاليا ) ، منذ أسبوع واحد وهناك التقيت بـ ... برجل مصري ، يطلقون عليه هناك اسم ( ماريو ) و ... و ...

ارتجفت طويلاً ، ورجل المطارات يطالع إليها في صبر وهدوء ، حتى تدفقت فتاة كالريح في حدة :

ـ وإنني أعتقد أن ( ماريو ) هذا جاسوس ، بل أنا واثقة من هذا .

أدهشها أن وجه الجالس أمامها لم يصل أية انفعالات ، وهو يقول :

ـ ولماذا أنت واثقة هذا ؟!

أجابته في عصبية :

ـ لأنه انتحل لرجل آخر ، يتحدث العربية بلهجة شامية ، وأخبرني



أنه صاحب دار نشر كبيرة ، وذلك الأمر تقارب إلى حد ما مثير للشك ، وطلب مني معلومات هامة عن ( مصر ) بحجة نشرها في كتاب جديد ، ثم دفع حساب فندقي وحجز لي تذكرة الطائرة ، أنا ( ماريو ) نفسه ، فقد قام بشحن سيارة اشتريتها من هناك ، على حسابه الخاص ، دون أن يطلبني بأي مقابل ، وكل هذه أمور تثير الشك .. ثم إن ( ماريو ) هذا ليس اسمه الحقيقي .. إنه يحمل جواز سفر باسم ..

قبل أن تتم عبارتها ، أجاب رجل المطارات بنفس الهدوء والابتسامة الوقحة :

ـ ( محمد إبراهيم فهمي كامل ) .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وسقط فكها السفلي من فرط ذهولها ، وهي تهتف :

ـ هل تعلم تعرفون اسمه ؟!

ابتسمت ابتسامة الرجل وهو يجيب :

ـ ليس اسمه فحسب يا آنسة ( ليلى ) .

قالتها ، وهو يضع أمامها مجموعة من الصور ، لها تحمل وجه ( ماريو ) ، في مواقف مختلفة ..



www.liilas.com/vb3

وفي هذه الفترة ، لم يمكنها أن تلبس بخرف واحد ..

لقد كانت الصفيحاة مذهلة بحق ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

بدأ ( محمد كامل ) حياته العملية تاجر قطع غيار سيارات في ( الإسكندرية ) ، بعد فترة طويلة من العمل مسيو ميشاليان في الإسكندرية ، حيث كان معظم زبائنه من الإيطاليين ، لذلك ربطتهم به صلة صداقة ، ساعدته على التقاط نفسه ، والنهوض بها بطلاقة ، مما جعل أصدقاءه المصريين يطلقون عليه اسم ( ماريو ) وهو أحد الأسماء الإيطالية الشائعة ..

وسع نشاط تجارته ورواجها ، تزوج ( ماريو ) من إحدى فتيات الإسكندرية ، وعاش في شقة فاخرة ، ثم لم يلبث أن تزوج ثانية ، أسكنها شقة أخرى أنيقة في حي ( المنتزه ) ..

ولكن طبيعة حياته العابثة ، جعلت تجارته تكسد ، بعد فترة قصيرة ، فساءت حالته المادية ، وخصوصاً بعد أن غادر زبائنه الإيطاليون ( مصر ) وعادوا إلى بلادهم ..

ولأن عائلته ارتبط طويلاً بالإيطاليين ، وربط بينهم وبين زواج



الثاني ، فقد تصور ( ماريو ) أنه لن يستعيد ما كان عليه ، إلا إذا سافر إلى ( إيطاليا ) ..

وهذا ما فعله ..

لقد اشتاع كومة تحف من ( خان الخليلي ) ، واستدرج جواز سفر ، والتحق إلى ( إيطاليا ) ، حيث استقبله بعض الأصدقاء القدامى ، الذين ساعدوه على بيع ما لديه من تحف ، وشراء العديد من قطع غيار السيارات ، التي نجح في تهريبها من الجمارك ، لإعادة تجارته مرة أخرى ..

وبعد عودة سفريات ، استطاع أولئك الأصدقاء أن يوجدوا له عملاً في شركة ( رولاكس ) ، حصل بموجبه على تصريح عمل وإقامة في ( إيطاليا ) ، حيث يتنقل بين ( روما ) و( ميلانو ) ، و( الإسكندرية ) في مجاورة لتحسين دخله ، واستعادة مستوى معيشته السابق ..

ولكن لفتات ( ماريو ) الباهظة كانت تقف حائلاً بينه وبين ادخار ما يستعيد به عمله وتجارته ، مما أورثه الفقر من الحلال والسقوط وجهه دائم الغرام والتكدر بلا حدود ..

وفي إحدى رحلاته ، التقى بصديق بهودي قديم ، اسمه ( ليون لابي ) كان قد غادر ( مصر ) منذ عام 1952م ، فتصادقا

في حرارة ، وراح كل منهما يروي للآخر ذكرياته السابقة ، قبل أن يتناولا الغداء من أحد مطاعم (ميلانو) ، ويبدأ (ماريو) في الشكوى من كساد تجارته وبوار أحواله وقلة موارده ، وعجزه عن تحقيق طموحاته ، و ... ، و ...

وينتهي الاهتمام ، ودون أن يطق بحرف واحد ، راح (لابي) يستمع إليه جيداً ، حتى انتهى من روايته ، فتراجع اليهودي في مقعده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة فاترة ، وهو يقول :

ـ لكل مشكلة حل يا صديقي .

قال (ماريو) في يأس :

ـ إلا مشكلتي .

ابتسمت ابتسامة (لابي) الفاترة ، وهو يقول :

ـ تعال لزيارتي غداً ، في مكتبي الخاص هنا في شارع أوروبا ، رقم (12) ، الدور الثاني .

ثم نهض يربت على كتفه ، مستطرداً :

ـ ربما وجدنا حلاً لمشكلتك .

شعر (ماريو) بالدهشة ، وهو يعود إلى منزله ، ويتساءل في حيرة عما يخبئه (لابي) ، إلا أن حيويته هذه لم تلبث أن استحالت



إلى مخاوف قوية ، عندما ذهب إلى مكتب اليهودي ، وقرأ اللافتة النحاسية عليه ، والتي تحمل النجمة السداسية الإسرائيلية ، إلى جوار عبارة (الفلسفية الإسرائيلية) ..

وعند هذه النقطة ، كان من الممكن أن يتراجع (ماريو) ، ويعود أدراجه ، دون أن يتورط في الأمر أكثر وأكثر ، إلا أنه لم يفعل هذا ، وإنما دلف إلى الفلسفية ، وأخبر سكرتيرتها الحسناء أنه على موعد مع (أيون لابي) ، الملحق التجاري شخصياً ..

وبكل حرارة وترحاب ، استقبله (لابي) في مكتبه ، ثم فاتحه في الأمر على الفور :

ـ (ماريو) .. أنت صديق قديم عزيز ، ولقد اعترض عليه فرصة نادرة للعمل معنا .

سأله (ماريو) في حذر :

ـ معكم في الفلسفية ؟

أشاق (لابي) شفتاه طويلة ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً في حزم :

ـ بل مع المخابرات الإسرائيلية ، يا (ماريو) .. إنك ستريح معنا الكثير ، وستحقق كل طموحاتك .

ثم نهض معلناً انتهاء المقابلة ، وهو يضيف :



www.liilas.com/vb3

- فكر في الأمر جيدًا ، ولو جاء ردك بالإيجاب ، فستلتقي في العاشرة من صباح الغد في فندق ( ريتز ) في ( روما ) .

ولم يكن ( ماريو ) بحاجة إلى كثير من التفكير ، ففي تمام العاشرة ، من صباح اليوم التالي ، كان يقف داخل بهو فندق ( ريتز ) ، في انتظار ( لابي ) ، وهو يتطلع في البهار إلى فخامة المكان وأناقته ، التي لم يكن يحلم حتى برؤيتها ..

وجاء ( لابي ) في موعده أيضًا ، وحجز له جناحًا فاخرًا في فندق ( ريتز ) ، ثم أعطاه مائة دولار ، وطلب منه الإقامة في هذا الجناح ، حتى اليوم التالي ..

ولم يصدق ( ماريو ) نفسه ، وهو يرقص داخل جناح ( ريتز ) ، وراح ينتظر اليوم التالي بفارغ الصبر ، بعد أن تجاوز الحقيقة المرة التي يعيشها ، إلا وهي أنه قد باع وطنه بثلاثين مقابل مائة دولار ، وليلة واحدة في جناح فندق ( ريتز ) .

وفي اليوم التالي عاد ( لابي ) لمقابلته في ( روما ) ، وبصحبته ضابط مخابرات إسرائيلي آخر ، يتحدث العربية في طلاقة ، قدم لنفسه باسم ( إبراهيم ) ، وقال إنه متخصص في مقاومة النشاط الشيوعي العالمي ، وعندما جلس وحده مع ( ماريو ) أضاف :

- مهمتنا هي تعقب النشاط الشيوعي ومقاومته ، في كل دول



العالم ، ولن نطالبك إلا بمعلومات خاصة بالنشاط الشيوعي مقابل المائة دولار شهريًا ..

فما رأيك ؟!

لم يكن سؤاله قد كامل بعد ، عندما هتف ( ماريو ) ، أمس حماس :

- موافق .

وهنا ابتسم ( إبراهيم ) في ثقة ، واعتدل في مقعده ، قائلاً بلهجة من السيطرة :

- في هذه الحالة ينبغي أن تتلقى بعض التدريبات .

واعتبارًا من صباح اليوم التالي مباشرة ، بدأت عملية تدريب ( ماريو ) على جمع المعلومات ، وإرسالها ، واستخدام الحبر السري ، والاستماع إلى رسائل قيد الإذاعة وترجمتها ، والتعامل مع شفرة الكتابة ، تعتمد على تحديد رقم الغلاف والسطر والصفحة ، من الكتاب متفق عليه ، للتدوين رسائل ومعلومات كاذبة ، ثم تلقي محاضرات طويلة حول الحرب النفسية ، ورسائل إطلاق الشائعات وترويجها ..

وبعد نجاحه في هذه الدورة التدريبية ، عاد ( ماريو ) إلى ( مصر ) ، ليقضي بعض الوقت مع زوجته وليبدأ عمله في الجاسوسية ، مع أول راتب يتقاضاه من المخابرات الإسرائيلية .

وعلى الرغم من أن كل المعلومات المطلوبة كانت تتعلق بأمور الجيش ، والدفاع المدنى ، والحالة الاقتصادية والمعنوية ، دون أن تشمل أمرًا واحدًا ، يتعلق بالنشاط الشيوعى ، فقد جمعها ( ماريو ) كلها ، دون أن يتعجب من هذا ، أو يتساءل حتى عنه ، وكأنما كان يعلم أن لعبة مخابرات النشاط الشيوعى هذه مجرد غلاف من الستار الحديدى الواقعى ، وهى كله يعمل ويجمع كل المعلومات ، التى تضر بأمن وطنه وسلامته ، وتضع أمله وأمانه فى قبضة العدو ..

فالواقع أن الهدف لم يكن يعنيه ، ما دام يتقاضى عنه الثمن المناسب ..

الثمن الذى يحقق أهدافه وطموحاته ..

وفى المرحلة الثانية ، وبعد عدة عمليات ، طلب ( إبراهيم ) ، من ( ماريو ) أن يبذل جهده ، لتعرف المصريين الذين يسعون للسفر إلى ( إيطاليا ) ، لشراء السيارات المستعملة منها ، وكانوا عديدين فى تلك الفترة ، ومن مختلف فئات الشعب ، وتقديم كافة العون والخدمات لهم ، فى هذا الشأن ..

وهكذا استقر ( ماريو ) فى ( إيطاليا ) ، واتسعت شهرته بين المصريين هناك ، وخصوصًا الباحثين عن السيارات منهم ..

ومن بين هؤلاء كانت ( ليلى ) ..



لقد وقع الاختيار على هؤلاء المخابرات الإسرائيلية عليها ، وقدروا كفاءتها ، للعمل لحسابهم داخل ( مصر ) ، وأسندوا هذه المهمة لضابطهم ( إبراهيم ) أو ( إفرام ) ، وعينهم ( ماريو ) ..

وكان ما كان ..

ـ التقيت برجل الأعمال المزعوم فى أحد مطاعم ( روما ) وقدمه لى ( ماريو ) ، ثم حدث ما أخبرتك به .. »

تطلقت ( ليلى ) عبارتها هذه ، فى نهاية قصتها ، التى روتها لرجال المخابرات المصرى بكل تفاصيلها ، وهو يستمع إليها فى صمت هادئ ، ثم اعتدل يشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول :

ـ حسنًا فعلت بإبلاغنا يا آنسة ( ليلى ) ، ولكن ما الذى تريدين فعله الآن ؟!

التفتت ( ليلى ) ، بلهفة عجيبة ، قبل أن تقول فى سرعة ، وكأنها تعلن أنها قد حسمت أمرها :

ـ أنا رهن إشارتكم .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح وإعجاب هذه المرة ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .. أعتقد أننا سنتعاون بشكل جيد فى هذا الشأن ..

ويتصل مع المخابرات العامة أرسلت (ليلى) بعض المعلومات المهمة للغاية إلى (ماريو) في (روما)، ثم أخبرته أن لديها معلومات أكثر أهمية وخطورة، ولكنها تخشى إرسالها بالبريد حتى لا يتكشف أمرها..

ولأن المعلومات التي أرسلتها كانت خطيرة بالفعل، فقد قرر الإسرائيليون إرسال (ماريو) إلى مصر، لإحضار باقي المعلومات التي مازالت تحتفظ بها (ليلى).

وهكذا وقع جهاز المخابرات الإسرائيلي في الفخ..

ودخل (ماريو) المصيدة بكامله..

وفور وصوله إلى (القاهرة) أسرع (ماريو) بالاتصال بالصحابة (ليلى) التي قابلت له تقريرًا تفصيليًا مفصلاً عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في (مصر)، من الذي عثرة صالحة تم إعداده بمعرفة وبمساعدة المخابرات العامة.

وكان من الطبيعي أن يبهر (ماريو) بالتقرير، وأن يبدي إعجابه الشديد به، ولكن (ليلى) أبدت أسفها لاختيار التقرير إلى بعض الصور المهمة، التي عجزت عن التقاطها، لقلة خبرتها في هذا المجال.

وأسرع (ماريو) بطمأنتها، لإكمال العمل، والتطلع على



الفور لالتقاط كل الصور المطلوبة، وجميع المعلومات المتبقية، نقلها إلى المخابرات الإسرائيلية.

وبالفعل فقد حصل كل هذه الأسرار في حقيبته، ويتجه إلى بيته (ليلى) فوجئ برجل يعترض طريقه، ويقول في صرامة:

- مهلاً يا رجل.. طريقك ينتهي هنا.

صاح به (ماريو) في حدة:

- افسح الطريق يا رجل.. لدي عمل مهم.

أجابه صاحب الصوت الصارم:

- خطأ يا (ماريو).. هنا نهاية الطريق.. أنا (...) من المخابرات العامة المصرية.

وقبل حتى أن يكمل ضابط المخابرات المصري عبارته، كان (ماريو) قد انهار بالفعل، وراحت التوسلات والاسترحامات تنهال من بين شفتيه، وهو يشير بيديه داخل سيارة خاصة بإذن وبحضور وكيل نيابة أمن الدولة.

وأثناء محاكمته بقي (ماريو) في صمم وكرر توسلاته وطلبه الرحمة، إلا أن المحكمة الصارمة، برئاسة السيد (أسعد محمود إسماعيل)، لم تجد ما يستوجب الرحمة بالمتهم، ما دام قد خان بلاده عمدًا،

وأبيض ثمن هذا سبعة آلاف دولار فحسب فقضت بإعدامه شنقا، وصدق رئيس الجمهورية على الحكم، الذى تم تنفيذه فى أحد سجون (القاهرة)، بعد مشرق الشمس بقليل.

أما (فاتن)، فقد نالت جزاءها، بعد أن قدمت واجبها، وسلمت الطفلتين للعدالة بلا ثمن سوى راحة وسلامة وأمن هذا الوطن..

وما أعظمه من ثمن!

* * *



## جاسوس سيئاء

توقفت سيارة صغيرة مصرية الصنع، فى ساعة مبكرة من أحد أيام نوفمبر، عام 1993م، أمام مكتب مكافحة المخدرات، فى مدينة (رفح) فى (سيناء)، وغادرها رجل معشوق القامة، متين البنيان، وخط الشيب فوديه، على الرغم من سنوات عمره، التى تجاوزت الأربعين بقليل فملحه مظهرا وسيما، يتناسب مع الحلة الأنيقة التى يرتديها، والحذاء الأسود، الذى تقاربت فرقعة نرات الرصيف، وهو يتجه إلى المكان، حيث استقبله رئيس المكتب فى حرارة، وثناء، عبر مسرته الصامتة الهادئة، وهو يقول:

ـ مغامرة لإيقاظك فى هذه الساعة المبكرة يا سيادة العقيد، ولكنى أعتقد أن الأمر مهم للغاية، وأنه من الأفضل أن تستمع إليه بنفسك، على لسان صاحبه!

أجابه الرجل بابتسامة هادئة وصوت وقور:

ـ لا بأس.. أنت تعلم أن طبيعة عملنا لا ترتبط بالوقت.. فى المواعيد تناسبنا، ما دامت تقودنا إلى معلومات وحقائق جديدة.

تمتم رئيس المكتب فى انضباط:

ـ بالطبع.

كان هذا آخر ما تبادلاه من حديث ، غير العبارات العادية . جلس بلقا حجرة صغيرة ، عارية من الأثاث ، إلا من منضدة خشبية ، استقرت فوقها زجاجة مياه باردة ، وعدد من الأكواب الزجاجية ، وأربعة أو خمسة مقاعد ، جلس فوق أحدها رجل في أوائل الخمسينيات ، يلوح عليه مزيج من الاضطراب والتوتر والقلق ، لم يكد يلمح الرجلين ، وهما يتقدمان إلى الحجرة حتى هبّ واقفًا ، ورفع يده إلى رأسه بتحية عسكرية ، فربت رايس مكتب مكافحة المخدرات على كتفه ، وقال بابتسامة بسيطة :

- اجلس يا (محمد) .. لا تقلق .. سيادة العقيد هنا ليسأل أسئلة فحسب .

رمق (محمد سليمان جابر) ذلك القادم الجديد بنظرة متوترة ، ولكن العقيد استقبلها بابتسامة هادئة ، وأشار له بالجلوس ، ثم جذب مقعدًا ، وجلس أمامه عبر المائدة ، وصب لنفسه كوبًا من الماء في أحد الأكواب ، وهو يسأله بلهجة توحي بالألفة :

- ماذا عندك يا (محمد) ؟

أدرك (محمد) لغايته في صعوبة ، قبل أن يقول :

- لقد ما أخبرت به رئيس المكتب .. لقد زارني في أوائل الشهر زميل قديم ، كان محبوسًا معي خلال عام 1977م ، في



أحد السجون الإسرائيلية ، خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي ، وعرض علي أمر تهريب شحنة هيروين ، إلى داخل (مصر) ، يبلغ وزنها اثني عشر كيلوجرامًا ، مقابل اثني عشر ألفًا من الدولارات .

سأله العقيد في هدوء ، وهو يرتشف كوب الماء في يده :

- وكيف سيحصل على شحنة الهيروين هذه ؟!

أدار (محمد) عينيه بين الرجلين ، في شيء من التوتر ، ثم أجاب بصوت خافت :

- سيحصل عليها بمساعدة المخابرات الإسرائيلية .

التقط حاجبا رايس مكتب مكافحة المخدرات ، عند هذه النقطة ، وتطلع إلى العقيد في اهتمام ، وكأنه ينتظر رد فعله ، إزاء هذه المعلومة الخطيرة ، ولكن ذهن العقيد ظل عاملًا ، وكأنما لم تثر تلك المعلومة أدنى قدر من اهتمامه ، وهو يسأل (محمد) في بساطة :

- ولماذا تقدم له المخابرات الإسرائيلية مثل هذه الخدمة ؟!

أدار (محمد) عينيه مرة أخرى ، وقال :

- لقد ألقيت عليه السؤال نفسه ، فأخبرني أنه يتعاون مع المخابرات

الإسرائيلية ضد (مصر)، منذ عام 1982م، مقابل مكافآت مالية ضخمة، ومرتب شهري قدره ثلاثمائة جنيه.

فزّ رأسه مكتئب مكافحة المخدرات رأسه في سخرية أسفل، وهو يقول:

- يا له من ثمن بخس لخيانة الوطن!

تطلّع إليه العقيد في صمت لحظة، ثم ضم شفتيه أن عد إلى (محمد)، وسأله في هدوء عجيب:

- وماذا أيضاً يا (محمد)؟!

أجابه الرجل في سرعة واهتمام، وقد زال الجزء الأكبر من قلقه وتوتره، مع هدوء وبساطة العقيد:

- لقد أخبرني أيضاً أنه دائم الاتصال بـ(إسرائيل)، ويتصل باستمرار بأحد ضباط المخابرات الإسرائيلية، وأنني يبلغه بالتطورات ويشرف على كل عملياته.

أومأ العقيد رأسه متفهماً، ثم سأله، وللمرة، في اهتمام واضح:

- لماذا قررت الإبلاغ عنه يا (محمد)؟

ابتلع (محمد) شيئاً من توتره، وهو يجيب:

- لا يمكنني أن أخون وطني، مقابل دولارات الدنيا كلها.



بسكه العقيد في شيء من التحزم هذه المرة!

- أهذا هو السبب الوحيد؟؟

وعاد (محمد) ليعايه مرة أخرى، وهو يومئ برأسه إيجابياً في صمت، فمالت تلك الابتسامة الهادئة الواثقة ترتسم على شفتي العقيد، وهو يتراجع في مقعده، قائلاً:

- أحسنت فعلاً يا (محمد)، ونحن لشكر لك اهتمامك وإبلاغك بهذا الأمر.. لقد قدمت خدمة جليلة للوطن بحق.

بدا الارتياح على وجه (محمد سليمان)، في حين قال رأس المكتب في اهتمام:

- إنه لم يغادرك بعد باسم الجاسوس!

ابتسمت ابتسامة العقيد، وهو يقول:

- لا تدعي.. نحن نعرفه جيداً في المخابرات العامة.. إنه (أرميلات).. (عامر سلمان على أرميلات).

وانتفض (محمد سليمان) في عنف على مقعده، واتسعت عيناه في شدة..

فقد كانت مفاجأة له..

مفاجأة حقيقية..

منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها ( عامر سلامان ) ذلك السجن الإسرائيلي ، في عام 1977م ، وأدرك مندوب المخابرات الإسرائيلية هناك أنه خميرة صالحة ، لمشروع جاسوس .. فقد كان ( عامر ) عنيفًا ، شرسًا ، يهتم أكثر ما يهتم ، في هذه الدنيا بالمال ، أيًا كان مصدره ، أو العمل الذي أتى به ..

ولأن اختيار العناصر الصالحة للتجنيد ، من بين المسجونين المصريين هو الهدف من وجود مندوب المخابرات الإسرائيلية في ذلك السجن ، فقد اهتم الرجل كثيرًا بمتابعة ( عامر ) ، ومراقبته ..

واختباره أيضًا ..

والاختبار في مثل هذه الأماكن ليس عسيرًا ، فحتى في عالم المسجونين هناك الشرفاء والحمراء ، والشهم والجبان ، وهناك من يأبى الإساءة إلى زملاء ، حتى ولو تعرض للضرب بالسياط في البرد القارس ، ومن لا يتورع عن الوشاية بشقيقه نفسه ، مقابل قليل من النقود ، أو بعض الامتيازات البسيطة ..

وكان ( عامر سلامان ) .. من الفئة الأخيرة ..

فقد فعل كل ما يمكن فعله ، بين جدران السجن ، في سبيل المال ..

باع الأسرار ..

وشي بالزملاء ..



تاجر في المخدرات ..

كل شيء ، فيما عدا القتل ..

وابتسم مندوب المخابرات الإسرائيلية في ارتياح ، بعد أن تأكد من أن اختياره كان ملهمًا تمامًا ، وأعد تقريرًا مفصلاً عن ( عامر ) قدمه إلى رئيسه ضابط المخابرات الإسرائيلي ، الذي أعاد دراسة الحالة بنفسه ، قبل أن يضع على الملف تأشيرة بخط يده ، تقول بالعبرية :

صالحة جدًا ، لأداء العمل المطلوب .

وعلى الرغم من هذا ، لم تتم مصارحة ( عامر سلامان ) ولم يتم تجنيده مباشرة ..

فقد استطاعت الإسرائيليون القيام ببعض العمليات البسيطة ، داخل السجن ، وبعد خروجه منه ، دون تعهد مسبق من يتعامل معهم ، أو الإشارة إليهم ..

وعندما استعادت ( مصر ) ( سيناء ) كاملة ، أدرك ضابط المخابرات الإسرائيلي أن الوقت قد حان لمصارحة ( عامر ) وتجنيده رسميًا ..

لم تكن وظيفة ( عامر ) ولم يكن موقعه الرسمي هما السبب في سعي المخابرات الإسرائيلية خلفه ، فهو يعمل كفراش في مدرسة المطلة الإعدادية ، بمطلة ( رأس ) في سيناء ..

ولكن المهم أنه من أبناء سيناء ، وقادر على التجول فيها بحرية ، وعلى رصد كل التحركات داخلها ..

والتقى ( عامر ) بضابط المخابرات الإسرائيلي ( أ . ش ) ، الذي تحدث معه نصف الساعة فحسب ، ثم صارحه ميائرة بأنه يريده أن يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية .

وأنه ترس شخصية ( عامر ) جيدًا ، ويعلم الكثير عن طمعه وجشعه ، وشراهته للمال ، ولم يشعر بدهشة كبيرة ، عندما لم يبد الرجل اهتمامًا بالجهة التي سيعمل لحسابها ، وإنما سأله عن المبلغ الذي سيتقاضاه مقابل هذا ..

وهنا ، واعتبارًا من منتصف عام 1982م أصبح ( عامر سلمان على أرميلات ) جاسوسًا لحساب المخابرات الإسرائيلية ..

وشد وطأته ( مصر ) ..

وبدأت مرحلة التدريب ..

طوال عام كامل ، تم تدريب ( عامر ) على تمييز أنواع الأسلحة المختلفة ، ومعرفة وسائل التحركات العسكرية ، وتنظم الجيش المصري ، وغيرها من علوم الجاسوسية ، اللازمة لتنشئة عميل مثله ..



وبعد انتهاء مرحلة التدريب تلقى ( عامر ) التعليمات اللازمة لبدء عمله ..

كان عليه أن يجمع المعلومات عن بعض أنواع الأسلحة المصرية ، وأماكن وجودها ، وتحركاتها في مناطق معينة في ( سيناء ) ..

والسبب أن ( عامر سلمان ) ، الذي لم يبد يومًا أدنى اهتمام بالعمل الوطني الشريف كان يعمل بهمة ونشاط مدهشين ، للإضرار بالوطن الذي نشأ فيه ، ولما من خيره سنوات طوال ..

كان يستيقظ مع الفجر ، ليراقب تحركات القوات العسكرية المصرية ، وبخصوصًا فرق الدبابات ، من طراز 55/33 و56 أو أسلحة الفنية في منطقة ( الخارجة ) على الحدود المصرية الإسرائيلية ..

وبين كل فترة وأخرى ، كان عامر يتسلل إلى إسرائيل ، عبر نقاط حدودية متفق عليها ، لينقل المعلومات إلى ضباط المخابرات الإسرائيلي ( أ . ش ) ثم يعود إلى ( مصر ) في حذر شديد ، واتخذ إجراءات حماية وتمويه متقنة ..

وعلى الرغم من هذا لم تغفل عنه عيون المخابرات العامة المصرية ..



www.liilas.com/vb3

فعلى الرغم من الستر والتورية والتمويه ، وكل محاولات التغطية والحماية ، رصدت العيون المصرية تلك التحركات المريبة للجاسوس ، وراحت تتابعه ، وتكشف أساليبه وتوابعه ، دون أن يدرك هذا لحظة واحدة ..

وحمل أحد ملفات المخابرات المصرية اسم ( عامر سلمان على أرميلات ) وراح هذا الملف يكبر ، ويتضخم ، ويتضخم ، ويتضخم دون أن يدرك صاحبه ما يدور خلف ظهره ، أو يتصور أن أمره قد انكشف ، وأن كل ما يتخذه من إجراءات للحيلة والتخفي والتمويه لا طائل منه ولا أمل ، وأنه مجرد جهد ضائع وحائر فاشل ..

ولأن ( عامر ) أحد الذين لا يشبعون ، فقد دفعته شراهته للمال إلى البحث عن وسيلة جديدة للاستزادة منه ، على حساب هذا وذاك من أبناء وطنه وخيرة شبابهم .

المخدرات ..

ومن الواضح أن هذا الأسلوب الجديد قد أصاب هوى شباب المخابرات الإسرائيلي وقيادته من خلفه ، فهو يحقق أحد الأهداف ، التي يسعون إليها منذ الأزل ..



تدمير الجبهة الداخلية العربية ، وإفناء شبابها في هوة الضياع ..

وأي ضياع أكبر من إدمان المخدرات ..

وكان العمال كان جديدًا بالنسبة للجاسوس ( عامر ) ..

ومقلقًا ..

فعلى الرغم من أنه سيحصل على المخدرات من جهاز المخابرات الإسرائيلي ، إلا أنه ما زال يواجه خطر تهريبه إلى داخل البلاد ، وتصريفه بين شبابها ورجالها ..

ولأن حب المال يغلب دائمًا كل مشاعره الأخرى ، تخلى ( عامر ) عن تجار المخدرات الطوال وعرض على كل من ( قاعود حمدان بشبيان ) و ( محمد سليمان رفاعي ) مهمة نقل المواد المخدرة ، وإدخالها إلى البلاد ..

واستمع إليه الرجلان طويلاً ، ثم أسرعا إلى السلطات المصرية ، وأبلغا عنه ..

وكان هذا يعني أن الجاسوس قد تجاوز الحد المسموح به ..

وأن الوقت قد حان لوضع حد للعملية كلها ..

وذات صباح ، وبينما كان ( عامر ) يتجه إلى مدرسة ( مطلة الإعدادية ) ، والتي يعمل بها ، اعترض طريقه أربعة رجال أشداء ، داخل سيارة سوداء كبيرة وخرج أحدهم إليه ، ووضع يده القوية على كتفه ، وهو يقول له :

ـ لا داعي لذهابك إلى المدرسة يا ( عامر ) .. أنا العقيد ( ن . خ ) ، من المخابرات العامة المصرية .

انتفض جسد ( عامر ) في عنف ، وتحركت أعضاء جسده عنيفة ، وكأنه يهم بالفرار ، ولكن الرجال الأربعة أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، وابتسم العقيد في شيء من السخرية ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن يفيدك الفرار؟!

شحب وجه ( عامر ) في شدة ، وانخفض عينيه إلى الأرض ، وهو يغتم في لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ لا .

وفي استسلام تام استقل معهم السيارة السوداء الكبيرة ، وظل ساكتاً طوال الطريق ، ودموع الندم تغرق عينيه ..

ولكنه لم يكد يصل إلى حجرة الاستجواب ، ويجلس أمام وكيل النيابة ، حتى عاد ينكر كل التهم المنسوبة إليه ، وبخاصة اتصاله بالمخابرات الإسرائيلية ، وإبلاغها بأية معلومات عسكرية ..



ولكن رجال المخابرات أفرغوا جزءاً من جعبتهم ، وواجهوه بالصور ، والوثائق ، والتسجيلات ..

وفي هذه المرة انهار الجاسوس ، وبكى بدموع من دم ، وتضرع ، وتوسل وحاول أن يلتمس لنفسه الأعذار والمبررات ..

واصطدمت دموعه وتوسلاته بجدار صلب قوي ..

لا أعذار ، ولا مبررات لذلك ، التي تبيح لأي شخص كان خيانة وطنه ، وإهدار دماء أبنائه ..

وأملى الجاسوس بالاعتراف كامل ..

شرح كيف اتصل به ضابط المخابرات الإسرائيلي ( أ . ش ) وكيف خان وطنه ، وتجسس لحساب الإسرائيليين ، ثم حاول تحميل شعبه بالمخدرات والإدمان والسموم البيضاء ، دون وازع من شرف أو دين أو ضمير ..

وفي مايو 1996م ، أصدرت محكمة جنايات ( العريش ) حكمها على ( عامر سالمان علي أرميلات ) بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وبغرامة عشرة آلاف جنيه ، وقال رئيس المحكمة ، المستشار ( أحمد حافظ مشهور ) ، قبل النطق بالحكم كلمة ، أكد فيها أنه مهما تصورت المخابرات الإسرائيلية واعتقدت أنها تمتلك أساليب ووسائل للنيل من أمن وسلامة ( مصر ) فلابد وأن تدرك أن في

(مصر) رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأنهم عون بالله لحرس أمنها، وتحافظ على سلامة أراضيها..

وكان آخر الناس إيمانًا بكل حرف تنطق به رئيس المحفل آنذاك هو (عامر سالمان) نفسه..

الجاسوس...

جاسوس (سيناء).

* * *



## رائحة الخيانة

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت السادسة بعد، في صباح السابع عشر من يناير، عام ١٩٦٧م، عندما أدرك الجميع، من ضباط ونزلاء ليمان طره أن ذلك اليوم لن يكون يومًا عاديًا أبدًا.. فقد ارتفعت على السجن راية سوداء، تشير إلى أن حكمًا بالإعدام شنقًا سيتم تنفيذه، قبل أن ينتصف النهار، وأن شخصًا سيلقى جزاءه العادل لقاء ما اقترفت يداه يومًا..

وإن السجون لا تنفك يتحاكم عليهم بالإعدام في المحاكم، فلا عزاء للجميع أن الشخص الذي سيتدلى من حبل المشنقة بعد ساعات قليلة، ليس سوى الجاسوس المكسيكي (فؤاد) الذي خان وطنه، وتعاون مع العدو في الوقت الذي كانت فيه (مصر) تخوض غمار، وبسالة حرب استعادة كل ذرة رمال من أرضها..

وكان الجميع حتى القتلة والمجرمين، كانوا يكرهون ما فعله (فؤاد) بوطنهم، الذي وقف على أرضه، وارتوى من نيله، ونعم في خيره، لم تتسلل الشفقة إلى قلب أحدهم لحظة واحدة، وربما تملكهم جميعًا شعور جارف بأن الخائن يستحق هذا الجزاء، بل وتمنى بعضهم لو مزقه بيديه وأسنانه، وألقى ما تبقى منه لذئاب الطرقات، جزاء خيانته وجحوده..



www.liilas.com/vb3

ومع اقتراب الساعة العاشرة صباحاً ، سيق المتهم إلى المشنقة بصاحبه إمام السجن ، ومأمور التنفيذ ، وعشماوى ، و ...

وفجأة وكما يحدث فى بعض الأفلام السينمائية التقليدية القديمة ، وصل محامى المتهم وهو يلهث ويلوح بورقة رسمية فى يده ، هاتفاً :

- أوقفوا تنفيذ الحكم .. أوقفوه .. إننى أحمل أمرًا رسمياً من النائب العام بذلك .

وكانت مفاجأة عجيبة وغير متوقعة للجميع ، وأولهم المتهم نفسه ، الذى شهق على نحو غريب وكأنما عاد بالفعل إلى عالم الأحياء ، بعد موت معنوى ، دمر كيانه منذ لحظات ..

وراجع مأمور التنفيذ ، ومدير السجن العمد (بدر الدين السادس) الأمر بنفسيهما ، وتأكدا من صحته ، ومع أن النائب العام قد أصدر قراراً بوقف تنفيذ حكم الإعدام ، تنظراً للتقارير التى تقدم بها محامى المتهم ، والتى تثبت أن الجاسوس (فؤاد) مجنون ، وغير مسئول عن أفعاله .

ولم يكن أمام الجميع سوى تنفيذ الأمر ، وإيقاف تنفيذ حكم الإعدام .

رجل واحد بين العاشرين كان يدرك جيداً ، أن (فؤاد) لن ينجو من العقاب أبداً .



هذا لأنه وثق تماماً من أن ذلك الستريبتيز لم يكن مجنوناً أبداً ..

هذا لأنه جاسوس محترف ، تفوح منه رائحة قوية ، لا يمكن أن تخطئها أنف رجل مخابرات محترف .

رائحة الخيانة .

المتابع لحياة (فؤاد حسن على حمودة) لم يكن من الممكن أن يتصور قط أن نهايته ستأتى على هذا النحو ، فقد كان موظفاً بسيطاً فى مطعونة حكومية للأرز بالإسكندرية ، له زوجة محترمة ، من عائلة طيبة ، رزق منها بثلاثة أولاد ، ويحيا حياة عادية للغاية ، فى شقة بسيطة متواضعة ، فى الخرع (محرم بك) .

ولكن لسبب ما ، أعلن (فؤاد) تمرده فجأة ، على هذه الحياة البسيطة ، وتخلى عن الاهتمام بزوجته وأولاده ، وراح يصاحب الفتيات ويقضى لياليه فى لعب القمار ، وتعاطى الخمر وتناول المخدرات ..

وفى سبيل هذه الحياة الفاسدة أنفق (فؤاد) كل ما ادخره فى بنوك عمله عليها ثم راح يستدين من هنا وهناك ، فتراكمت عليه الديون ، وضاق به الحال ، وصور له يأسه أنه ما من أمل من الخروج من هذه الأزمة سوى السفر إلى (أوروبا) والبحث عن عمل هناك متصوراً أنه سيجد فيها مصباح (علاء الدين) ، الذى سيخرجه من مغارة الديون والمشكلات المتراكمة بلا حدود ..

وسافر (فؤاد) بالقطار إلى أسوان، واستقر في مدينة (كوانون) في بنسيون (شارسيورجر).

ومنذ أول ليلة في (كوانون) هرع (فؤاد) إلى أقرب ملهى وراح يرقص ويحتسي الخمر طوال الليل، ويجالس بعض الفتيات الأسبانيات ذوات الشعر الأشقر والعيون الزرقاء، حتى نفست الهواء عن أحزانها، وعاد إلى البنسيون مقطبًا، ليستلقي في سريره قليلاً، حتى حمر اليوم التالي..

وهنا نجد أمامنا علامة استفهام كبيرة، تحيط بطريقة وأسلوب ذلك الرجل..

فعلى الرغم من أنه لم يعد يملك مالاً، وفي احتياجه الشديد للبحث عن عمل، إلا أنه لم يكد يغادر الزقازيق، بعد سهرة الأنس حتى هرع في الحال إلى الملهى الليلي، ليواصل السهر والشراب ويحتسي الخمر، وبملأ معدته بأشهى الطعام ويرقص ويمرح، حتى قرب الفجر..

وعندما هدأت العاصفة التي صنعت هيفاء من أجلهما، وخلا إلى (البارمان) بدعشة بالغة، وكأنما كان يتصور أن ذلك الملهى مجرد جمعية خيرية، لمحاربة اليائسين عن الفساد، والمتعة الحرام..



وفي ارتباك شديد، أعلن أنه لا يملك مارغًا واحدًا..

وكان من الطبيعي أن يثور (البارمان) في وجهه، وأن يشاجر معه في عنف، ويطالبه بدفع حساب طلباته، ومهددًا إياه بتسليمه للشرطة، وترحيله من (أسكندرية) فورًا، لو لم يدفع..

ومع المشاجرة العنيفة، جاء صاحب الملهى لاستطلاع الأمر، والاشتراك مع موظفه في توجيه الاتهامات والمطالبات وهو يسأل (فؤاد) في غضب عن جنسيته..

ولم يكد (فؤاد) يذكر كونه مصريًا، حتى انقلب الموقف تمامًا بغتة وبدة، كما لو أن كلمته قد ضغطت زرًا خفيًا، أزال كل شعوره بالتوتر في أعماق الصدر، وفجر فيها قنبلة من السعادة، فقد ارتسمت على شفتي الرجل ابتسامة كبيرة، وربت على كتفه في حرارة قائلاً:

- إذن.. مرحى يا رجل.. أنا أيضًا ولدت في مصر، وفي العديد من الأصدقاء المصريين.. تعال إلى مكتبي.. أعتقد أن لدينا الكثير للتحدث فيه..

وفي مكتبه، طمأنه المدير بأن كل ما شربه وأكله سيصبح على نفقة الملهى، وأنه مستعد لمنحه المزيد في المستقبل، وإيجاد عمل له أيضًا، ثم ضاقت عيناه وهو يسأله في بطء، وكأنه يزن كل كلمة، ويتابع رد فعله في اهتمام!

- ما نوع العمل ، الذى تبحث عنه بالضبط ؟

هز (فؤاد) كتفيه ، وهو يجيب فى لهفة :

- أى عمل ، يمكن أن يدر القليل من المال .

قال المدير بنفس البطء :

- الأعمال التى تدر الكثير من المال ، تنطوى فى الغالب على بعض المخاطر .. والتجاوزات .

أجابه (فؤاد) فى سرعة :

- المهم أن يدر المال .

رمقه المدير بنظرة طويلة صامتة ، ثم عاد إلى ابتسامته ، قائلاً :

- فليكن يا سيد (فؤاد) .. لقد إلى المفسدون الأول ، واصطحب معك من تشاء من أفراد المطهى ، على تلقانى بالطبع .. وسنلتقى غداً للتحدث فيراً .

ولم يصدق (فؤاد) نفسه ، وهو يغادر المطهى آمناً ، وفى يده امتياز حسناء ، ولوجين أيضاً بأن صاحبة البيتسيون ، قد نظرت لمتعلقه إلى حجرة أكبر ، وراحت تعاملة باحترام شديد ، على نحو يشف عن لقبها نوعية فيرنا بشأنه .



وفى اليوم التالى ، ذهب (فؤاد) لزيارة مدير المطهى ، الذى أحسن استقباله ، ودعاه لتناول الغداء معه ، ثم قال فى صراحة ووضوح :

- إننا نحتاج إلى بعض المطبوعات عن (مصر) .. عن قضيتها ، وأوضاعها .. وبياناتها مع استعدادها للنهوض بحرب قادمة مع (إسرائيل) بعد هزيمتها فى حرب 1967م .

تطلع إليه فؤاد فى توتر ، فتابع الرجل وهو يعبث بحبوه ، وابتسم على نحو يشبه ابتسامة مهذبة :

- إنها تساعدنى لمنع الحروب فى العالم ، وكل ما نحتاج إليه هو معرفة ما استعدت له دولة للحرب ، للبلاغ الدول الكبرى وعلى رأسها (أمريكا) بتمنع اندلاع الحرب ...

قطعه (فؤاد) فى حسم :

- هذا لا يهمنى فى كثير أو قليل .. إننى مستعد للتعاون مع الشيطان نفسه ، لو أنه يدفع رواتب جيدة .

ابتسم مدير المطهى ، وتراجع فى مقعده فى ثقة وارتياح ، قبل أن يضيف :

- عظيم .



www.liilas.com/vb3

فاتها ، ومنحه بطاقة تموينية خاصة ، إلى صديق له في (بون) لقائل عليه اسم (إبراهيم) ، وحدد له عنوانه بدقة ، وطلب منه ألا يخبر أي مخلوق بهذا الأمر فقط ..

وسافر (فؤاد) إلى (بون) ولم يكد يبلغ العنوان ، الذي منحه إياه مدير الملهى ، حتى بدت الأمور لديها واضحة ، حتى لم يعد لا يقبل أدنى شك ...

فقد كان هذا عنوان السفارة الإسرائيلية في (بون) ..

أما (إبراهيم) هذا فقد كان ضابط المخابرات الإسرائيلي ، الذي استقبله هناك ، وجلس معه الثلاث ساعات كاملة ، سلمه خلالها عن نفسه ، وعن أقاربه ، وجيرانه ، وزملاء عمله السابق ، واستقالته ، ثم طلب منه تدوين كل هذا بخط يده ، وبعدها أحضر خريطة كبيرة للإسكندرية ، وراح يسأله فيها عن عدة مواقع ، وبعدها منحه خمسين دولارا ، وطلب منه أن يذهب للإقامة في فندق (ميجستيك) ، وأخبره أن ينتظر اتصاله خلال بضعة أيام ..

ولم يمض وقت طويل ، حتى تم هذا الاتصال ، وبدأ (فؤاد) معه مرحلة التدريبات الأولية ، ليتعلم خلالها استخدام الأحبار السرية ، والكاميرا ، والتصوير بالآلات الصغيرة (الميكروفيلم) ، والتعرف على كل أنواع الأسلحة وتمييزها ، وكيفية الحصول على مختلف المعلومات ..



وفي نهاية الدورة التدريبية أخبره (إبراهيم) أن راتبه الشهري سيبلغ ثلاثمائة دولار ، بخلاف ما سيحصل عليه من مكافأة شرعا خمسون ألف دولار لو كلفه لهم أمر أي جاسوس مصري داخل (إسرائيل) ، وتصف مليون دولار نظيفة واحدة ، لو أطلعهم يومًا بموعد أي هجوم مصري على (إسرائيل) ..

ومع كل تلك المغريات ، عاد فؤاد إلى (مصر) حاملاً لزوجته وأولاده عشرات الهدايا ، في محاولة لاكتساب مودتهم مرة أخرى ، بعد أن هجرهم لعدة أشهر بدون مبرر ، وأخبر الجميع أنه قد حصل على عمل خاص بالترجمة في (أسوان) وأنه يعمل في بيع تذاكر أتوبيس ..

وعندما استقر به المقام ، بدأ عمله الفذ على الفور ، وراح يعد التقارير عن جميع تحركات الموظفين ، والعاملين في الأماكن الحساسة ، ويسعى لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ، وكان يرسل كل ما يحصل عليه إلى صندوق بريد رقم (329) في لندن باسم مستر (طومسون) ..

ومع بداية عام 1973م ، وصلته الأوامر بالسفر فورًا إلى (لندن) ، وهناك التقى بضابط المخابرات الإسرائيلي (إبراهيم) الذي قدم له زميله (يوسف) ، الذي يعمل في السفارة الإسرائيلية في (لندن) ، وأخبره أن هذا الأخير سيتلقه دورة تدريبية جديدة ..

وبعد تلك الدورة التدريبية المتقدمة ، عاد (فؤاد) إلى (مصر) ، وهو يحمل ألف دولار جديدة ، مع مكافأة إضافية ، لاستئجار شقة خاصة ، تقع ضابط المخابرات الإسرائيلية بأنها ستفيد عمله كثيراً ..

واختار هذه الشقة التي استأجرها في شارع (خالد بن الوليد) في (ميامي) ، هي وكر الجاسوسية الجديد ، والمكان الذي يستضيف فيه (فؤاد) أصدقاءه ليقدم لهم كل خدماته الكثيرة ، من خمر ومخدرات ونساء ..

وكان الخمس المترددون عليه في مستهل قارته ، يحاول كل أن ينتزع منهم المزيد والمزيد من المعلومات ، التي يرسلها بانتظام إلى تلك العنوان في (لندن) .

ولقد سافر إليه الأخير في دورة تدريبية في (روما) ، وعند منتهاها أبلغه رؤساؤه في أحد اجتماعاتهم الذي كان يختفي كل فترة من الوقت ، ثم يعود بمبالغ كبيرة ، ينفقها بمنتهى البذخ ، قبل أن يختفي مرة أخرى ، وهكذا ..

وفي قلق شديد ، قال له إنه :

أخشى أن يكون ذلك الرجل جاسوساً للموساد الإسرائيلي ، وأعتقد أنه من واجبي أن أبلغ المخابرات المصرية بشأنه ..



لزعج (فؤاد) من القائمة بشدة ، وبذل جهداً شديداً لإقناع ابنه بخطأ الأمر ، وبعدم إبلاغ المخابرات المصرية ، بحجة أن هذا ليس من شأنه ، وأنه سيقحم نفسه في مشكلات لا حصر لها هو فى غنى ..

وفي أول مناسبة ، سافر (فؤاد) إلى (روما) ، والتقى بضابط المخابرات الإسرائيلي هناك (دانيال) ، وأخبره باسم الشاب وبما لاحظه ابنه ..

ولقد أسعدت هذه العبارة رجل المخابرات الإسرائيلي بشدة ، حتى أنه منح (فؤاد) ألف وخمسمائة دولار ، مكافأة ، وطلب منه مواصلة عمله الناجح في (مصر) ..

وعندما عاد (فؤاد) إلى (مصر) ، وقابله برأفت طرفها ، للمكافأة الضخمة التي حصل عليها ، لم يكن يدرك أن رافق مقعده في الطائرة ، ذلك الجاسوس البريطاني ، الذي انهمك في قراءة رواية للكاتب (إحسان عبد القدوس) طوال الوقت ، ولم يكن سوى رجل المخابرات المصرى (حمدى) ، الذي يتولى قضيته منذ فترة ليست بالقصيرة ..

فكما كانت شقة (خالد بن الوليد) وسيلة جديدة لمزيد من التجسس ، فقد كانت أيضاً أول الخيط الذي سيلتف حول عنق الخائن في النهاية ..

فمن بين رواد تلك الشقة ، كان أحد المتعاونين مع جهاز المخابرات المصرى ، وهو أحد موظفى إحدى شركات الملاحة البحرية ، التى تتولى أعمال ميناء ( الإسكندرية ) ..

ولقد سقط ( فؤاد ) فى الفخ ، دون أن يدرى ، وراح يسأل ( ممدوح ) عن السفن السوفيتية التى تصل إلى الميناء ، وعما إذا كانت تفرغ بعض صناديق الأسلحة أم لا ..

وبمهارة تم تاريبه عليها جيدا ، منحه ( ممدوح ) بعض الأجوبة ، التى لا تشبع أو تنفع ، ثم خرج من الشقة ، ليتجه إلى مكتب المخابرات فى ( الإسكندرية ) ، ويمدهم بما لديه على الفور ..

وعندما تلقى ( حمدى ) تلك المعلومات ، راجعها مرتين ، قبل أن يقول لفريق العمل التابع له :

ـ هذا تأكيد لشكوكنا يا رجال .. الرجل جاسوس بالفعل ..

فإن هذا يعنى أن رجال المخابرات المصرية قد أيقنوا من أنهم يتعاملون مع جاسوس خطر ، بعد أن التقطت أجهزتهم رسالة عميلهم ، من خلال أشعاره المتعددة ، وخبراتهم الفنية فى التعامل مع المخابرات الإسرائيلية وعملائها ..

ولكنه لم يكن يعنى أن بإمكانهم الإيقاع به .



فهذا كان يحتاج إلى دليل مادى قوى ، ولحظة مناسبة ، يتم تنفيذها بدقة بالغة ..

وهذا بدأت مرحلة المراقبة ..

والتتبع .. وجمع الأدلة والمعلومات ..

وبعد عودته من رحلة ( روما ) ، التقى ( حمدى ) بفريق العمل ، وعرض عليهم ما جمعه من صور واضحة ، وأحاديث مسجلة ، تجمع بين ( فؤاد ) وضابط المخابرات الإسرائيلى ( دانيال ) ، ثم تراجع فى مقعده ، قائلا فى حسم :

ـ أعتقد أن العملية قد نضجت وحان قطافها أيها السادة .

تبادلوا الأمر لنصف ساعة أخرى ، قبل أن يوافقوه الرأى ، ويتم اتخاذ قرار إنهاء العملية ، وإلقاء القبض على الجاسوس ..

ورصد الحصول على التأشيرة المصرية ، وإخبار موعد مناسب للمغادرة ، ثم التسلل لشقة ( مؤمن ) ، التى أصبحت مسرحا على نحو استرعى سمعه ( فؤاد ) مذعورا ، وهو يصرخ :

ـ ماذا هناك ؟!.. من أنتم ؟!.. ماذا تفعلون هنا ؟!

واجهه ( حمدى ) فى حزم صارم ، وهو يقول :

ـ نحن من المخابرات العامة المصرية ، وأعتقد أنك تعلم جيدا ماذا نفعل هنا يا ( فؤاد ) ..



www.liilas.com/vb

وكان (فؤاد) يعلم بالفعل، فقد امتقع وجهه وشحب، وزاغت عيناه في شدة، وعجزت ساقاه عن حمله، فتهاوى جالسًا على أقرب مقعد، والتقط أنفاسه في حلقه، فراحت شهقاته تتعالى، دون أن يخرج من بينهما حرف واحد، في حين انتشر رجال المخابرات في الشقتين، لجمع الأدلة، والبحث عن كل ما يخنقهم ..

وقد كان هناك دليل قوي للغاية، يكفي وحده لإدانة (فؤاد) وإعدامه ..

ورقة تحمل بخط يده كل ما حصل عليه من معلومات في سهرة الأمس، والتي نوتها استعدادًا لإرسالها إلى مخابرات المخابرات الإسرائيلية في (لندن) ..

وانهار (فؤاد) تمامًا، وأخذ يعترف تفصيليًا لنيكه بتوقيعه، دون أدنى ضغط أو إكراه، ودموع الندم تغمر وجهه كله ..

بعد فوات الأوان ..

وتمت محاكمة (فؤاد)، وصدر الحكم بإعدامه شنقًا، بالفعل، وصدق رئيس الجمهورية على الحكم، وتم إيداع الجاسوس ليمان (طره) لتنفيذ الحكم ..

ثم حدث ما حدث ..

وتم إيقاف تنفيذ الحكم ..



وكان رجل المخابرات (حمدي) كان على حق ..

لا يمكن أن يفلت الجاسوس من العقاب أبدًا ..

فقد قدمت المخابرات المصرية كل ما لديه محامي المتهم، وانتهت إلى أن الدفع بجنونه أمر غير مقبول إطلاقًا، إذ إن ممارسته للجاسوسية على هذا النحو، تؤكد سيطرته التامة على عقله وتصرفاته، ومسئوليته الكاملة عن كل ما ارتكبه من أفعال تضر الوطن وتسيء إليه بشدة في زمن الحرب ..

وفي الثلاثين من يناير، أي بعد أسبوعين فقط، ارتفعت راية السوداء مرة أخرى على ليمان (طره) ..

وسيق الجاسوس إلى المشنقة ..

ولبس هذه المرة، تم تنفيذ حكم الإعدام، ولقي الجاسوس جزاءه العادل ..

وشعر (حمدي) بالارتياح ..

فلأول مرة، زالت تلك الرائحة ..

رائحة الخيانة ..

* * *



www.liilas.com/vb3

# زهرة السُّهر..

منذ اللحظة الأولى، التي وطئت قدماها فيها ذلك الميناء الساحر، أرضية المقهى الصغير الشهير، في ميناء (مارسيليا) الفرنسي، أدرك الشاب أنه هارب من شيء ما..

كان رائع العينين، مرتفع الأطراف، عصبي الملامح، واضح الوجه في غزارة، على الرغم من برودة الطقس في الشارع، وأصابعه المسكة بفرجة البحار بين يديه، تتحرك طوال الوقت، على نحو عجيب، وهو يتجه نحو البار مباشرة، ثم يتوقف أمامه بضع لحظات، ليمسي النقود القليلة في جيبه، قبل أن يقول:

- زجاجة بيرة فاخرة لو سمحت.

ابتسم بعض البحارة الجالسين في سخرية، وألقوا نظرات في الشاب، في حين تطلع البعض الآخر إلى الشاب في شيء من الإشفاق، وعامل البار يقول له، في صرامة قاسية:

- النقود أولاً..

كان العامل، بخبرته في هذا المجال، يخشى أن يتناول الشاب زجاجته، ثم يتضح بعدها أنه لا يملك ثمنها، إلا أن الشاب ألقى



إليه بالنقود في عصبية، ثم راح يمسي ما تبقى لديه، وهو يلتقط الزجاجة، ويتجه بها إلى أبعد وأصغر منضدة في المكان كله، وعيناه الزرقاوان مازالتا تدوران في المكان على نحو يجعله أشبه بحيوان صغير مذعور، لا يدري أين يمكن أن يذهب..

وبربع ساعة أو أقل، لم يكن أرواد المقهى الصغير من حوله، إلا عن ذلك الشاب والذي راح الكل يستنتج جنسيته ومشاغله، ثم لم يلبث الجميع أن أهملوه وتناسوه، وانشغلوا في أحاديثهم وأحاديثهم..

فيما عداها هي..

(روز) تلك المرأة الجميلة الفاتنة، التي تعرفها (مارسيليا) كلها، منذ بضع سنوات، والتي اعتادت التردد على مقاهي البحارة، المنتشرة في الميناء وحوله، لقضاء بعض الوقت والتقاط زبائنها من بين بحارة السفن الأجنبية..

وبالذات القادمة من الدول العربية..

وفي (مارسيليا) كلها، كانت تتردد رواية واحدة، عن (روز) الحسناء، التي تفتح قلبها في صباها، على حب بحار عربي شاب، خلب لبها، وأسكر حواسها، وأسمعها ليمل عبارات الحب والعشق، ومنحها أروع أيامه ولياليه..

ووفقًا للرواية اختفى البحار العربي ذات يوم ، وجن جنون ( روز ) ، وهي تبحث عنه في كل مكان ، قبل أن تكتشف الشرطة جثته ، في مخزن مهجور ..

فمع جمال ( روز ) وفتنتها ، تندفع بحار لأمر مقصور ، إلى قلب حبيبها العربي ، مدفوعًا بالحب والغيرة وغياب العقل ..

وتهارت ( روز ) وعلت على وجهها في شوارع مدينتها ، قبل أن تتخذ قرارها بالسفر إلى ( مارسيليا ) ، بحثًا عن بحار عربي آخر ، يمكن أن يعوضها عن حبيبها السابق .

وطالما استقرت ( روز ) مع قصتها ، في قلب ( مارسيليا ) ، وهي تراقب كل المقاهي ، كانت ( روز ) تراقص بحذر الشاب ضخم الجثة ، في فتور واضح حتى جلب الشاب انتباهها واهتمامها ، وخاصة مع اسم سفينته التجارية التي رست عند الميناء ، صباح اليوم المنصرم ، والمكتوب في وضوح - على القبعة التي وضعها أمامه وعلى المنضدة الصغيرة ، وهو يرتوي بزجاجة المياه الغازية في نهم ، وعيناه معلقتان بقطعة لحم كبيرة ، راح بحارة إيطاليان يلتهمونها في شراهة على المنضدة المجاورة ..

وبجرأتها وذكائها ، أدركت ( روز ) أن البحار الشاب مصري الجنسية ، وأنه يعاني من صعوبة اتخاذ قرار ما ، في تلك الفترة في أوائل سبعينات القرن العشرين .



وبيضع كلمات هامسة ، ودعابة ماجنة ، تقافزت ( روز ) من الأعالي الضخم ، واتجهت مباشرة نحو مائدة البحار الشاب ، وجلست أمامه دون استئذان ، وهي تسأله في صوت خجل طالما من الثقافة والعنفوان :

ـ تهاجع أنت ؟!..

ارتبك البحار الشاب بشدة ، وراح يلقه في ذعر ، هاتفًا :

ـ كلا .. لست جائعًا .

ولكن ( روز ) ابتسامة حانية ، قبل أن تستدعي النادل ، وتطلب منه وجبة دسمة سائغة ، وهمت الشاب برتبك أكثر ، وهو يقول :

ـ لا .. لست ..

فاطمأنه بابتسامة كبيرة ، وهي تربت على يده :

ـ اطمئن .. أنا سأدفع الحساب .

وجاء الطعام ، وارتد الشاب يضع لحظات ، ثم لم يلبث أن أقبل عليه في نهمة ، جعلتها تبتسم في ثقة ، لبراعتها في اختيار أهدافها ، وهي تراقبه في صمت ، حتى انتهى من طعامه ، ثم غمغم في خجل وارتباك :



www.liilas.com

شاكراً .. كنت أحتاج إلى هذا بالفعل .

ملأته ابتسامة ساحرة ، وهي تسأله :

ـ أنت مصري .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال في استسلام :

ـ بلى .. سأبقى زمنًا هذا الصباح ، وسأعود إلى الوطن صباح الثلاثاء القادم .. أي بعد خمسة أيام فحسب ثم تردد لحظة ، قبل أن يضيف في خلوت :

ـ ولكنني لن أعود معها .

بدا في الواضح أن عبارته الأخيرة قد جذبتها بشدة ، فقد اعتدلت في مجلسها ، وتألق بريق ما في عينيها ، وهي تسأله في حذر :

ـ وأسفًا ؟!

راح يروي لها مأساته في ( مصر ) ، وعجزه عن توفير حياة كريمة لنفسه ، ومزاج هذا بحديث سلط عن غياب الديمقراطية ، وحالة اللاسلم واللاحرب ، وارتفاع أسعار السلع الغذائية الرئيسية .

واستغرق حديثهما هذا المسار كله ، وحتى دقت الساعة ، معلنة



تمام الثانية صباحًا ، فابتسمت ( روز ) واحدة من ابتساماتها الساحرة ، وهي تقول :

ـ هل يمكنني أن أدعوك إلى الصعود أيضًا ؟!

ومرة أخرى ، تردد الشاب طويلاً ، ثم بدا وكأنه مغلوب على أمره ، وهو يتبعها في صمت إلى منزلها الصغير الأنيق ، دون أن يدري بنفسه شيئًا ، وكأنه ما أن أصبح داخل المنزل ، حتى ألقى نفسه على الأريكة إلى جواره ، وغرق في سبات عميق ..

أما ( روز ) أو ( زهرة ماريليا ) ، فقد وقفت تتطلع إليه بشيء من الحذر ، قبل أن ترفع أحد حاجبيها وتغمغم ، مستنكرة :

ـ مستحيل !

وفي هدوء ، ذهبت إلى حجرتها ، وأغلقت بابها خلفها في إحكام ، ثم انحنت لتلتقط جهاز اتصال لاسلكي ، صغيرًا بصورة لافتة للنظر ، خاص ، في قاعدة فراشها ، وراحت تبث رسالة شفرية خاصة ، إلى سفينة صغيرة ، من السفن الراسية في الميناء ، والتي تقتصر مهمتها على استقبال مثل تلك الرسائل ، وإعادة بثها ، على نحو أكثر قوة ، وبوسائل أكثر تطورًا ، إلى قلب الدولة غير العربية الوحيدة ، في الشرق الأوسط كله ..

وبعدها ، تابعت ( روز ) مليء جوانبها ..



www.liilas.com/vb3

وفي الصباح التالي ، وقبل أن تغادر حجرتها ، كان جهازها اللاسلكي يستقبل أوامر عاجلة وصارمة من ( الموساد ) الإسرائيلي ، الذي تعمل لحسابه .

لابد من تطبيق الإجراءات المعتادة ، على هذا الصيد الجديد .. فوراً ..

ولقد نفذت ( روز ) الأوامر بمنتهى الدقة ، كما اعتادت أن تفعل في كل مرة ..

فالحقيقة أن ( روز ) هذا لم يكن أبدا اسمها الحقيقي .

إنها ( جولي جولد شتاين ) ، يهودية من أصل فرنسي ، تعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية ، منذ أكثر من ستة أعوام ..

أما قصة ( روز ) وحبيبها مسعدها العربي ، فما هي إلا خدعة شهيرة لتوريط سفيها نعقد الصداقة والمداعبات ، مع بحارة السفن العربية ، وإغراء الفواعيل الساقطة منهم للتجنيد ، ولحساب ( الموساد ) الإسرائيلي .

ولقد حققت ( روز ) نجاحاً منقطع النظير ، جعل المخابرات الإسرائيلية تعتبرها واحدة من أمهر وأبرع جواسيسها في ( أوروبا ) كلها ..

ولعل براعتها تعود إلى جمالها الفتان ، وقدرتها المدهشة على استطلاع الفتان ، ومنح الحب للجميع ..



وبخاصة البحارة العرب ..

وفي ذلك الصباح ، أعدت ( روز ) لضحيتها الشاب وجبة إفطار شهية ، قبل أن تسأله في اهتمام :

ـ لماذا زلت مصراً على عدم العودة إلى ( مصر ) ؟؟

أومأ برأسه إيجابا ، وهو يقول في أسى :

ـ أي عمل هنا ، سيكون أفضل من العودة إلى ( مصر ) .

بدت الحيرة ، هامسة :

ـ ولماذا لو عادت العودة أفضل من البقاء هنا ؟؟

بدا مبهوراً ، مع رائحة أنفاسها العطرة ، وهو يلهث ، متسائلاً :

ـ وإيريد هذا ؟؟

تراجعت بجلسة مثيرة ، قائلة :

ـ هذي وسيلة مضمونة .

تطلقها ، ثم غمزت بعينها ، قبل أن تطلق ضحكة عابثة طويلة ، ظلت تتردد في أذني وقلب البحار الشاب حتى قهقه ( روز ) لصديقها ( فرانسوا ) ، الذي بدا شديد الوسامة والأناقة والسود ، وهو يصافح البحار الشاب ويسأله عن استعداده للعمل داخل ( مصر ) ، براتب جيد ، ومكافأة سخية ، مع كل عمل جيد يقوم به .



www.liilas.com

وعندما سأله الشاب عن نوع العمل ، الذى يستحق كل هذا ، ابتسم (فرانسوا) ، مجيبًا فى خبث : هذا يتوقف على مدى مهارتك أم مال نحوه ، وربت على رأسه ، مضيفًا : أكثر مما يهمنا هو أن تتميز بالكتمان ، وألا يعرف مخلوق واحد ما تلقنه من أبحاثنا .

هتف الشاب بكل حماس :

- بالتأكيد يا سيد (فرانسوا) .. بكل تأكيد .

وعلى عكس خطته السابقة ، عاد البحار الشاب إلى (مصر) ، وفى جيبه ثلاثمائة دولار ، مع مطلب واحد للوسيم (فرانسوا) ..

الحصول على أسعار الخطر والفائدة فى (مصر) ..

وبعد شهر واحد عاد الشاب إلى (جوسيفا) واستقبله (روز) لدى استقباله ، بمظهر الغيرة والنهمة ، وأخبرها أنه قد أحضر ما طلبه صديقها الوسيم ، وأضاف إليه أيضًا أسعار الحبوب ، والدجاج ، ومعلومة عن أزمة البيض ولعب المحظوظة ..

لقد ابتسم (فرانسوا) ابتسامة مهزوزة ، وهو يستمع إلى هذه المعلومات ، قبل أن يمنحه ثلاثمائة دولار أخرى فى نهاية شهرى ، ومثلها كمكافأة لما أحضره من معلومات .



ولم يقف الشاب فرحته بالنقود ، ولا دهشته لعدم تناسبها مع المعلومات البسيطة التى أحضرها ، ولكن (فرانسوا) ربت على كتفه ، قائلاً :

- ربما تكون المعلومات المطلوبة أكثر أهمية ، فى المرة القادمة .

وكان هذا صحيحًا ، ففى المرة الثانية ، كان المطلوب منه معرفة عدد السفن التجارية والحربية ، فى ميناء (الإسكندرية) ، وجنسياتها .

ولقد عاد الشاب بالمعلومة ، وأيدى سعادة أشهر بالمكافأة الجديدة ، التى أنفق نصفها على محبوبته الفاتنة (روز) ، قبل أن يعود إلى القاهرة ، مع أوامر بالسعى لمعرفة عدد مدافع الميدان حول الميناء والثوار فى (الإسكندرية) ..

وعاد البحار الشاب بالمعلومات المطلوبة ، واستقبلته (روز) فى ليسل وأمضى ليلها ، ومنحته أعذب ليالى حياته ، إلا أنه بدا صارمًا جدًا ، وهو يقول :

- المعلومات التى يطلبها (فرانسوا) أصبحت مرهقة ، وأنا أنتظر الإفراج الكثير ، من أجل الحصول عليها .

تطلعت إليه بابتسامة خبيثة ، قبل أن تقول :

- هل تريد (بدلة الشقاوة ؟!)

هتف في حدة :

- أقلن أن هذا مضحك .

أطلقت ضحكة عابثة طويلة ، قبل أن تهمس في أذنه ، وعصرها الفراغ يلهب مشاعره :

- إنه مضحك ، ولكنك تعرف اليهود .. إن يستطيعوك هذه الليلة بسهولة .

كانت أول مرة تضاجعه فيها بعفوية من يفعل لصالحهم ، لذا فقد حدق فيها بوضع لمحطات سيهوذا ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً :

- يهود أو حتى يوناليون .. عليهم أن يدفعوا جيدًا وأنا أرى هذا شيئًا مؤسفًا ، لأني أظن في وضوح أن اسمه الحقيقي هو (إفرايم) ، وأن رؤساءه مستعدون لمضاجعة الشقاوة ، لو أنه أحضر المزيد من المعلومات العسكرية والبحرية ، والتجارية أيضًا .

وبعد مساومة طويلة ، وافق الشاب على القيام بالمهمة الجديدة ..



وفي الزيارة التالية ، أحضر عومة لا بأس بها من المعلومات ، عن القطع التابعة للأسلاح البحري المصري ، التي تحمي ميناء (الإسكندرية) ..

وكانت الشقاوة سخية بحق ، حتى إن الشاب قد دعا (إفرايم) و(إزرول) إلى العشاء ، في أحد أشهر مطاعم (مرسيليا) ..

وأثناء العشاء ، فوجئ الشاب بفتاة متدثرة ، وهو يقول :

- الفرنسيون أحضروا بعض الصناديق العسكرية إلى سفينتنا صباحًا ، فمساء أمس .

جن جنون (إفرايم) وراح يبذل جهدًا خارقًا ، لمعرفة ما تحويه تلك الصناديق العسكرية ، إلا أن الشاب أكد أنه لا يعلم شيئًا عن الرسوم عنها ، وأنه لا يجيد الرسم ليطلعها إليهم ، و - و ..

وإزاء الإلحاح بالغ الأهمية والخطورة ، تشبث (إفرايم) بذراع الشاب ، وهو يقول في حدة :

- اسمع .. لابد أن أرى تلك الصناديق ، قبل أن تقلع سفينتك ، وبأي ثمن .. هل تفهم ؟!.. بأي ثمن .

نفض الشاب يده ، وهو يقول في حدة :

- مستحيل !.. لن يسمحوا بصعود غريب إلى سطح السفينة أبدًا .. مستحيل !



www.liilas.com/vb3

هذا (إبراهيم) شديد العصبية، وهو يتحدث مع (روز) بالعربية، والشاب يتطلع إليهما في بلاهة، شأن من لا يفقه حرفاً واحداً مما يقولانه، قبل أن تومئ (روز) برأسها، ثم تلتفت إلى الشاب، قائلة في هدوء:

- ألم تدعوني يوماً للذهاب في نزهتك، على سطح السفينة؟!

لوح الشاب بيده قائلاً:

- هذا الأمر يختلف.. إنهم يحتفرونها لمزرعة عائلية، و... قاطعته بابتسامة كبيرة:

- الآن... سأذهب الليلة، على سطح سفينتك...

هتف بمنتهى البهجة:

- حقاً؟!..

واتسعت ابتسامة (إبراهيم) في ارتياح..

ومع دقات الساعة، معلنة منتصف الليل، وقف (إبراهيم) يفرك يديه في توتر، وهو يراقب (روز) التي صعدت إلى سطح السفينة، واستقبلها ليمار الشاب بابتسامة كبيرة، وهو يقول:

- أخيراً يا زهرة (مارسيليا)..



ابتسمت في ثقة، قائلة:

- أخيراً يا حبيب القلب..

أمسك يدها في قوة أرهقتها، وهو يقودها إلى قمرات الإقامة، فسألته في لهفة، لم تستطع إخفاءها:

- أين الشامبانيا الفرنسية المستوردة؟!

ابتسم في خبث، قائلاً:

- إنها مخفية!!

- لماذا؟!..

- حتى إنها لم تر النور إلا مرة، بقنانه الطويلة، ومصدره المريض، وهو يتطلع إليها في فقر عجيب، جعلها تقول في حدة:

- من كان يقسط؟!

أغلق الباب للحيلولة للصوت، وهو يقول بلهجة آمرة حازمة، لم تعدها منه قط:

- من المتوقعين أن أكون؟!

لطمها بالعربية، وبطلاقة مدهشة، جعلت جسدها كله ينتفض في عنف، وهي تحدق فيه بكل ذعر الدنيا، فأمسك ذراعيها في



www.liilas.com/yb3

قوة ، وتطلع إلى عليها مباشرة ، بنظرة جعلت الدم في عروقها يغلي ، وهو يتابع :

ـ صديقك ( إفرايم ) ، الذي يراقب المكان في الخارج ، سيشاهد بعد قليل ، على الضوء الخافت ، الذين يشبهاننا ، يغادران الشقة ، ويستقلان سيارة ، تقلهما إلى خارج الميناء ، ومن المؤكد أنه سيحاول تعقبهما ، ولكنه لن يعثر عليهما أبدا .

حاولت عبثاً التملص من قبضتيه القويتين ، وهو يستطرد :

ـ لقد أوقعت الكثيرين في فخك ، حتى إنك لم تتركي أمامنا من سبيل ، سوى إزاحتك من الطريق لإنقاذ شباب بحارتنا ، من مخالبك الوردية .

هتفت في زعر :

ـ هل .. هل ستقتلونني ؟

أجابها في لهجة ، حملت رنة سخرية :

ـ لو أردنا قتلك ، لتركناك الآن جثة هامدة ، في قاع البحر .

ثم مال نحوها ، حتى خيل إليها أنها ستذوب في عينيه الصارمتين المسيطرتين ، مع إضافته :

ـ ستذهبين معنا إلى ( القاهرة ) .



مع آخر حروف كلماته ، ارتفعت صفارة السفينة ، معلنة إقلاعها في الميناء ، فانتفض جسدها بكل رعب الدنيا ، وهي تهتف مذعورة :

ـ من أنت ؟!

أجابها في صرامة :

ـ لن يهمك معرفة من أنا .. يكفي أن تعلمي أنني أنتمي إلى المخابرات العامة المصرية .

وهنا ، انهارت ( روز ) تماماً .

وفي نفس الوقت ، الذي كان فيه ( إفرايم ) يصاب بالجنون ، وهو يقلب كل شبر في ( مارسيليا ) راسماً على عقبه ، بحثاً عن ( روز ) ، كانت السفينة المصرية ترسو بها في ميناء الإسكندرية ، حيث التقطها واحدة من سيارات المخابرات المصرية ، لتضع التتمة الأخيرة والنهائية لهذه العملية ..

عملية زهرة ( مارسيليا ) ..

المسمومة .

* * *

# عملية إنقاذ

اندلعت حرب السادس من أكتوبر 1973م بدقة ، على نحو لم يتوقعه أو يتخيله العدو الإسرائيلي قط ، بفضل خطة خداع استراتيجية دقيقة ، تضافرت من أجلها جهود العديد من أجهزة الدولة ، وعلى رأسها جهاز المخابرات العامة ، الذي نفذ العشرات من العمليات المدهشة ، التي شاركت فيها عقول نابهة ، وبطولات رجاله ، وبسالة عملائه ، الذين لم يتردد أحد منهم ، ولا احتمالاً ولو ضئيلاً ، يمكن أن ينقذ منه القصير إدراك أن (مصر) لم ولن تستسلم للهزيمة والاحتلال ، وأنها هبت حتماً لاستعادة حقها ، وثأر ثأرها ، وإن طال المدى ..

وفي غفلة من العدو وعيونه ، هبت مصر ، وانقضت كعاصفة عاتية ، أو كإعصار مباغت عنيف ، لتقتلع خط (بارليف) ، الذي صانع عسكري عرفه التاريخ ، وتسحق بلا رجعة أسطورة العدو الذي لا يقهر ..

وانهزم العدو ، وانتصر جيشنا ، ورامت قواتنا تتدفق على الضفة الشرقية لقناة (السويس) ، واطلقت رصاص (مسيناء) زغروده فرحة ، وهي تستقبل جنود أصحابها وأبنائها ..



وتوالت الانتصارات ، وأدرك العالم لأول مرة أن (مصر) دولة قوية صلبة ، قادرة على المقاومة ، والقتال .. والنصر ..

ومع فرحة النصر ، ومشاعر الفخر ، خرجت جموع الشعب المصري إلى الشوارع ، إثر إعلان وقف إطلاق النار ، تهتف باسم قائدها ، وشجاعة وعبقرية رجاله ، وبسالة جنوده وأبنائه .. و ...

وفجأة ، انطلقت في وسط الجموع صرخة ، أطول من فرحة الدنيا :

ـ (ماهر) بك ..

تعالت الصرخة التي (ماهر) ، المشارك السابق في القوات المسلحة المصرية ، وأحد عملاء ورجال المخابرات المصرية ، الذين ساهموا في الحرب النفسية ضد العدو الإسرائيلي ، طوال عدة أعوام ماضية ..

واستدار (ماهر) إلى مصدرها ، ووقع بصره على صاحبتها ، الذي انطلق بالفرح نحوه ، وهو يهتف بسعادة غامرة :

ـ يا إلهي !.. كم تمنيت رؤيتك !

وظل حتى أن ابتسم (ماهر) ، الذي تعرف على صاحبة الصرخة على الفور ، لكن هذا الأخير يعانقه في حرارة ، ويصافحه بانفعال لا محدود ، ويشد على يده في قوة ، متسائلاً في اهتمام :

ـ هل تذكرني يا (ماهر) بك ؟!

التفت لبسانة (ماهر) ، وهو يقول :

- بالطبع أتذكرك يا (إبراهيم) .. كيف حالك ؟!

أطلق (إبراهيم) هذا ضحكة عالية ، تدوح بالارتياح ، قبل أن يجيب :

- أنا في خير حال .. بفضلك ، بعد الله - سبحانه وتعالى - فلولاك لكان حالي الآن غير الحال ..

غمغم (ماهر) :

- لولاي أنا ؟!

ربت (إبراهيم) على كتفه بحرارة ، قائلاً ، ومذكراً :

- لولاك ، بعد الله - سبحانه وتعالى - يا (ماهر) بك .

جذبت ملامح (ماهر) بشيء لمطلق ، قبل أن يستعيد ابتسامته ، وهو يغمغم :

- حمداً لله على سلامتك يا (إبراهيم) .

نطقها ، وعقله يستعيد ذكريات أربعة أعوام مضت ..

ذكريات أهم عشية في حياته ..

عشية إنقاذ .. (إبراهيم) ..

* * *



(إبراهيم) شاب بسيط ، من أبناء (مصر) ، الذين عاشوا مرحلة التنشئة ، وانصرت في أعماقهم حماسات جميلة ، عاشوا يتخيرون بها طويلاً ، فانسحقت معها نفوسهم ، وغيم الظلام على أحلامهم وأمانيهم ، فصاروا يتابعون أخبار العدوان ، في سنوات عصيبة عصيرة ، استقر خلالها العدو في (سيناء) ، وتكلست قناة في مياه قناة (السويس) ، وصدى ضحكاته المستكبرة تتطاير بوقاحة مستفزة على مسامع كل مصري وطني ..

وعلى الرغم من أن (إبراهيم) قد خضع للتجنيد الإجباري كغيره ، في تلك الفترة ، التي راحت (مصر) تستعد فيها لاستعادة جيشها وقوتها ، إلا أن حلم السفر والعمل في الخارج ظل يراوده ، في صحوه ومنامه ، فأمل أخير في الخروج من الأزمة ، والحصول على الحياة الكريمة ، التي تصور مضطلاً ، كغالبة من أهل (مصر) ، أن حصولها أمر مستحيل ، حتى عبور بعض من الشباب ، بزوارق من القماش ، المتعرجس في بلاعة نائي ..

والعجيب أن هذا الحلم لم يفارق (إبراهيم) لفترة طويلة ، عاش وهو يشارك رفاقه تدريباتهم ومناوراتهم ، ويستمع إلى أحاديثهم ، التي تؤكد أن أحداً منهم لن يخرج من مرحلة التجنيد الإجباري أو يتجاوزها ، إلا بعد مرور الفترة ، التي تبدو وكأنه لا خروج منها قط ..

شيء ما في أعماقه كان يؤكد له أنه سيتجاوزها يوماً ما ، على نحو أو آخر ..

ولأن ذهنه منشغل دوماً بأحلامه وأمانيه ، ارتكب ( إبراهيم ) خطأً بسيطاً ، أثناء إحدى المناورات ، مما أدى إلى إصابته بجرح ، استلزم نقله إلى أحد المستشفيات العسكرية للعلاج ..

وفي المستشفى العسكري ، جلس ( إبراهيم ) ينتظر دوره للفحص ، في صمت وصبر وسكون ، وعيناه ترقبان كل ما يحدث حوله ، كوسيلة للتسلية المريرة ، في ظروف كهذه ..

ثم وقعت عيناه على ( صبحي ) ..

شاب من أصل عربي ، ترك مهنته ودولته ، وأتى لإقليم في ( مصر ) مع زوجته ، معلناً إيمانه بأهداف وطموحات قائدها ، ومؤكداً استعداده للموت من أجلها ..

وفي ( مصر ) ، استقر ( صبحي ) ، وحاز القبول لدى بعض المسئولين ، فطلب له المقام ، وحظي بمقام رفيع ، ومنصب مستقر ، وعلاقات قوية ، بيت واضحة للغاية ، في تعاملاته داخل المستشفى العسكري ، وأسلوب حديثه مع كبار مندوبيها ومسئوليها ..

وشهد ( إبراهيم ) بوضع ( صبحي ) هذا في المستشفى ، وانبهر



بكل ما في أعماقه كان يؤكد له أنه سيتجاوزها يوماً ما ، على نحو أو آخر ..

ولأن ذهنه منشغل دوماً بأحلامه وأمانيه ، ارتكب ( إبراهيم ) خطأً بسيطاً ، أثناء إحدى المناورات ، مما أدى إلى إصابته بجرح ، استلزم نقله إلى أحد المستشفيات العسكرية للعلاج ..

وفي المستشفى العسكري ، جلس ( إبراهيم ) ينتظر دوره للفحص ، في صمت وصبر وسكون ، وعيناه ترقبان كل ما يحدث حوله ، كوسيلة للتسلية المريرة ، في ظروف كهذه ..

ثم وقعت عيناه على ( صبحي ) ..

شاب من أصل عربي ، ترك مهنته ودولته ، وأتى لإقليم في ( مصر ) مع زوجته ، معلناً إيمانه بأهداف وطموحات قائدها ، ومؤكداً استعداده للموت من أجلها ..

وفي ( مصر ) ، استقر ( صبحي ) ، وحاز القبول لدى بعض المسئولين ، فطلب له المقام ، وحظي بمقام رفيع ، ومنصب مستقر ، وعلاقات قوية ، بيت واضحة للغاية ، في تعاملاته داخل المستشفى العسكري ، وأسلوب حديثه مع كبار مندوبيها ومسئوليها ..

وشهد ( إبراهيم ) بوضع ( صبحي ) هذا في المستشفى ، وانبهر



بكل ما في أعماقه كان يؤكد له أنه سيتجاوزها يوماً ما ، على نحو أو آخر ..

ولأن ذهنه منشغل دوماً بأحلامه وأمانيه ، ارتكب ( إبراهيم ) خطأً بسيطاً ، أثناء إحدى المناورات ، مما أدى إلى إصابته بجرح ، استلزم نقله إلى أحد المستشفيات العسكرية للعلاج ..

وفي المستشفى العسكري ، جلس ( إبراهيم ) ينتظر دوره للفحص ، في صمت وصبر وسكون ، وعيناه ترقبان كل ما يحدث حوله ، كوسيلة للتسلية المريرة ، في ظروف كهذه ..

ثم وقعت عيناه على ( صبحي ) ..

شاب من أصل عربي ، ترك مهنته ودولته ، وأتى لإقليم في ( مصر ) مع زوجته ، معلناً إيمانه بأهداف وطموحات قائدها ، ومؤكداً استعداده للموت من أجلها ..

وفي ( مصر ) ، استقر ( صبحي ) ، وحاز القبول لدى بعض المسئولين ، فطلب له المقام ، وحظي بمقام رفيع ، ومنصب مستقر ، وعلاقات قوية ، بيت واضحة للغاية ، في تعاملاته داخل المستشفى العسكري ، وأسلوب حديثه مع كبار مندوبيها ومسئوليها ..

وشهد ( إبراهيم ) بوضع ( صبحي ) هذا في المستشفى ، وانبهر

ولم يضيع (إبراهيم) لحظة واحدة ..

لقد ذهب فوراً لزيارة (صبحي)، وكانه لهفة في أن يطمئن عليه حاله، وأن يجد لديه مطلبه ..

وفي منزله، استقبله (صبحي) بحرارة وترحاب كبار، ليقضي النهار (إبراهيم) إلى الظهرة، مع مرأى المنزل الفاخر، والأثاث الأنيق باهظ الثمن، والأجهزة التي لم ير لها مثيلاً، إلا في أفلام السينما الحديثة فحسب ..

ومع انبهار (إبراهيم) وخلقت فيه المشدوهة، راح (صبحي) يتحدث إليه، ويسأله عن أحواله، وأحوال وحدته، وآخر أخبار المتاورات، و ...

وفجأة، سأله (إبراهيم)، وكأنه لم يلتفت إلى وجوده إلا في هذه اللحظة:

- سيد (صبحي) .. أنك معارف في دول الخليج ؟!

صمت (صبحي) بضع لحظات، وهو يتطلع إليه، قبل أن يبتسم ابتسامة كبيرة، وهو يتراجع في مقعده، قائلاً:

- لي أخت تقيم في (الكويت)، وزوجها يمتلك تجارة كبيرة هناك.



هتف (إبراهيم) في لهفة:

- وهل .. هل يمكنك أن تجد لي عملاً لديه ؟!

ابتسمت ابتسامة (صبحي) أكثر، وهو يجيب:

- بالتأكيد.

ولم يمهل (إبراهيم) وقدر المنزل بعدها، وهو يكاد يطير فرحاً، حتى أطلق (صبحي) هذا ضحكة، عالية مجلجلة، والتقط سماعة هاتفه، مقمغماً:

- طير جديد وقع في القفص.

في الليلة نفسها، وأثر المعدة الهاتفية، استقبل (صبحي) ضيفاً آخر، في الثامنة والنصف مساءً، وصافحه في حرارة، قائلاً:

- لدينا طير جديد.

سأله ذلك الضيف الجديد (ماهر) في اهتمام:

- وما نوعه ؟!..

وابتسامة ماكرة، راح (صبحي) يشرح لضيفه (ماهر) كل ما يتعلق بذلك الشاب (إبراهيم)، قبل أن يقول في النهاية:

- وكما ترى، هو صيد ممتاز، سيسعد الأصدقاء مجيء السلام.



www.liilas.com/vb3

في العالم الحر ، وموقفه سيمكننا الكثير من المعلومات ، التي ستساعدنا على معرفة ما إذا كان المصريون يستعدون بالفعل لحرب ذرية ، أم إنهم سيستمرون لحالة الاحتلال هذه .

قال (صبحي) كل هذا ، واستخدم تلك المصطلحات ، التي ميزت عالم الجاسوسية ، في تلك الحقبة ، مطمئناً إلى أن (ماهر) يعمل إلى جواره ، لصالح المخابرات الإسرائيلية ، التي رمز إليها وهنا ، بلسم (العالم الحر) ، دون أن يخطر بباله ، ولو لحظة واحدة ، أن (ماهر) هذا يعمل لحساب جهاز مخابرات آخر تماماً ..

لحساب المخابرات العامة المصرية ..

ولقد استمع إليه (ماهر) في هدوء واهتمام ، كما علمه رجال المخابرات المصرية ، قبل أن يقول في حزم :

- أريد أن أراه أولاً ، وسأخبرك برأيي بعدها .

ضحك (صبحي) ، قائلاً :

- اطمئن .. لقد طلبت منه أن يحضر غداً مساءً ، ومعه كل أوراقه ، فهو يتصور أن لدي من الاتصالات ، ما يمكن أن يتيح له الخروج من وضعه الحالي ، والسفر للعمل في (الكويت) أو ..



أدرك (ماهر) على الفور أن (صبحي) قد ألقى شباكه بالفعل حول (إبراهيم) ، وأنه لم يعد أمامه سوى أن يلتهب مخالبه فيه ، ويطلبه في المستنقع ، الذي كاد هو نفسه يقع فيه ، لولا يقظته في اللحظة الأخيرة ، وتوجهه إلى رجال المخابرات المصرية ..

وبعد منتصف الليلة نفسها بساعة أو يزيد ، التقى (ماهر) بضابط المخابرات المصري (أ . ص) ، الذي يتابع حالته ، وأخبره بأمر (إبراهيم) ، وما بعده (صبحي) الجاسوس له ..

وبكل الحزم ، قال (أ . ص) :

- لا ندعه يقع في القبض أبداً يا (ماهر) .. امنعه من هذا بأي ثمن .. هل تفهم .. بأي ثمن .

لم تمنحه بضع لحظات ، قبل أن يضيف :

- ربما كانت سياسة بعض أجهزة المخابرات الأخرى ، هي أن تترك مثله ، حتى يسقط في المستنقع ، لتزيد من عدد انتصاراتها ، عندما تلقي القبض عليه فيما بعد ، أما نحن فسياستنا تختلف .. إننا نسعى لمنعه من السقوط ، بأية وسيلة كانت .

ووضع يده على كتفه ، مكملاً :

- إنها مهمتك .



www.liilas.com

والتقط (ماهر) الخطة، وقسم في أعماق نفسه على تنفيذها، بالأسلوب الذي حدده له (آ. س) ..

مهما كان الثمن ..

وفي زيارة (إبراهيم) الثانية، كان (ماهر) هناك، يشاركهم مجلسهم، ويتعامل مع (إبراهيم) بحذقة ويقظة وتجاهل، جعل هذا الأخير يبغضه كل البغض، ويتصور أنه يحاول منعه من السفر للعمل في (الكويت)، لأنه يغار منه، ويبغض له الخير ..

وحاول (إبراهيم) أن يجتذب ود (ماهر) بأية وسيلة، فأوى لتلك الفكرة، ولكن (ماهر) ظل عابسا في وجهه، متجهما معه، حتى انصرف الشاب، تاركا خلفه أوراقه للجاسوس (صبحي)، وهو يلعن (ماهر) في أعماقه ألف مرة ..

وبعد انصرافه، تبادل (صبحي) و(ماهر) في هدوء، عن سير تعاملاته الخطة مع (إبراهيم)، فأجابه في حزم:

إنه لا يساوي شيئاً .. كل ما لديه من معلومات، يمكنني إحضار ما هو أفضل منه ..

وصمت لحظة، قبل أن يضيف:

وبسعر أقل ..



لزاتها ضحك (صبحي) كما لم يضحك من قبل، وتصور أنه قد فهم هدف (ماهر)، من إبعاد (إبراهيم)، وقال في حماس:

- أنت على حق .. لعلنا نجتمع مكافآت كبيرة .. فتخبرهم أننا قد جندناه، وتعلمهم ما كنا سنحصل عليه من معلومات، ونربح نحن مكافأته.

شاركه (ماهر) ضحكته، وهو يشعر بارتياح عميق في أعماقه، لأن مهمته قد نجحت من الضربة الأولى ..

ولكنه لم يكتف بهذا، فما تعلمه من رجال المخابرات المصرية، جعله لا يستكين لأي نصر عاجل وسريع، لذا فقد اتصل آخر بالجاسوس (صبحي)، وحضر كل مقابلاته التالية مع (إبراهيم)، وتأكد من أنه لم يعد يوليه الاهتمام الكافي، فأخذ يأس الشاب، وانصرف تماماً، وهو يبغض (ماهر) أشد البغض ..

ثم قرر رجال المخابرات العامة إنهاء قضية الجاسوس (صبحي)، وتم إلقاء القبض عليه، في مارس 1969م ..

وفي التاسع والعشرين من إبريل، من العام نفسه، نشرت الصحف تفاصيل إلقاء القبض على الجاسوس (صبحي)، ونشرت صورته، وصورة (ماهر)، ودوره في العملية، التي لعب فيها



www.liilas.com/vb3

دور الجاسوس المزدوج ، ليبدع المخابرات الإسرائيلية وجاسوسها ، ويوقع الجميع في النهاية ..

وقرأ ( إبراهيم ) الصحف ، وشاهد الصور ..

ووقع قلبه بين ضلوعه ..

لمحتها فقط فهم ( إبراهيم ) ما الذي كان يفعله ( ماهر ) ، عندما كان يتعامل معه بكل الفظاظة والخشونة والصلف ، أثناء زيارته للجاسوس ( سيمحي ) ..

لمحتها فقط ، فرك أنه قد منعه من السقوط في صديقع رهيب ، لو دفع فيه قدميه ، لتصدرت الصحف صورته ، إلى جوار صورة ( سيمحي ) ، في ذلك اليوم ..

وتحولت مشاعره في لحظة واحدة ، تجاه ( ماهر ) ، من البغض إلى التقدير ، بل التقدير ..

- « لقد أنقذت حياتي وستظل يا ( ماهر ) بك ... »

انتزعت عبارة ( إبراهيم ) ( ماهر ) من أفكاره وذكرياته ، فاستعاد ابتسامته ، وهو يربّت على كتف ( إبراهيم ) ، قائلاً :

- لم أكن وحدي يا ( إبراهيم ) .



هتف ( إبراهيم ) في حرارة :

- أعلم هذا يا ( ماهر ) بك .. أعلم هذا ..

ثم عاد يعانقه ، ليهمس في أذنه :

- أبلغهم تحياتي .. وشكري أيضاً .. شكري الجارف ..

ابتسم ( ماهر ) مرة أخرى ، قائلاً :

- سأفعل ..

مرة أخرى ، تصافحا ، وافترقا وسط الجموع ، التي تحتفل بانتصار ، و( ماهر ) يشعر بالسعادة والفخر ، والزهو بالنفس ، لأنه شارك يوماً في تلك العملية ، التي ما زال يعتبرها أهم عملية في حياته ..

عملية واحدة .. مواطن مصري ..

* * *



www.liilas.com/vb3

# عملية عيد الميلاد

« الجنرال (بن عنتار) يقيم حفلاً، بمناسبة عيد ميلاده ... »

هذا الخبر، الذي يناسب صفحة الاجتماعيات، في جريدة (جيروسالم بوست)، كان مضمون البرقية الشفرية العاجلة، التي وصلت إلى المخابرات العامة المصرية، في تلك الساعة المبكرة، من صباح أحد أيام شتاء 1972م ..

وعلى الرغم من أن مضمون البرقية كان مباشراً للغاية، ولا ينطوي على أية مضامين خفية، إلا أن رجل المخابرات المصري (أحمد) استقبلها باهتمام بالغ، جعله يواصل التطلع إليها لخمس دقائق كاملة، قبل أن يضعها على سطح مكتبه، ويتراجع في مقعده، مشيحاً ببصره مدة طويلة لنافذة ..

فلي تلك الفترة، كان (أحمد) واحداً من المعدودين، الذين يعلمون أن الحرب على الأبواب، على الرغم من كل ما تبذله الدولة، وما تخطط له هيئة الأمن القومي، للإيحاء بالعكس تماماً، وبأن القيادة السياسية والعسكرية تخشى الدخول في حرب خاسرة مع العدو الإسرائيلي، وتستكين لأمر لعالة اللاسلم واللاحرب، التي سادت المنطقة منذ عام أو عامين ..



وأن الركيزة الأولى لأية مواجهة عسكرية هي المعلومات، لقد كان (أحمد) جزءاً من فريق خاص عهدت إليه مهمة جمع كل المعلومات الممكنة عن العدو، عسكرياً، واقتصادياً، وحتى اجتماعياً قبل موعد المواجهة الشاملة ..

ولقد بذل الرجال قصارى جهدهم بحق ..

ولأنهم عملوا بكل جد وجهد، فقد حصلوا على قبطن من المعلومات المهمة، عن الجيش الإسرائيلي، وتسليحه، وخطط (بارليف)، وتحصيناته، وجنرالاته ..

فيما عدا الجنرال (بن عنتار) ..

فعلى عكس باقي جنرالات (إسرائيل)، الذين سارعوا بمصر انتصارهم في يوليو 1967م، وانتفخت أوداجهم، وأجسادهم، وملأ مشاعر الزهو والغرور في أعماقهم، وصدقوا أكذوبة جيشهم الأسطوري، الذي لا يقهر، كان (بن عنتار) ما زال واقفاً على أرض الواقع، مدركاً أن انتصار يوليو 1967م هذا لا يمكن أن يتكرر قط، وأن العرب لن يستسلموا أبداً لمشاعر الهزيمة والعار، والحرب آتية لا ريب، طال الوقت أم قصر ..

ومن هذا المنطلق، كان الرجل شديد الجدية والالتزام والحذر، لا يتحدث عن عمله خارج مكتبه قط، ويراجع أوراق كل من



www.dvd4arab.com

يعمل في إدارته بنفسه ، ويمتلهي الدقة والانضباط ويستبعد فورا كل من تراوده بشأنه ذرة من الشك ..

ذرة واحدة ..

ولأن الجنرال (بن عصناي) كان مسئولاً عن قطاع شديد الأهمية والخطورة ، في المرحلة الحالية بالذات ، ألا وهو قطاع الأمن والاستطلاع ، في قلب (سيناء) المحتلة ..

وحتى تكتمل المعلومات ، كان من المحتم اختراق قطاع الجنرال (بن عصناي) هذا ..

وبأي ثمن ..

وطوال ستة أشهر كاملة ، لم تنجح أية محاولة لاختراق حاجز المعلومات ، الذي صنعه الرجل حول نفسه ، بشدة حذره وشكوكه ..

ولكن رجال المخابرات المصرية لا يستسلمون أبدا ، ولا يؤمنون حتى بكلمة مستحيل ..

لذا فقد واصلوا المحاولة ، بمنتهى الإصرار والتحدي ، وتم إسناد المهمة للسيد (أمجد) ، باعتباره واحدا من أذكى وأبرع رجال الجهاز ، في تلك الفترة ، وكان هو خيرة في التعامل مع جرائم (إسرائيل) ..

وبعد أن حصل (أمجد) على ملف الجنرال (بن عصناي) كله إلى مكتبه ، وراح يدرس كل حرف فيه لساعات طوال .. بتأنية ..



ثماني عشرة ساعة كاملة ، قضاها (أمجد) في حجرته ، يدرس الجنرال (بن عصناي) ، وعاداته ، وطباعه ، وتاريخه ، وكل ذرة من حياته وعمله ..

ومع مطلع الفجر ، أدرك (أمجد) أن ما يقرأه صحيح ..

الجنرال (بن عصناي) مثلي بحق ..

ومع رشفات فنجان من القهوة المركزة ، بعد صلاة الفجر ، راح (أمجد) يعيد دراسة الموقف كله من منظور جديد ، يعتمد على مبدأين ، يؤمن بهما بكل ذرة في كيانه ..

أولهما أنه لا وجود للمستحيل ، لأن كل شخص ، مهما بلغت مناعته وقوته ، لديه حتما ثغرة ما ، أو نقطة ضعف خفية ، يمكن التسلل إليه عبرها ..

وثانيهما أنه عندما يتعذر الاقتحام على الخصم مباشرة ، لابد من الدوران حوله ، والهجوم من محور غير مباشر ..

وعلى الرغم من إرهاقه ، وعليه الذين تقاتلان في استماتة للبقاء مفتوحتين ، في العاشرة والربع صباحا ، وضع (أمجد) يده على نقطة ضعف الجنرال (بن عصناي) غير المباشرة ..

زوجته (أديلا) ..

فالصحيح أن (بن عطاي) رجل قوي مثير ، إلا أن (أشليلا) مجرد امرأة إسرائيلية عادية ، عاصفة إلى المسيحية في تلك الليلة ، التي توقل فيه زوجات الجنرالات الأخريات ، بعد انتصار يوانو ، وأوسعة النصر ، التي تتلألأ صدور أزيائهم الرسمية ..

كان هذا في منتصف عام 1973م ، عندما تجتمع (أمجد) بالرجل العمل التابع له ، بعد ثلاث ساعات قضيب من النوم العميق ، وداع يشرح لهم خطته بكل التفاصيل ..

وبمنتهى الدقة ..

والمضاد ، لم تكن خطة تقليدية على الإطلاق ، كما أنها كانت تعتمد على تجنيد جاسوس آخر ..

جاسوس لم يكن من الممكن أن يخطر ببال أي مخلوق قط ..

وفي اليوم التالي مباشرة ، بدأ تنفيذ الخطة ..

بدأت بالسيطرة على (كيتي) ، زوجة جنرال إسرائيلي آخر ، يتمتع بنفوذ قوي ، داخل مجلس قيادة الجيش هناك ، وبصلات متينة مع كبار المسئولين العسكريين والسياسيين في (إسرائيل) ..

وعلى الرغم من منصب زوجها ، كانت (كيتي) امرأة عابثة مستهترة ، تميل إلى التظاهر والتباهي ، وترتبط سراً بعلاقة غرامية ،



مع ضابط شاب وسيم ، يتولى منصباً إدارياً بسيطاً ، في الإدارة التابعة لزوجها ..

والجزء الأخير كان سرياً للغاية ، لو هذا تصورت (كيتي) ، التي لم تلتق بصديقها قط في أماكن عامة ، أو تبدي أي اهتمام خاص به ، في أية مناسبة تجمعهما ، حرصاً على مظهرها ، وخشية رد فعل زوجها العنيف ، وسلطاته الواسعة ..

وذات يوم ، سافر الزوج في مهمة خاصة ، تتفقد استحكامات خط (بارليف) الجديدة مع فريق من المساعدين وقيادات الجيش ، فاستهوت (كيتي) الفرصة ، لقضاء اليوم كله مع صديقها الشاب ..

وعندما غادرت (كيتي) في المساء تلك المنازل ، الذي يستأجره صديقها ، في ضواحي (تل أبيب) ، والذي لم يغادره إليه أو بغادره معها أبداً ، وجدت سيارة فرنسية كبيرة الحجم إلى سيارتها ، وتلقى حارسها الصغير على مقعدها في لا مبالاة ، وشعرها الأشقر الطويل يسدل على كتفيها بلا نظام ، فأشارت لها بيدها في صرامة ، قائلة :

ـ ابتعدي عن سيارتي ..

رمقتها الفرنسية بنظرة لا مبالية ، ثم التقطت حقيبتها في يده مستقل ، واتجهت لتلتقط منها مظروفاً أصفر ، اعتادت وعبر

تناولته للإسرائيلية ، فتلقفته في لهفة هادئة ، تجمع نيرانها بين الأمر والحزم ، وبلغة عبرية ذات لكنة فرنسية واضحة :

- ستجدين رقم الهاتف بالداخل .

وقبل حتى أن تكتمل العبارة ، كانت الفرنسية قد تركت المظروف بين أصابع (كيتي) ، وانطلقت مبتعدة بخطوات سريعة ، فهتفت بها (كيتي) ، في مزيج من الدهشة والاستنكار :

- وما شأني بهذا ؟!

ثم بدا حتى أن الفرنسية قد سمعتها ، وهي تنحرف في شارع جانبي صغير ، وتختفي عن نظرها تمامًا ، ولآخر مرة ..

ولدهشة ، فكرت (كيتي) فيما إن تتبع المظروف جانبًا ، وتمضي في طريقها ، إلا أنها لمحت بطرف عينيها اسمها على المظروف ..

نعم اسم (كيتي) ، الذي يناديها به زوجها والأصدقاء ، ولكن اسمها الحقيقي .. وبالكامل .

وبكل دهشتها حدقت (كيتي) في المظروف ، ثم فتحته بأصابع مرتجفة مترددة ، و ...

وكانت الصدمة قوية .. وعنيفة .. للغاية ..



فالمظروف كان يحوي مجموعة من الصور ، التي تجمعها بصديقها الضابط الشاب ، في جلساتهما الخاصة ، في ملابسات عديدة ، وبينها صور لقائهما الذي انتهى منذ دقائق معدودة ..

وانتابت نفس (كيتي) مرعب لا حدود له ، وانطلقت محاولة البحث عن تلك الفرنسية بلا جدوى ، وفكرت في العودة إلى صديقها الشاب ، وإبلاغه ما حدث ، إلا أنها خشيت أن يصيبه الرعب ، فيقدم على حماقة تندم عليها معًا ، فانطلقت بسيارتها عائدة إلى منزلها ، ولم تكد تُغلق باب حجرتها على نفسها ، حتى التقطت هاتفها ، واتصلت بالرقم المدون على الورقة الصغيرة ، التي وجدتها مع الصور ..

كانت تتوقع أن تجيبها تلك الفرنسية ، لذا فقد اندهشت وارتبكت ، عندما أجابها صوت رجالي خشن ، تحمل عبريته لكنة ألمانية ، فقالت في عصبية :

- معذرة .. لقد تصورت أن ..

قاطعها الرجل في صرامة :

- الاتصال صحيح يا (كاتالينا) .

والعجيب أن كيانها كله قد انهار دفعة واحدة ، عند هذه اللحظة ، واستمعت إلى أوامر الرجل في استسلام تام ، لقد خضعوها للأمر ، واستعدادها للقيام بكل ما يطلب منها مهما كان ..



www.liilas.com/vb3

وفي ظهر اليوم التالي ، التقت (كيتي) بالرجل ، في دار سينما صغيرة في (تل أبيب) .. وكانت هذه هي البداية بالنسبة لها ..

وبالنسبة لخطة (أمجد) المغربية أيضًا ..

ولقد استغرقت مرحلة إعداد (كيتي) ، والتيقن من ولائها شهرين كاملين ، تصوّرت هي خلالهما ، أن المهمة التي يعهدونها لها ، هي جلب أسرار زوجها وعمله ، باعتباره جنرالاً مهمًا في القيادة الإسرائيلية ، لذا فقد فوجئت بحق ، عندما أفرشت في نهاية المدة ، أن كل المطلوب منها هو أن ترتبط بصداقة وثيقة مع (أنابيلا) زوجة الجنرال (بن عنتار) ..

ولم تفهم (كيتي) الغرض من صداقة جهنم ، ولم يكن من المفترض لها أن تفهم ، وإنما أن تطيع الأوامر فحسب ، وأن تؤدي الأمور بالأسلوب الذي تدربت عليه ، بمنتهى الدقة والبراعة ، وإلا فسيتم إرسال نسخة من الصور والوثائق إلى زوجها ، ونشر بعضها في صحف الفضائح الإسرائيلية أيضًا ..

وأن (كيتي) لم تفهم أبدًا الغرض مما ستفعله ، فقد أقدمت عليه بكل اهتمامها ، ونفّذت ما تدرّبت عليه بانضباط ..

ومن الواضح أن بعض خبراء علم النفس قد ساهموا في وضع خطة التدريبات هذه ، فلم تمض عدة أشهر ، حتى كانت



(كيتي) هي الصديقة الصدوق للزوجة (بن عنتار) ، التي لا تفارقها قط ، ولا تبخل عليها بالنصح أبدًا ..

والواقع أن (أنابيلا) المقلة محدودة الذكاء ، قد انبهرت بشخصية (كيتي) وأسلوبها حتى إنها أسبغت فعليًا في موضع الثقة واليقين الصديقة ، وأصبحت (كيتي) هي المرآة الذي يوجه مشاعرها وتصرفاتها على نحو أفضل حتى مما علمت به المخابرات المصرية ..

وكان الضحية هو الجنرال (بن عنتار) نفسه ..

فلأول مرة في حياتها ، يحدث (أنابيلا) تعترض ، وترفض ، وتغضب ، وتصرّ على أن تحيا في نفس المستوى الاجتماعي ، الذي تحيا فيه زوجات الجنرالات الآخرين ..

وفي البداية ، تجاهل (بن عنتار) أسلوبها وغضبها ، بشخصيته العسكرية القاسية ، ولكن تصالح وتوجيهات (كيتي) ، التي استطاعت إيقاعها المخابرات المصرية ، أحالت حياة الرجل إلى جحيم ، كاد يفقده صوابه ، ويفسد حياته كلها ، دون أن يدرك السبب الحقيقي لهذا ، بسبب أن زوجته لم تخبره قط بشأن (كيتي) ، ولم تستقبلها في منزلها أبدًا ، في غيابه أو وجوده ..

وإنه ما من رجل يمكن أن يحتمل هذه الحياة طويلاً ، وافق (بن عنتار) أخيرًا على أن تقيم له زوجته حفل عيد ميلاد ، في منزلهما الأنيق في (تل أبيب) ..

وجنّ جنون (أنابيلا) من شدة الفرح والسعادة، وأسرعت تزف خبر انتصارها إلى صديقتها (غيتي)، التي سألتها في اهتمام:

- وهل لديك من يتولّى أمر حفل كهذا ؟!..

أبدت (أنابيلا) دهشتها وحيرتها بهذا السؤال، وحاولت إقناع (غيتي) بأنها قادرة وحدها على تولّي الأمر، ولكن (غيتي) استنكرت هذا واستهجنته تمامًا، ثم أعطتها رقم هاتف شركة متخصصة في مثل هذه الأمور، وأخبرتها بضرورة ضم ذات معنى، أنها ستوصيهم بتقديم أفضل الخدمات لها ..

وكان الجنرال (بن عمتاي) رجل شديد الحذر، فقد جمع بعض التحريات عن تلك الشركة وتأكد من سلامتها أمنيًا، قبل أن يسمح لزوجته بالاتصال بها، وإسناد أمر تنظيم الحفل إليها، بشرط تحديد أسماء كل من سيدخل المنزل منهم أولاً ..

والمدهش أن خطة (أنجيد) كانت تتوقع تلك الإجراء، وتستعد له منذ زمن طويل ..

ففي نفس الوقت، الذي تم تجنيد (غيتي) فيه، التحق شاب بسيط المظهر بتلك الشركة، المتخصصة في إقامة المعارض والحفلات، بتوصية من شركة سياحية شهيرة في (تل أبيب)،



وأبدى ذكاءً ملحوظًا في هذا المضمار، مما قرّبه من مديري الشركة ومكّنه من التعرف على أسرارها التنظيمية، التي أغرمت به تمامًا ..

وكان إقامة حفل عيد ميلاد جنرال إسرائيلي كبير، كان أمرًا مهمًا للشركة كثيرًا، فقد تم إسناد مهمة تنظيمه إلى الشاب، باعتباره خبيرًا في مثل هذه الأمور، كما أكدت الوصية (ماجي كورز) للسياحة، ولما أتيت خلال شهور عمله بالمكان ..

وكان ذلك الشاب كان أحد أهم العملاء المستترين للمخابرات المصرية، في تل أبيب، فقد كان مكلفًا الأمني تظيفًا تمامًا، عن نجاح الطمأن معه جهاز التحريات الأمني، الخاص بالجنرال (بن عمتاي)، ووافق على دخوله منزل هذا الأخير ..

وفي الأسبوع الأول من يناير 1973م، أقيم حفل عيد ميلاد الجنرال (بن عمتاي) في منزل هذا الأخير ..

وكان الحفل كان يضمّ عددًا من كبار قادة العسكريين، ورجال الصفوة في المجتمع، وبعض السياسيين اللامعين، فقد انتشر رجال الأمن في المكان، وقاموا بتفتيش كل رجال الشركة، والتأكد من أنهم لا يحملون أية أغراض مريبة، قبل السماح لهم بدخول منزل (بن عمتاي)، الذي بدا أثر الوسيع عصبية وتوترًا، ربما لأنها المرة الأولى، التي يستقبل فيها ضيوفًا رسميين في

منزله ، أو ربما لأنها أول مرة يستقبل فيها ضيوفًا ، على أى مستوى .. وأخذ هذا الشاب هادئًا باسمًا بسيطًا ، أثناء عمليات التفتيش ، ولم يكن يحمل سوى دفتر ورقى بسيط ، وقلم من الحبر ، باعتباره المشرف العام على تقييم الحفل ، والمسئول عن متابعة كل أفراد الفرقة خلاله ..

وظل هذا الشاب أشبه بشعلة من النشاط يطوف ، وهو يتحرك فى كل مكان ، ويتابع كل شىء وكل شخص ، وبدون ملاحظاته هنا وهناك ، حتى إن أحد رجال الأعمال المدعوين قد همس فى أذن (ابن عصفان) بالهمس :

ـ قل لى .. هل تعتقد أنه باستطاعتى إقناع هذا الشاب بالعمل فى شركتى ..

وحاول (ابن عصفان) أن يبتسم ، وهو يهز رأسه بعبارة غير مفهومة ، محاولاً السيطرة على عصبيته الزائدة ، ومتمتمًا فى أعماقه على ألا يثور هذا الحفل أبدًا ، مدى الحياة ..

ثم حانت لحظة إطفاء شموع كعكة عيد الميلاد ، وتابع الشاب المواقف بنفسه ، وبمنتهى الاهتمام ، ثم أشار إلى رجاله ، فأطفئت أنوار المنزل ، وبدءوا فى إنشاد أغنية أمريكية طويلة ، قبل إطفاء الشموع ..



وكان الغناء جميلاً ورائعًا إلى حد الإبهار ، حتى إنه جذب الضيوف ، بما فيهم رجال الأمن والحراسة ، وجعلهم لا يلتفتون إلى طول الأغنية ، ولا إلى انتقاء الشاب فى قلب الظلام ، والذى دام لخمس دقائق تامة ، قبل أن ينتهى الغناء ، ويضئ الفنارق (ابن عصفان) شموع عيد ميلاده ، وتعود الأضواء للسطوع مرة أخرى ..

ومع عودة الأضواء ، ظهر الشاب مرة أخرى ، ليتابع كل شىء بمنتهى الاهتمام والنشاط .. وكأنه لم يبعد بدون ملاحظاته ..

بل ولم يتوقف قلبها بعدها مرة واحدة ، لأن الظلام قد فقد تأثيره من الوجهة النفسية ، ولم يعد عاملاً للعمل على نحو عادى ..

وفى نهاية الحفل ، تنفس (ابن عصفان) الصعداء ، وشعرت (أميرة) بدفء سعادة غامرة ، وهى تتلقى التهنئة من زوجات الضيوف ، اللاتى لم يستطعن إخفاء حسدهن ، واللاتى تساءلن المسئول عن أمر الشاب ونسرعته ، وراقبن هو تلقيها ، للاتصال بها عند إقامة أى حفل منزلى ..

وفى ساعة متأخرة من الليل تلقى (أميرة) برقية شكر عاطفية من (آل أيوب) ، تحوى عبارة واحدة مقتضبة :

ـ كل سنة وأنت طيب ..

وانعض (أميرة) عليه ، وهو يبتسم فى ارتياح جارف ، فالعبارة



www.liilas.com/vb3

كانت تعني أن عملية دس أجهزة التنصت ، في مقبرة الجنرال ( بن عمناي ) الشخصية قد تمت بنجاح ، وهذا يعني أنه ، ومن الآن فصاعدا ، ستلتقط المخابرات المصرية كل همسة تدور داخل مكتب مسئول الأمن والاستطلاع الإسرائيلي في ( سيناء ) المحتلة ..

وهذا ما كان بالفعل ، حتى لحظة اندلاع حرب أكتوبر 1973م ..

لقد صنعت المخابرات المصرية قناة اتصال ومعلومات مباشرة ، مع مكتب أمن ( سيناء ) ، في القيادة الإسرائيلية نفسها ..

وحصلت على قبطي جديد من المعلومات بعملية لم يذكرها أو يتصورها الإسرائيليون ربما حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

عملية عيد ميلاد ..

للنصر ..

* * *



## كلمة السر .. شالوم

الطلقت دقات الساعة ، تعلن تمام منتصف ليلة آخر أيام عام 1972م ، في ( القاهرة ) ، وراحت عقاربها ترحف في شقف نحو الدقيقة الأولى في عام 1973م ، وسط حالة من الترح المصطنع ، تكلل من أسر على الاحتفال بقدوم عام جديد ، على الرغم من لطم الإضاءة المتحفظة ، للون الأزرق الذي يغطي زجاج النوافذ ، والأعصاب المشدودة ، التي خرجت على الفور من لخشية المعهية عارمة ، لجتاحت معظم شباب وطلاب ( مصر ) ، اعتراضا على لحالة اللاسلم واللاحرب ، واستنكارا للهدوء العجيب ، الذي تتعامل بها القيادة السياسية ، وجزء كبير من أرض الوطن يرزح تحت نير الاحتلال الإسرائيلي ..

ولأن المصريين شعب عجيب ، يصعب على أية عقلية أجنبية فهمه ، فقد خرج الناس من كل هذا ، أو انتزعوا أنفسهم منه ، ليمتطفوا لحظات من الاحتفال والترح ، تجعلك تتصور أن أحدا لا يبالي بذلك التوتر الدائم على الحدود ..

وبالنسبة للنظرة العامة ، كان الأمر يوحي بأن الكل يحتفلون ، خلف الأبواب المغلقة ، والشوارع الخالية ، وأصوات الموسيقى المرتفعة ، التي تتسلل من وراء النوافذ الزرقاء ..



www.liilas.com/vb3

ولكن هناك .. في ميلى المغامرات العظمة ، كان الرجال يجتمعون ، لسبب مختلف تماما ..

فمنذ عام كامل على الأقل بلغتهم أخبار عن نظام دفاعي جديد وخطير ، يقيمه الإسرائيليون بطول قناة ( السويس ) لصد أية محاولة مصرية للعبور ، أو بلوغ خط ( بارليف ) ، الذى اعتبروه أقوى خط دفاعي عرفه التاريخ ..

وعلى الرغم من أن المعلومة وصلت من مصدر موثوق به بالغاية ، فإن طبيعة العمل في هذا المضمار ، كانت تحتم التيقن من صحة الخبر تماما ، قبل اتخاذ أية إجراءات بشأنه ..

وخلال تلك العام ، انطلق الرجال يعملون كخيش متكامل في بقاع الأرض ، لجمع كل المعلومات الممكنة ، عن ذلك الخبر الهام الخطورة ..

وذلك الأمر يتلخص ..

الإسرائيليون أقاموا شبكة من الأنابيب بطول قناة ( السويس ) ، مهمتها أن تضخ مادة مشتعلة على سطح القناة ، فور إقدام المصريين على أية محاولة عبور ، بحيث يتحول الأمر في لحظات إلى جحيم ..

جحيم حقيقي ..



ولأن المقاومة أخطر مما يمكن تصوره ، ونتائجها تبدو مذهلة بحق ، كان على الرجال أن يواصلوا الجهد بلا هوادة ، للحصول على أجوبة شافية لعدد من الأسئلة المهمة ، التي تطرح نفسها بإلحاح طبيعي للموقف ..

كيف سيتم ضخ تلك المادة ؟!

ما مواقع الأنابيب ، وقطعاتها بطول القناة ؟!

وأخيرا ، وهو الأهم ، ما طبيعة المادة المستخدمة في ذلك الخط النازي الرهيب ؟!

وعلى الرغم من أن الأسئلة ، التي بلغت ضبطي المشار إليه ، والتي تضمنت بعض الأسود باللغة العبرية ، والتي لا يزال من المستحيل للشرطة تحليل سوى سطرة واحدة في محضر الاجتماع ، فإن الإجابة عليها تعتبر جهدا كاملا ..

هذا قام الرجال خلاله بأعمال بطولية ، وتضحيات مذهلة ، في سبيل الحصول على كل الأجوبة الممكنة ..

عميل للمخابرات المصرية في (فرنسا) تمكن بمغامرة مدهشة من الحصول على تصميمات المنشآت الخاصة الخاصة ، التي يستخدمها الإسرائيليون في خط اللهب ..



www.liilas.com/vb3

وعميل آخر ، داخل (تل أبيب) نفسها ، حصل على قائمة بأسماء المهندسين ، الذين صمموا ونفذوا شبكة الأنابيب بطول القناة ..

وسكرتيرة عسكرية ، إسرائيلية الجنسية ، من أصل بولندي ، تعمل لحساب المخابرات المصرية في قلب مركز المعلومات ، تسللت خريطة الشبكة لذلك ، وأرسلتها إلى (مصر) من خلال واحد من أخطر عملائنا في (إسرائيل) ..

وبقيت مشكلة بالغة الخطورة ..

وسؤال لابد من إجابته ، لتصبح كل الأجوبة الأخرى ذات معنى ومغزى ..

ما طبيعة المادة المستخدمة ؟!

ومن أجل هذا السؤال بالذات اجتمع الرجال ، في الدقائق الأولى في عام 1973م ..

كانت كل المعلومات الواردة تقول إن تلك المادة عبارة عن خليط من (الدايلم) و (الفسفور) ، وعدد من العناصر الأخرى ، التي يحتفظ الإسرائيليون بأسمائها وتركيبها سراً ، ويحيطونها بأكبر قدر من التحفظ والحماية ، داخل أحد مصانعهم العسكرية ، في صحراء النقب ..



ولأنه من الضروري إجراء تجربة عملية حول تأثير إطلاق تلك المادة على مياه القناة ، في لحظة العبور ، كان من المحتم أن نحصل على ذلك التركيب السري ..

أو - وهذا هو الأفضل ، والأكثر خطورة - أن نحصل على عينة من المادة نفسها ..

وعندما التقى الرجال حول مائدة الاجتماعات ، كان الجواب الوحيد ، الذي توحي به كل الحقائق هو كلمة واحدة ..

قانبة (مستحيل) !!

وإذا المصنع ، الذي يحوي مادة خط النهب ، مقام في مكان معزول تقريباً ، ويحاط بحراسة بالغة مشددة ، وإجراءات أمن بالغة الدقة والتعقيد ، وكل العاملين فيه من القادمين ، الذين زوجت ملفاتهم أقدم مرة وتم إتلاف بما لا يدع مجالاً للشك من أنهم أهل ثقة ، في مواقع كهذه ..

وفي كل مرة ، عندما يغادر العاملون المصنع في إجازاتهم الأسبوعية المحدودة ، يتم تفتيشهم بمنتهى الدقة ، كما يخضعون لمراجعة أكثر دقة ، قبل السماح لهم بدخول المصنع عند العودة ..

وهذا يعني أن الإسرائيليين لم يتركوا ثغرة لثغرة واحدة ..

فما بالك بعميل للمصريين ؟!!



www.liilas.com/vb3

وكان الرجال في (القاهرة) كان لديهم ميدان ، يؤمنون بهما ويتعاملون من خلالهما بمنتهى الثقة والحزم .. والحسم أيضا ..

قال جهاز أمن ، مهما بلغ دقته ، يحتوي حتما ثغرة ما ..

والأهم أنه - كما قال (نابليون) يوما - لا يوجد مستحيل !..

لذا كان على الرجال أن يحصروا عقولهم ، ويستعيدوا كل خبراتهم ، للبحث عن تلك الثغرة ، التي لا تبدو للفاحص العادي ..

ولأن طبيعة عمل المشاورات تؤمن تماما بالفكر الجماعي ، فلقد راح الرجال يراجعون معا كل المعلومات المتاحة والتي واردة عن مصنع الثقب ، ونظمه الأمنية ، وأنظمة حراسته ، وبطاقات العاملين فيه ..

كل شيء .. بلا استثناء ..

وراح الوقت يمضي .. ويمضي .. ويمضي ، حتى أشرقت شمس أول أيام العام الجديد ، والرجال يحتسون أقداح القهوة السابع ، ويواصلون مراجعة الملفات والمعلومات ، والبحث عن تلك الثغرة المحتملة ..

وفي إرهاق شديد تثاءب أحدهم ، وحاول أن يبتسم وهو يغمغم :

- لو أنني أعلم أننا سنستغرق كل هذا الوقت لأحضرت دواء السعال معي أمس ..



ابتلع رامسيه تأسي الابتسامة المرغمة ، وهو يقول شيئا ما ، ولكن لحساء العقد عاوياء ، واقترب أبي ملاحظه علامات التقدير تعلو ، على نحو آثار عيون الجميع إليه ، وعيون القلوب في صدورهم ، ورجل قلوبهم تخفق في قوة ، حتى تأكدت عيناه ، وهو يستعيد ابتسامته ، التي زايلها الارهاق ، وصارت كالشمس إشراقا ، مع قوله :

- لقد كنت قد عثرت على الثغرة !

سأله أحدهم في لهفة :

- أية ثغرة تتعلق بمصنع الثقب ؟!

هز رامسيه رأسه نفيا ، واتسعت ابتسامته آثار ، وهو يجيب :

- بل تتعلق بحلة ..

وفي حلة البرة ، للشرطة ومطاردة ، وقد حاول .. أطول يقاس ..

(دان ميلوسكي) رئيس العمال في مصنع الثقب ، يبدو من الوهلة الأولى وكأنه رجل لا يطيق من أية لحظة ضعف بشرية على الإطلاق .. فهو ضخم الجثة ، مفتول العضلات ، قوي الملامح ، ورث عن والده اليهودي تلك القسمات الحادة والشارب الكث ، وعن أمه البيرونية عينيها السوداوين العازمتين البارزتين ..



www.liilas.com/vb3

وفي حياته العامة ، لم يكن (ميلوسلفي) سفيرًا أو مفاوضًا . وليست له أية علاقات نسائية على الإطلاق .. بل إنه حتى لم يتزوج ، على الرغم من أنه يمتلك شقة أنيقة في الضواحي ، وله راتب جيد إلى حد كبير ، ومنصب يحسده عليه الكثيرون ، ممن لم يتلقوا حظًا كافيًا من التعليم ..

ومنذ التحاق بالعمل في مصنع اللقب ، تسير حياته على وتيرة واحدة لا تتغير ، فهو يقضي أسبوع العمل كله هناك ، ويعود إلى شقته ظهر الجمعة ، فيغتسل ، وينام لثلاث أو أربع ساعات ، ثم يخرج إلى ملهى قريب ، ويقضي وقته هناك وحيدًا ، حتى يعود إلى منزله في منتصف الليل ، وينام حتى صباح السبت ، الذي يخرج فيه لزيارة أمه العجوز ، وقضاء اليوم كله بصحبتها ..

وفي ذلك اليوم ، في أوائل فبراير 1973م ، ذهب (ميلوسلفي) لزيارة أمه كالمعتاد ، فتفاجأ عندما بادرت بسؤاله في حياته .. (موريتا بارووسكي) ..

ولقد ذهلته إليه أنه باعتبارها جارة شابة ، حضرت لقضاء شهر كامل مع شقيقها الذي يقيم في الجوار ، فلوحلت بسفره لحضور مؤتمر شيميائي في (واشنطن) ، باعتباره خبيرًا كيميائيًا ، له أبحاث عديدة معروفة ..



وبسبب ما ، قررت (موريتا) أن تقضي ذلك الشهر في شقة شقيقها ، بدلًا من العودة إلى (تل أبيب) ، حيث تعمل كمسئولة تنفيذية لإحدى شركات السياحة الشهيرة هناك .. وبسرعة مدهشة ، توطدت علاقة (ميلوسلفي) بالفتاة (موريتا) ، وبدت أنه شديدة السعادة لهذا الأمر ، ولأن قلب ابنها قد خفق أخيرًا بالحب ، قبل أن يبلغ الأربعين من عمره ..

أما (ميلوسلفي) نفسه ، فقد بهرته (موريتا) ، البولندية الأصل ، بجمالها الفتان ، وخلقها الجارف ، وقدرتها المدهشة على الاستماع والتعاطف ، حتى إنه كان كثير الميل لأمر سعادة ، عندما تبدأ أرقام الهاتف قبل انصرافه فجر الأحد ، لعودته إلى عمله في مصنع اللقب ..

وطوال الأسبوع التالي ، لم يستطع (ميلوسلفي) إفراغ صورتها من ذهنه لحظة واحدة ، حتى إنه قصر محادثاته التليفونية في الأسبوع التالي ، وسافر إلى أمه ظهر الجمعة مباشرة ، دون أن ينتظر صباح السبت كالمعتاد ..

وكان هذا التقرير الكبير يعني أن رئيس العمال قد اقتنع أخيرًا بأهميته ، وقرر أن تكون له نقطة ضعف كسائر البشر ..

وكان نقطة الضعف هذه هي (موريتا بارووسكي) ..

(ميرنا) .. التي انتشلت جزءاً كبيراً من عقله، وكان لها بلا منازع، والتي بدأت منذ مساء السبت التالي في التحدث بصدد شديد عن حياتها وأسرتها، وشقيقها التوءمي الموهوب، الذي يعلق الآخرين من تعلق رؤساءه، الذين لا يقدرون أبحاثه بالدقة المطلوبة حول السوائل القابلة للاشتعال، والتي يمكنه تطويرها ليصنع منها سلاحاً رهيباً، لم تفكر به (إسرائيل)، أو حتى (أمريكا) من قبل !..

وكان من الطبيعي أن يتداعى الحديث إلى مصنع الثقاب، وتلك المادة الزهرية التي يتم إنتاجها فيه، وموقع (ميلوسكي) المتطور، مع الإشارة طبعاً إلى ضرورة الاحتفاظ بكل هذا سراً، كما يوصي الرؤساء ..

وأبدت (ميرنا) انبهاراً شديداً بالأمر، إلا أنها لم تتحمس لخوض مرة أخرى، وحتى التعرف عليها (ميلوسكي) مرغماً بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل، وودعته في بشاشة ساحرة، لم تغب عن أحلامه لحظة واحدة، طوال الأسبوع التالي كله ..

وعندما قرأ الرجال في القاهرة، تلك التقارير التي بثتها (ميرنا) إليهم في الثانية صباحاً، أدركوا أن الأمر أعسر من الهرب بما خططوا له منذ البداية ..

وأن عليهم أن ينتقلوا إلى الخطوة الثانية ..



وكان هذا في الأسبوع التالي مباشرة، عندما عاد (ميلوسكي) إلى منزل أبيه بعد الظهر اليومية، وهوى قلبه بين أضلعه، مع نظرة الحزن والأسى التي انطلقت واضحة من عيني (ميرنا)، وتقاطرت مع أول كلمة نطقت بها ..

وبدا لهفته وأوعته حاول أن يعرف سر حزنها، وتألمها لم تظهره أبداً، إلا في الظهر السبت، حتى بكت على صدره في حرارة، وهي تبلغه أن شقيقها سيعود في نهاية الأسبوع بعد التقدم، وأنه يطلب منها الاستقالة من عملها، لأنه لم يعد يحتمل البعد عنها في (إسرائيل)، ولابد لهما من العودة إلى (بولندا) ..

وانتفضت كل خلية في جسد (ميلوسكي)، وهوت مع قلبه في قاع أعماقه، وهو يصرخ مستنكراً ومستهجناً، وتألمها لهفته أن رؤساء شقيقها قد رفضوا كل أبحاثه، ومنعوه من الحصول على أموال إضافية للاشتعال، مما يعني استحالة استكمال ما يقوم به ..

وفي المساء عرض (ميلوسكي) أية خدمة ممكنة، حتى تبقى (ميرنا)، التي لا يمكنه احتمال فكرة رحيلها لحظة واحدة ..

وعلى الرغم من أن هذا ما تسعى إليه في بالضبط منذ البداية، فإنها رفضت الفكرة تماماً وقالت إنها لا يمكن أن تعرضه لخطر من أجلها أبداً ..



www.liilas.com/vb3

وهكذا راح (ميلوسلى) يلح فى تقديم خدماته ، ويلح .. ويلح .. وفى تواصل رفضها بإصرار ، حتى فترة فجر الأحد ، وهو أشد بالمنهار ، لمجرد فكرة رحيلها ، وحرمانه من رؤيتها إلى الأبد ..

وعندئذ أدرك الرجل فى (القاهرة) أن اللعبة قد انتهت ، والثمرة قد نضجت تماما وحان وقت قطافها !

وفى مساء الجمعة التالى ، اتصلت (مونا) بتلفونية (ميلوسلى) ، وتحدثت معه عن تلك المادة الرهيبة ، التى يمكن أن تساعد شقيقها فى أبحاثه ، إلى الحد الذى قد يجعلها تقيم معه بصفة دائمة ، وأخبرته أنها تعلم مدى سرية وخطورة تلك المادة ، وقد فكرت فى الأمر جيدا ، ووجدت أن عينة صغيرة منها لن تمثل خطورة كبرى ، كما أن شقيقها سيحتفظ بالأمر سرا حتما ، كما أن أبحاثه ستأتى بمادة جديدة ، لايمكن ربطها قط بتلك العينة

كان هذا يناقض كل ما تلقاه (ميلوسلى) من تعليمات ومحاذرات أمنية ، عندما التحق بالعمل فى مصنع القلب ، إلا أن لهفته الشديدة على (مونا) التى ترفض دائما أى تجاوز فى علاقتهما ، باعتبارها شديدة التدين ، جعلته يطرح تساؤلا واحدا :

- ولكن كيف يمكننى الخروج بعينة المادة ..؟!



إنهم يفتشوننا بدقة ، حتى إنه من المستحيل تهريب سنتيمتر واحد منها !!

ابتسمت (مونا) ابتسامتها الساحرة ، ورمقته بنظرة ناعسة ، وهى تقول :

- لقد فكرت فى هذا .. وعندى وسيلة مضمونة ..

وعندما عاد (ميلوسلى) إلى عمله ، فى الأحد التالى ، لاحظ الجميع ، حتى طاقم الأمن ، أنه يعمل بشدة ، حتى إنه يحمل معه زجاجة من دواء السعال ، يتناول منها جرعة صغيرة ، كل ثمانى ساعات ..

ولقد حاول مخلصا ، كما أكد زملاؤه ، أن يواصل عمله مع ذلك السعال الشديد ، الذى لم يهدأ لحظة واحدة ، على الرغم من تناوله الدواء على نحو منتظم ..

وفى نهاية يوم العمل التالى ، قرر (ميلوسلى) أنه يحتاج إلى العرض على الطبيب المختص ، فى المستشفى الذى يبعد عن المصنع عشرة كيلومترات فحسب ..

وفى صباح اليوم الثالث ، حملت سيارة المصنع (ميلوسلى) إلى المستشفى ، وهو يواصل تناول جرعات دواء السعال ، حتى أثناء خضوعه لإجراءات التفتيش الرسمية ، التى لا يمكن التنازل عنها ، لأى سبب من الأسباب ..



www.liilas.com/vb3

وعندما بلغ رئيس العمال المستشفى ، ضخم سلفيطا أن زجاجة الدواء قد نفدت ، دون أن تفيد سعاده ، ثم أخذها معتقداً في أن مدة مهمات ، وهو يأمن أن شركات الدواء في التعالج ..

ولقد كانت دهشته شديدة ، عندما أكد الطبيب إصابته بالشهيق في الشعب الهوائية ، وأوصى بأن يحصل على إجازة مرضية حتى نهاية الأسبوع ..

وفكر (ميلوسافي) المستشفى ، وهو يشعر بالانبهار ، إن العقار الذي أعطاه إياه (موريتا) وأجبرته له من إيطاليا ، التي أصيبها الطبيب ، قد نجح في خداع الطبيب على هذا النحو ، الذي الرغم من أنها لا تعاني من أي سعال حقيقي ..

وتنفيذاً لتعليمات (موريتا) ، عاد (ميلوسافي) إلى المصنع ، لاستكمال إجراءات إجازة مرضية ، وقد نفذ وأبلغ على مدة المهمات ، التي تلقى فيها الزجاجة ..

وفي الليلة نفسها ، وقبل حتى أن يستكمل إجراءات إجازته المرضية ، سمعت (موريتا) دقات خافتة متصلة ، على باب غرفة شقيقها المزعوم ، فسألت في حذر :

- من الطارق ؟!



لماذا صوت من خلف الباب يجيب :

- ثلاثة أشهر .. (شالوم) ..

وفي حذر ، فتحت (موريتا) الباب ، والتقطت الزجاجة من طبيب مستشفى القلب ، الذي سلمها إياها ، وانصرف على الفور ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

وفي سرعة ، حطمت (موريتا) عنق الزجاجة ، والتقطت من داخلها كبسولة صغيرة ، ثم إغلاقه بإحكام ، وبداخله عبوة من تلك الصادة المحترقة ..

وقبل حتى أن يبلغ فجر اليوم التالي ، كانت العبوة في طريقها إلى (القاهرة) ، لتتم تحليلها ، وإنتاج نسخة طبق الأصل منها ، أجريت بها إلى (القاهرة) ، لتتم تحليلها ، وإنتاج نسخة طبق الأصل منها ، أجريت بها الهجوم بالطبقة السرية ، على ضفاف النيل ، في منطقة مهجورة

- لقد عاد من المعاد ..

تجارب أثبتت أن استخدام تلك المادة ، سيؤدي إلى سعال تسعين في المائة من فترة العبور الأولى ، وأن من الضروري منعها من الاختلاط على مياه القناة بأي ثمن ..

وفي الوقت الذي راح فيه (ميلوسافي) يبحث كالمجانين عن (موريتا) ، التي اختفت فجأة ، تاركة خلفها رسالة ، تقول فيها إن ضميرها قد أنبها ، لما عرضته له من أخطار ، فقررت أن



www.liilas.com/vb3

تلك المهمة التي أرسلها ، وتخلص من حياته إلى الأبد ، فإن القيادة السياسية والعسكرية تضع خطة جديدة للتعامل مع خطر اللهب ..

خطة كان لها فضل الفضل - بعد الله سبحانه وتعالى - في تحقيق نصر أكتوبر العظيم ..

النصر الذي كان خطوتنا الأولى نحو السلام ، وكلمة السر ، لبناء حضارة جديدة ..

وأملنا ..

* * *



## لحن الخطر

اغتال الطلبة في (تل أبيب) ، بعد موجة حارة غير مألوفة ، في ذلك الوقت من العام ، في منتصف سبتمبر 1973م ، وتلفس جنرالات الجيش الإسرائيلي الصعداء ، بعد أن انتهوا ، في الوقت ذاته ، من مناوراتهم الأخيرة ، وقاموا بتسريح جنود الاحتياط الذين يمثلون أربعين في المائة تقريبًا ، من تعداد الجيش ، واستراحت أجسادهم بعد طول عناء ، وبدءوا يعيشون في نهاية هذه وسيلة للمتعة وقضاء الوقت ، وغسل كل همموم الفترة السابقة ، خاصة أن كل الأخبار ، الواردة من الجبهة المصرية ، دلت تؤكد أن الأمور هناك مستقرة ، ولا تشير أبدًا إلى تفكير في شن حرب على (إسرائيل) ، خلال العام حتى الآن ..

ولأن إدارة العلاقات العامة ، في الجيش الإسرائيلي ، لم تترك هذا جيدًا ، فقد قامت بإعداد حفل موسيقى راقص ، للجنرالات والضباط وزوجاتهم ، في الفيلا النوادي في (تل أبيب) ، للترفيه عن الرجال ، ورفع روحهم المعنوية ..

وإن حفلاً كهذا يحتاج إلى طاقم متميز من النجوم ومحترفي



Firan
www.liilas.com/vb3

الفن ، فقد تعاقدت الفيلة الإسرائيلية مع مجموعة خاصة منهم ، وعلى رأسها (زاهن باراخ) ، عازف البيانو الشهير ، الذي ذاع صيته في العامين الأخيرين ، بعد أن شرك كل أعماله في (سويسرا) و(النمسا) ، وقرر العيش والاستقرار في (إسرائيل) ..

وخلال العمل ، كان (باراخ) متألقاً أكثر من المعتاد ، فتسامته العذبة الأنيقة لا تفارق شفتيه لحظة واحدة ، وهو يوزع ابتساماته وتحياته على الضباط والجنرالات وزوجاتهم ، وكل قادة وساسة (إسرائيل) ، الذي تقتطر بهم العمل ..

وكان من الطبيعي أن تدور بينه وبينهم حوارات عديدة ، قصيرة أو طويلة ، وأن تتفرق تلك الحوارات ، بصورة عفوية تامة ، إلى المنورة الأخيرة ، وحتى استعداد البيانو الإسرائيلي لمواجهة الحرب القادمة ، وتصورات قادته عن موقف العرب ، وبخاصة (مصر) ، وعن حالة اللاسلم واللاحرب ، التي سادت طويلاً ، وجعلت حربهم الأخيرة ، التي يتحدثون عنها دائماً ، مجرد حلم في خيالهم ، لا يمكن بأي حال من الأحوال ، من وجهة النظر الإسرائيلية ، أن يتحول يوماً إلى حقيقة ..



ووسط كل هذا ، وأن الزهو جزء من تكوين جنرالات (إسرائيل) ، بعد انتصارهم في خمسة يونيو 1967م ، كان كل منهم يبدي أهميته وحساسية موقعه ، يكشف سر أو بعض الأسرار ، الخاصة بعمله ، ثم يطالب مستمعه بالكتمان الأكبر ، لخطورته وأهميته ..

وطوال الوقت ، وهو يستمع إلى كل هذا ، ظلّ (باراخ) هادئاً متبسماً يتنقل بين الجميع بمنتهى الحيوية والنشاط ..

حتى حانت فترته ..

وبهدوء ورصانة المعهودتين ، اتجه (باراخ) إلى البيانو الأبيض الأنيق ، في ركن القاعة ، وسط عاصفة من التصفيق والحماس ، وحتى ببرة الكبيرة جماهيرية ، ثم صمت بضع لحظات ، وكأنما يفكر في عمق أو يجتر بعض الحسابات الدقيقة ..

وبعدها انطلقت أصابعه تعزف على البيانو ، نغمات رائعة ..

وفي لهفة وحماس ، أخرج أحد الجنود الإسرائيليين من جيبه



www.al-maktabeh.com

جهاز تسجيل صغير ، وراح يسجل لحن (باراخ) الجديد ، ورأسه يتمايل معه حبًا واستمتاعًا ..

وبعد نهاية الليل ، انفض الحفل ، وخرج الموسيقار ليليس دعوة أحد الجنرالات وزوجته ، لقضاء ما تبقى من الوقت في حفل محدود بمنزلهما ، وبدأ العمال في تنظيف المكان وتنظيمه .. أما ذلك الجندي ، فقد حمل جهاز التسجيل الصغير في جيبه بمنتهى الحرص ، وعاد به إلى منزله ، في أحد الأحياء البسيطة ، ولم يكد يقابل بابه خلفه ، حتى أسرع إلى ركن في مكتبته ، فأزاحه في سرعة ، وأخرج من خلفه جهاز إرسال لاسلكي نظيفًا صغير الحجم ، أوصله بجهاز التسجيل ، ثم راح يبث الموسيقى ، التي سجلها في الحفل ، عبر موجات الأثير ..

وفي (القاهرة) ، راح الرجال يستقبلون اللحن باهتمام بالغ ، في قسم الاستماع والاعتراض ، ثم تم نقله فور الانتهاء من تسجيله إلى قسم معالجة الشفرة ، قبل أن يتسلمه ضابط المخابرات العامة المصري (عاصم) في مكتبه ، على هيئة تقرير مطبوع ..



تقرير يحوي كل الأسرار ، التي تداقتها الألسن ، خلال حفل العلاقات العامة الإسرائيلي .. فالمدعش ، والذي لم يكن أبغض على بال أحد قط ، هو أن اللحن الجميل الأثيل ، الذي عزفه (زايون باراخ) كان في واقع الأمر نوعًا مبتكرًا عبقريًا من الرسائل ..

رسائل الشفرة ، التي تحمل في طياتها عبارة مدهشة ..

عبارة (صنع في مصر) ..

* * *

(زايون باراخ) .. موسيقي نمساوي الجنسية ، يهودي الديانة ، ولد مع بداية الحرب العالمية الثانية 1939م ، ومع احتلال قوات النازية (للنمسا) ، مما دفع أبوه اليهودية إلى الفرار به إلى (سويسرا) هربًا من جيش (هتلر) ، وما يحمله معه من نوايا غير حسنة تجاه اليهود ، على حين بقي والده في (النمسا) ، والتحق بالحرس الحزبي النازي ، ثم لم يلبث أن انضم إلى الجيش الألماني ، وقاتل في (فرنسا) و(بلجيكا) و(روسيا) ، التي لقي مصرعه بين ثلوجها ، دون أن يرى ابنه سوى مرة واحدة عند ولادته ..



Emad
www.liilas.com/vb3

وفي (سويسرا) ، نشأ (يسراخ) الصغير ضعيفا نحيلا ، شاحب الوجه ، يشاهد أمه كل ليلة ، وهي تعود بعد منتصف الليل ، وقد غيرت مستحيق التجميل وجهها ، واستزجت برائحة الشعب والأرهاق ، ويصحبها رجل ، يختلف في كل ليلة ، ليوقعاه دافئا إلى حجرته ، ويقبلها بأبيها عليه ، ثم تتعالى ضحكاتهما ، التي تبدو له أشبه بصراخ شيطان ، في قلب الجحيم ..

واعتاد الصغير الوحدة في حجرته ، ولم يجد ما يقطعه ، حتى تفرج عنه أمه في الصباح ، أو عند الظهر ، أو شطرا الليلة ، سوى أن يجري بأصابعه على البيانو الخشبي الصغير ، الذي أهداه له رجل بدين لطيف الملامح ، لم يره أبدا سوى ليلة واحدة ، ثم اختفى بعدها تماما ، كما يختفي كل أصدقاء أمه عادة ..

وعندما بلغ السادسة من عمره ، أخبرته والدته أن المدرسة قد وضعت أوزارها ، وأن (هانز) ، الذي وصفته بالشيطان ، قد لقي مصرعه ، وصار بوسعهم العودة إلى (النمسا) ، التي أطلقت عليها اسم الوطن ..

ولم يكن (يسراخ) أي مشاول ، بالنسبة للصبي ، إلا أنه بدا له وسيلة للتخلص من سجنه الإجباري ، وشعوره الدائم بالخوف والوحدة ، الذي يلازمه كل ليلة ..

ولكنهما لم يعودا إلى النمسا (مباشرة) ..



كل ما حدث هو أن شيئا ما قد تغير في حياته ، مثل حدوث تلك المشاجرة العنيفة ، بين أمه وأحد أصدقائها ، إلى الحد الذي استدعى تدخل الشرطة ، واختفاء أمه ليوم كامل قضاه سجينا في حجرته ، بين فراشه والبيانو الصغير ، وقد راوده شعور بأن أمه لن تعود أبدا ، وستتركه يموت سجينا هكذا ..

بعدها لم تعد أمه تحضر الأصدقاء إلى المنزل ..

لقد التحقت بعمل مستقر ، في مطعم شهير ، تذهب إليه في الثامنة مساء ، وتعود منه في السادسة صباحا مرهقة منهكة ، فتسقط في نوم عميق ، حتى الثالثة أو الرابعة ظهرا ..

ثم إنها لم تعد تسجنه في حجرته ..

لقد أرسلته إلى مدرسة مجاورة ، ليتعلم القراءة والكتابة ، وبعض ما حرمت منه في طفولتها ، التعليم ..

ولقد أثار الصبي على التعليم بشكل خطير ، وأثبت تفوقا على دروس الموسيقى ، التي أبدى فيها موهبة ملحوظة ، في العزف على البيانو ، حتى إن المدرسة راحت تعتمد عليه في حفلات نهاية العام ، كطفل موهوب وعازف بارع يتفوق على المحترفين ..

ومع عامه العاشر ، اتخذت أمه قرارها بالعودة إلى (النمسا) ..

وهناك ، تبدلت حياة الصبي أكثر وأكثر ..

لقد اصطحبته أمه معها ، في الكازينو الذي التحقت بالعمل فيه ، وقدمته لصاحبه كطفل عازف موهوب ، يمكن أن يجتذب النساء الزبائن ، ويضع بصمة مميزة للمكان ، ووافقت الفكرة لصاحب الكازينو ، فألحقها وابنها بالعمل ، وأسند إليه مهمة العزف في أثناء تقديم الطعام في الفترة المسائية ..

وكان هذا أسوأ ما أصاب الصبي ، في عمره كله ..

صحيح أنه راح يمارس عملاً يحبه ويعشقه ، إلا أنه وللمرة الأولى في حياته ، كان يشاهد أمه ، وهي تمارس عملها المبتذل ، في الشرفة عن الزبائن ، ومجالستهم ، ومحاولة إغرائهم بطلب المزيد من الأطعمة ، والمشروبات ، لكي تحصل في النهاية على عمولة جيدة منهم ساعدتها على استئجار شقة أنيقة والتوقف تماماً عن أية ممارسات أخرى .. ثم فجأة ، برزت فكرة الهجرة إلى ( إسرائيل ) ..

دون أية مقدمات ، وجد أمه تتحدث عن السفر إلى ( إسرائيل ) ، وكأنه حلم الأحلام ، والأمل الوحيد في مستقبل رائع سعيد ..

ولأن ( بارلخ ) كان عندئذ في السادسة عشرة من عمره ، وأنه يخلق أول مرة بحب جارته الشابة ، فقد رفض فكرة الهجرة تماماً ، وأصر على رفضها ، وأصرت أمه على أن مستقبلهما الوحيد هناك ، ثم تحول الأمر بينهما إلى عناد وصراع ، حسمته الأم بموقف لم يتوقعه هو أبداً ..



لقد تركته وحيداً في ( النمسا ) ، وهاجرت هي إلى ( إسرائيل ) ..

وكانت أول مرة في حياته ، يشعر فيها بكلمة ( إسرائيل ) ..

وكان عليه دفعه إلى البقاء ، والقتال وحده ، في سبيل العيش ..

والعجيب ، أنه قد نجح في هذا تماماً ..

لقد ذاع صيته على نحو مدهش ، وهو في العشرين من عمره ، كعازف بيانو رومانسي بارع ، يكفي أن تسمع أنغامه ليخلق عالماً بكل حب الدنيا ..

وفي عام 1964م ، وفي عيد مولده الخامس والعشرين ، كان ( بارلخ ) قد صار واحداً من أشهر عازفي البيانو ، في ( النمسا ) و( سويسرا ) ، التي لم ينقطع عاماً واحداً عن زيارتها ، وقضاء بعض الوقت في شوارعها الهادئة ، التي لم يرها قط ، طوال فترة نشأته فيها ..

وفي تلك الفترة ، وفي أثناء إحدى زياراته القصيرة ، التقى ( بارلخ ) برجل المخابرات المصري ( خاصم ) في ( جنيف ) ..

الأوراق المتاحة لديها لم تكشف عن الطريقة الحقيقية لهذا اللقاء .. هل كان لقاء بمحض الصدفة ، أم مقابلة متعمدة ، رتبها وأعدها جهاز المخابرات العامة المصري ، بعد أن أعلن



www.liilas.com/vb3

(زاهون باراخ) ، في أكثر من مناسبة ، عن تراجعه الشديد لدولة (إسرائيل) ، ورفضه التام للقبول لفكرة احتلال أرض الغير بالقوة ، مهما كان الأسباب والمبررات ...!!

لا أحد يملك الجزم بهذا الأمر ..

ولا أحد يملك أيضاً أن يفصح عن تفاصيل اللقاء ..

أو عن الحوارات التي دارت خلاله ..

ولكن الأمر الوحيد المؤكد ، هو أن بشرة تجهم (زاهون باراخ) ، للعن لحساب المخابرات المصرية ، قد وضعت خلال تلك المقابلة ..

وبعد عام واحد من هذه المقابلة ، تغير أسلوب (باراخ) تماماً ..

لقد توقف تماماً عن إعلان تراجعه لدولة (إسرائيل) ..

بل وتغير أسلوبه أيضاً في التحدث عنها ..

والعجيب أن هذا كله تزامن مع أمر جلل ، كان كفيلاً بأن يضاعف تراجعه ألف مرة ..

ففي (إسرائيل) ، وفي أثناء عملها في بار صغير ، تشاجرت أمه مع أحد ضباط الجيش ، الذي حاول سلخانتها بطريقة قبيحة ، فصفعته على وجهه أمام الجميع وطردته من المكان كله ..



وعند انصرافها من البار ، في الثالثة صباحاً ، أطلق الضابط المذكور عليها كل رصاصات مسدسه ، وتركها قتيلة صريعة في عرض الطريق ، حتى تم نقلها إلى المشرحة ، في الخامسة والنصف صباحاً ..

ولقد علم (باراخ) بالأمر ، من خلال أحد معجبيه في (حيفا) ، ولكنه لم يتحدث عنه قط ، وإنما راح يوطد علاقاته بعدد من اليهود في (النمسا) ، وبقايا الأثرياء منهم ، ويتولى السلطة والنفوذ ..

وفي عام 1967م .. وبعد انتصار اليهود ، واحتلالهم الكامل لـ (سيناء) ، والجولان ، والضفة الغربية ، تمت دعوة (باراخ) للعزف في احتفالات النصر في (تل أبيب) ..

وذلك أول مرة يطأ فيها (إسرائيل) بقدميه ، في حياته كلها ..

ولقد أخبر (عاصم) فيما بعد ، أنه كاد يفرغ ما في معدته ، فور وصوله إليها ، فقد بدا له الهواء الذي يستنشقه مشبعاً برائحة الدم والغدر والعار والخيانة ، على نحو جعله يقسم لنفسه تماماً ، وجهه يقرر بذل المزيد والمزيد ، في سبيل ما يطلبه منه المصريون ..

والواقع أن المصريين غالوا يطلبون الكثير والكثير ، في تلك الفترة ، فقد كان عليهم ، بعد نكسة يونيو ، أن يعيدوا بناء الجيش ، وتوحيد الصفوف ، وأن يستعدوا في الوقت ذاته لحرب ثأرية حتمية ، لاستعادة الأرض السليبة ، والكرامة المهدرة ..



www.liilas.com/vb3

ولقد كان (باراخ) بالنسبة لهم جاسوسا مثاليا ..

لولا خلل واحد ..

فعلى الرغم من عبقريته الفذة في العزف والموسيقى ، عجز (باراخ) تماما عن استيعاب كل أنواع الشفرة الحديثة ، ورفض في عناد الاستماع إلى كل من حاولوا تعليمه وتلقينه إياها ..

ولكن المخابرات المصرية كانت تسعى لإرسال (باراخ) إلى (إسرائيل) ، ليستقر فيها بعض الوقت ، ويوطد علاقاته ببعض ذوي السلطة والنفوذ هناك ، حتى يمكنه جمع كل ما يحتاجونه من معلومات ، مع اقتراب ساعة الصفر ، لذا فقد كان من المحتم أن يتم البحث عن وسيلة جديدة لتبادل المعلومات ، بدلا من كل وسائل الشفرة التقليدية ..

وسيلة تناسب (باراخ) بالذات ..

وهنا ، قفزت الفكرة في رأس (عاصم) ..

وبسرعة ، طرحها على مائدة البحث ، في أول اجتماع محدود ..

لماذا لا يتم ابتكار شفرة خاصة ، ترتبط بالشيء الوحيد ، الذي يمكن أن يحبه ويستوعبه (رايون باراخ) ؟!..

الموسيقى ..



ولقد لاقت الفكرة قبول الجميع على الفور ، وكانها طرحت السؤال التالي :

- من يمكنه ابتكار شفرة كهذه ؟

وجاء الجواب أكثر بساطة ومباشرة ، على لسان (عاصم) نفسه ..

- إننا نحتاج إلى موسيقار ، وخبير بالشفرة معا ..

وإلى إذاعة أخرى ، راح الرجال يتحاورون ويتجادلون ، ويستعرضون عددا محدودا من الأسماء ، قبل أن يستقر رأيهم على اسم واحد من المشهور بلمحتى وموسيقيي العصر ، للتعاون مع خبير الشفرة ، الموسيقية الجديدة ..

وكلف أدهى الملحن الشهير للقيها وتعارفا كاملين ، بعد أن استمع إلى (عاصم) يوقاره ورسالته للشهيرين ، ثم راح يلقي عشرات الأسئلة على خبير الشفرة ، حول أساليب صنعها ، وتكوينها ، ووسائل التعامل معها ..

وعلى الرغم من أن كل تلك المعلومات تتدرج تحت بند السرية المطلقة ، فقد أجابه عنها خبير الشفرة بمنتهى الوضوح والدقة ، و(عاصم) يتابعه في صمت تام ، وكله ثقة في أن الموسيقار الشهير يدرك مدى سرية وخطورة الأمر ، وأن لسانه لن يفصح عن حرف واحد مما سمعه ، حتى لزوجته وأبنائه ..

ومن المؤكد أن وجهة نظر (عاصم) ومن خلفه المخابرات العامة المصرية، قد نالت مساندة تامة، إذ حافظ الموسيقار الكبير على السر حتى وفاته، دون أن يعلم به أحد قط، على الرغم من أنه قد قضى ثلاثة أشهر كاملة، مع خبير الشفرة، لوضع القواعد الأساسية لها، باستخدام النوتة الموسيقية، التي وصفها الموسيقار بأنها لغة عالمية، يمكن أن يفهمها أي دارس للموسيقى، في أي مكان في العالم ..

وقد أعلن (باراج) عن ذهوله الحقيقي، عندما بدأ يتعلم لغة الشفرة الموسيقية، على يد الموسيقار الكبير ..

لقد كانت شفرة بسيطة ومذهلة، وعبقرية بالفعل، لارتباط بمدخل ومخرج كل جملة موسيقية، بحيث تشكل كل المعلومات المطلوبة، دون أن تبدو على الإطلاق كذلك ..

وأبهر (باراج) الموسيقار بلا حدود، مع استمراره تلك الشفرة، حتى إنه أعلن أمام الموسيقار الكبير، قائلاً في احترام بالغ جده الراقص:

ـ صدقني يا سيدي .. ما دام لـ (مصر) أبناء مثلك، فسيكتب لها النصر حتماً، مهما طال الزمن ..

وابتسم الموسيقار الكبير، وأطلق ضحكته الرصينة الشهيرة،



قبل أن يصافح (باراج) مودعاً، ويوصيه بتكثير تمهلات العمل الموسيقية دائماً ..

ومنذ ذلك الحين بدأ (باراج) يعمل بأسلوب جديد ..

لقد ترك أعماله كلها، وسافر لباريس في (أول أيلول)، وبوساطة علاقاته الكثيرة وكبار رجال السلطة السياسية والجيش في (إسرائيل)، وبحصل على كل المعلومات المكلفة منهم، ثم يحولها إلى جمل موسيقية بسيطة، يشكلها بنظام مدروس إلى اللحن الأساسي، بحيث تبدو أشبه بتنويعات أو توزيعات جديدة، لا يمكن أن يفهمها، أو يدرك مغزاها الحقيقي، سوى رجال الشفرة في المخابرات المصرية وحدها ..

وهكذا تنقل (باراج) إلى المصريين الكثير من المعلومات عن خط (بارليف)، ونظم التشويش، وتوزيع وحدات الجيش، والنظام الأمني الداخلي، وغيرها وغيرها ..

وفي الأول من أكتوبر 1973م، نالت له (باراج) معلومات بالغة الخطورة والسرية، تتعلق بالمخابرات الإسرائيلية، ومعلوماتها عن استعداد المصريين للقتال، حتى إن الأمر قد استدعى سفر (عاصم) بنفسه، ليلتقي به في (سويسرا)، ويحصل على المعلومات ..



Eman
www.dvd4arab.com

وبعد أن انتهى للاوهما ، وانطلق (باراخ) في طريقه إلى حجرته ، فوجئ أمامه بضابط من ضباط المخابرات الإسرائيلية يستوقفه ، ويقدم له نفسه بأسلوب جاف ، سقط له قلب الرجل بين قدميه ، وتصور أن أمره قد انكشف ، وأن الإسرائيليين قد أرسلوا من يلقي القبض عليه في (جنيف) ..

ولكن الإسرائيلي قدم له نفسه ، وذكره بأنهما قد التقيا في أحد حفلات الجيش ، وأبدى شديد الإعجاب به وبفنه وأدائه ، ثم همس في أذنه أنه هنا ليقوم بعمل خطير ، وربما يقضي على أحد ضباط المخابرات المصرية ، ودعاه لرؤية ما سيحدث بنفسه ..

وفي هدوء مدهش ، وافقه (باراخ) على الأمر ، وعاد معه إلى صالة الفندق ، وتجاهل (عاصم) تمامًا ، وتأمله ثم ابتعد من قبل فقط ثم اتجه إلى البيانو ، وراح يعزف ..

وبينما يدور الضابط الإسرائيلي ويدور الحصار (عاصم) ، كانت أنا هذا الأخير تتفقان اللحن الذي يعزفه (باراخ) .. وتفهمه ..

كان لحنًا تحذيريًا ، يحمل عبارة واحدة بالشفرة الموسيقية الجديدة ..

« خطر ... غادر المكان على الفور ... »

واستوعب (عاصم) الأمر ، وغادر المكان خلسة بأقصى سرعة ،



واستخدم كل حنكته وخبرته ، للإفلات من الإسرائيلي الذي تبعه في غضب عصبي ، حتى اختفى عنه ، وسط شوارع (جنيف) ..

وأذاعت حرب أكتوبر 1973م ..

وأدهر الإسرائيليون على تصور رد إيلينا فرانتشا ، ومهد الطريق أمام استعادة الأرض السليبة ..

وبعد النصر ، وإيقاف إطلاق النار ، التقى (باراخ) بعدد من رجال المخابرات المصرية في (أوروبا) ، وقرر أن يقدم لهم لحنًا خاصًا من تأليفه ..

وعندما بدأ العزف ، وسمع اللحن الناعم المنساب ، ابتسمت ابتسامة (عاصم) ، وبادله (باراخ) الابتسام ..

لقد سمع فقط ، أول الشفرة في اللحن الجديد ..

الشفرة التي صنعت عبارة واحدة ..

« مبروك النصر ... »

وكان هذا آخر ألحان (زاريوت باراخ) ..

تحت علم (مصر) ..

* * *



www.liilas.com/vb3